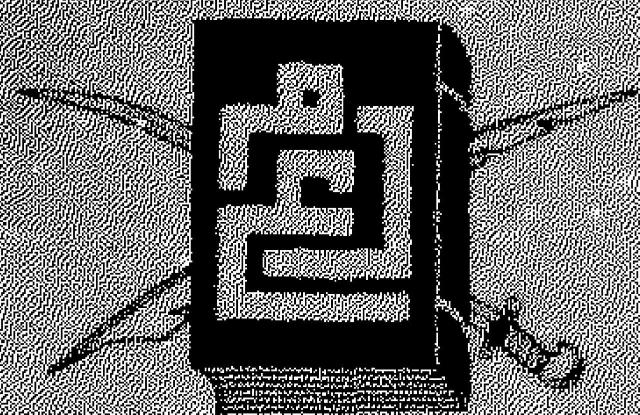
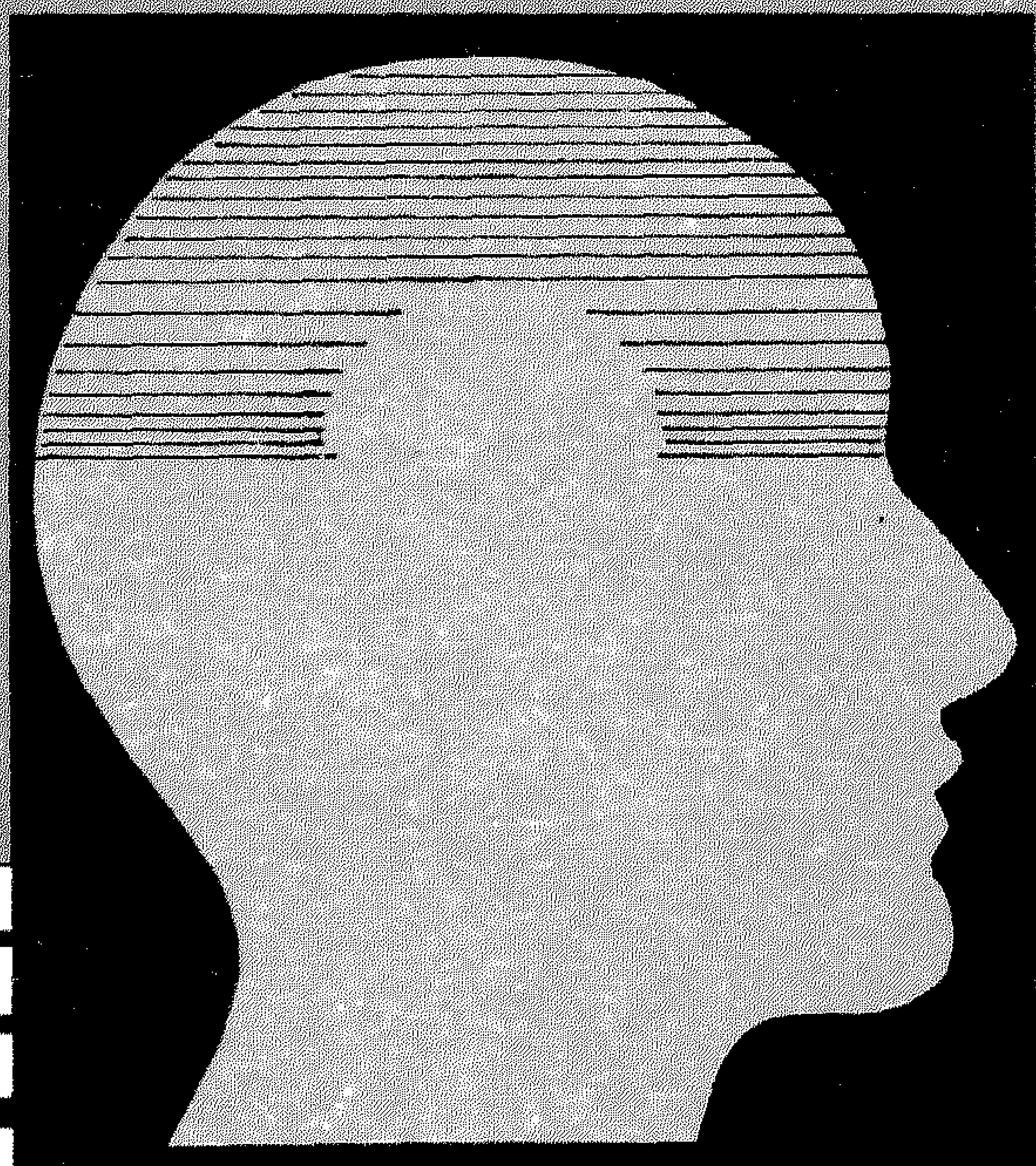


اللواء ف. د. ريابتشوك

العقيد ف. إ. كوفاليف

سيكولوجية قرار القائد



ترجمة: الملازم محمد ياسر المصري

مراجعة: العميد الركن نافع ايوب

مركز الدراسات العسكرية

١٩٨٢

اللواء ف. د. ريابتشوك
العقيد ف. إ. كوفاليف

كتب ثقافي عسكري

سيكولوجية قرار القائد

مراجعة: العميد الركن نافع ايوب
ترجمة: الملازم محمد ياسر المصري

مركز الدراسات العسكرية

١٩٨٢

اسْتِنَاداً لتوْجيهَات السَّيِّدِ الرَّئيس حَافِظ الأَسَد رَئيسُ الجُمهوريَّةِ العَرَبيَّةِ السّوريّة - القائد العَام لِلجَيش وَالقوّات المُسلّحَة ، يُصْدِرُ مَركز الدِّرَاسَات العَسكريّة الكُتُبَ الثّقافيَّة الّتي تَهْدفُ إلىٰ إغنَاء مَعَارف الضبّاط وَالمُهتَمّين بالثّقافَةِ العَسكريّة .

مقدمة

يعتبر النشاط الذهني للقائد في المعركة القسم الاساسي الهام لسيكولوجية اتخاذ القرار . ويتضمن هذا النشاط مجموعة من العمليات النفسية الذهنية التي يتحقق فيها تفهم الموقف القتالي ، واعداد القرار للاعمال القتالية وما يتعلق به من اوامر وايعازات وتعليمات . يستند هذا النشاط على عدد من الاسس الهامة لنظرية المعرفة العلمية .

لقد اهتم كثير من القادة العظماء مثل : « سوفوروف ونابليون وكلاوزفيتز ودراغو ميروف وفرونزه وشابوشنيكوف » بالنشاط الابداعي ـ الذهني للقائد في المعركة ، وبتفكيره وذاكرته وتصوره لدى تقديره للموقف القتالي ، وفي اتخاذه لقرار المعركة وخلالها . وأعير اهتمام كبير أيضا الى هذه المسألة خلال أعوام الحرب العالمية الثانية وبعدها ، من قبل القادة والمنظرين العسكريين والنفسيين .

وأخذت هذه المسألة تنال اهتماما حادا يرتبط بالثورة التقنية العسكرية الحديثة . ودعت الضرورة ليس لكشف آلية تفكير القائد فحسب ، بل للبحث عن الطرق اللازمة لزيادة فعالية نشاطه الذهني أثناء اعداده واتخاذه للقرار في الظروف النوعية الجديدة والمعقدة للمعركة المشتركة الحديثة .

ومن هنا ظهرت ضرورة البحث في سيكولوجية قرار القائد .

ان طبيعة الموقف المعقد ، وسرعة تبدله ، والحركية العالية للقوات ، والنقص في المعطيات عن الموقف ، والحجم المتزايد للمعلومات ، وعدم توفر الوقت اللازم لمعالجتها ، تتطلب كلها البحث عن ايجاد السبل الناجعة اللازمة

لتحسين النشاط الذهني للقائد في المعركة ، والاخذ بعين الاعتبار للعوامل النفسية الاخرى التي تؤثر على قراره .

يعتبر استخدام الوسائط الفنية الحديثة، والحواسب الالكترونية ، وأنظمة القيادة المؤتمتة ، احد طرق زيادة فعالية النشاط الذهني للقائد خلال اتخاذه لقرار المعركة ، حيث يستطيع بواسطتها استلام وارسال ومعالجة المعطيات بالشكل الاكثر ملاءمة وسرعة .

يمكن زيادة فعالية النشاط الذهني أثناء التدريب العملي للقوات ، باستخدام الطرق الرياضية والاجهزة الحاسبة البسيطة كالنوموغرام (وهو مخطط بياني بسيط التركيب) .

وانه لمن الاهمية بمكان ــ بالاضافة الى ذلك ــ ان يتم كشف واستخدام القوانين النفسية للنشاط الذهني أثناء اتخاذ القرار ، والاخذ بعين الاعتبار للمعطيات عن الصفات النفسية ــ العسكرية لشخصية القائد ، وعن امكانياته وقدراته الابداعية . وقد كتب مارشال الاتحاد السوفياتي « آ.آ. غريتشكو » عن ذلك مايلي :

« يلعب القائد دورا مركزيا ورئيسيا في قيادة القوات ، ويتوقف نجاح كل نشاطه القيادي على قدراته التنظيمية ومهارته العسكرية ، حيث يجب ان يتلاءم فورا وبصورة جيدة مع أي موقف معقد ، وان يفكر بعمق ويتخذ قراراته بشكل واضح ودقيق ، لان هذه القرارات تشكل القاعدة الاساسية لقيادة القوات » .

يعتمد القائد في الكتاب، المهارة على الثقافة العسكرية العامة العالية ، وعلى التدريب الخاص المتنوع ، وعلى المهارات العملية ، التي يكتسبها أثناء قيادته للقوات في زمن السلم(١) .

---

(١) ــ « آ . آ . غريتشكو » : القوات المسلحة السوفيتية ــ اصدار عام ١٩٧٥ ص ٢٧٠

ان استخدام معطيات علم النفس العسكري ، والاخذ بعين الاعتبار للنشاط الذهني أثناء اتخاذ القائد للقرار ، يسمح بزيادة امكانية تفهم وتذكر الموقف القتالي ، ويرفع درجة الانتباه ، ويوسع مدارك القائد ويطور تصوره ، ويحسن تفكيره العملياتي ــ التكتيكي .

تكتسب مراعاة ديالكتيك (جدلية) المعركة المشتركة الحديثة أهمية كبيرة في عملية النشاط الذهني للقائد أثناء اتخاذه للقرار .

يدخل ضمن النشاط الذهني،مايعرف بانشاء نموذج فكري للمعركة المقبلة، اثناء اتخاذ القرار من قبل القائد المبدع قبل الدخول في المعركة .

يبحث هذا الكتاب في هذه المسائل ، ويعالج الوضعيات النظرية والتوصيات العملية .

لايهدف المؤلف الى توسيع الافق النظري لدى الضباط فحسب ، بل يريد ان يقدم للقاعدة العريضة من القراء العسكريين ، بعض التوصيات العملية في موضوعات سيكولوجية قرار القائد ، وفي تطوير وتحسين النشاط الذهني للقادة في المعركة .

ولعل أهم مايحتويه هذا الكتاب ، يتمثل بالامثلة الايضاحية المأخوذة من خبرة الحرب العالمية الثانية ، ومن المشاريع التكتيكية ومشاريع القيادة والاركان. وقد أخذت هذه الامثلة غالبا من النشرات العسكرية الدورية التي صدرت في الاعوام الاخيرة .

كتب الفصول الاول والسادس وحتى التاسع الدكتور في العلوم العسكرية، البروفسور العميد : ف.د.ريابوتشوك . بينما كتب الفصول الاخرى المرشح في العلوم النفسية المقيد : ف.ي.كوفاليف ، واشترك الاثنان في كتاب المقدمة والخاتمة .

الفصل الأول

الجدلية في المعركة المشتركة وقرار القائد

يتضمن هذا الفصل مايلي :

أولا ـ المعركة في الماضي والمستقبل .

ثانيا ـ الجديد في مجال قيادة القوات .

ثالثا ـ فن القائد وتنوع عمليات القيادة .

أولا ـ المعركة في الماضي والمستقبل

يعتبر القرار المعلل والمتخذ في حينه ثمرة التفكير الهادف للقائد ، وعاملا هاما من عوامل تحقيق النصر في المعركة ، وهكذا فان التطور الحاد لدور القرار ودور النشاط الادراكي للقائد في المعركة ، وتأثير هذا النشاط على مجرى ونتيجة المعركة ، يعتمد على مجموعة كبيرة من الاسباب الموضوعية ، كتبدل طبيعة وجوهر المعركة المشتركة الناجمين عن الثورة التقنية ـ العسكرية ، والتعقيد في قيادة القوات ، ومضمون النشاط الفكري للقائد خلال خوض الاعمال القتالية .

ولفهم جوهر هذه التبدلات وتحديد الاساليب الحقيقية لتحسين النشاط الادراكي للقائد في اتخاذ القرار لمعركة الحديثة،يجب معالجة المعركة المشتركة، وقيادة القوات ، ودور ومكان القائد أثناء التحضير للمعركة وخلالها عبر خلفية تاريخية .

كانت المعركة في الزمن القديم جدا تنفذ بنوع واحد من القوات ، وتجري فوق مساحة محدودة من الارض ، ولزمن غير مستمر ، وكان الوصول الى حقل المعركة والمناورة فيه ينفذ بسرعات قليلة وغالبا على الاقدام ، لان أسلحة ذلك الزمان لم تكن تستخدم الا عندما تقترب قوات الطرفين من بعضها ، ولم يكن ممكنا آنذاك ان تخاض سوى معركة واحدة في زمن واحد . وكانت قيادة القوات تنحصر في تحديد مكان وزمن انطلاق القوات للقتال وتنظيم وصولها الى حقل المعركة ، وتوجيهها لتنفيذ المهمة القتالية ، وكان ذلك ينفذ غالبا بالاشارات (الايعازات) او بالقدوة الشخصية (افعلوا مثلي) .

كان القائد يستطيع رصد حقل المعركة كليا ، وكان نشاطه الذهني يؤمن له ادراك الموقف القتالي ، وحساب كافة التبدلات التي تطرأ عليه ، وكانت قدرته في سرعة معالجة المعلومات التي تصله اكبر بكثير من سرعة التبدلات التي تطرأ على المواقف .

ونقدم فيما يلي وصفا مقتضبا للمعركة بين قوات « سبارتك » والقوات الرومانية بقيادة « فوري » عندما اصطدمت قوات الطرفين على طريق « آبيفا » في منطقة « كازيمين » .

بلغ تعداد قوات « سبارتاك » حوالي عشرة آلاف مقاتل من العبيد المتمردين ، الذين نظموا في فيلقين ، حيث اتخذ قائد الفيلق الاول ترتيب قتاله على خطين ، واضعا في الخط الاول الفين من النبالة ورماة المقاليع ، بمهمة تنفيذ الهجوم الكثيف على العدو ، وتاركا القسم الباقي من الفيلق ــ والذي كان مسلحا بالرماح ــ خلف الخط الاول .

أما الفيلق الثاني فقد قسمه « سبارتاك » الى قسمين ، ودفع بهما عبر حقول الكرمة ، من اليمين واليسار ، بمهمة تطويق القوات الرومانية من المجنبات

والمؤخرة بعد بدء المعركة . وعندما ظهرت طليعة خيالة القائد « فوري » فاجأها رماة المقاليع بوابل كثيف من الحجارة والكرات المعدنية ، أما القائد « سبارتاك » الذي كان يسير على قدميه بين مقاتليه ، فقد قفز على حصانه وأعطى اشـارة الهجوم بالخطوة السريعة لمنع العدو من الانتظـام في ترتيب القتال . ولما أراد القائد الروماني أن ينظم كتائبه في ترتيب القتال الخطي ، انقض عليهم ، وصارعوا « سبارتاك » فاختلط الحابـل بالنابـل ، والتحمت التروس وتعالى صراخ المقاتلين . استمرت المعركة نصف ساعة تقريبا ، وعندما بدأ الرومان الانسحاب، خرج الفيلق الثاني (من قوات سبارتاك) من الكمائن وهاجمهم من المجنبات والمؤخرة مما ادى الى تطويقهم وتدميرهم بالتعاون مع الفيلق الاول .

أما الاعمال القتالية في الحروب التي قادها نابليون فقد تميزت بطابـع مغاير تماما ، حيث تبدل دور ومكان القادة فيها ، وظهـرت وظائف جديـدة لقيادة القوات .

نبين فيما يلي كيف جرت موقعة « بورودين » في عام ١٨١٢ بين قوات « نابليون » وقوات « كوتوزوف » . فقد بدأت الأعمال القتاليـة الرئيسيـة للقوات في الساعة السادسة صباحا واستمرت حتى الثانية عشرة ظهرا في ٢٦ آب (٧ أيلول(١)) في منطقة « سيمونوفسكي » و « بطارية رايفيسك » . وعموما فقـد بدأت المعركة للاستيـلاء على منطقـة « سيمونوفسكي » منذ السـاعة السادسة صباحا .

انطلقت قوات فيلق « دافو » الى الهجوم بترتيب ارتال الكتائب، وتحت تغطية نيران ١٠٢ مدفعا . ورد هذا الهجوم على أعقابه بتأثير نيران البنادق . لقد تم بدء الهجوم الثاني في الساعة السابعة صباحا ، وصد للمرة الثانية ، وقد قام نابليون بتعزيز فيلق « دافو » بفيلق القائد «ني» وبدعمه بنيران ١٥٠ مدفعا، لينطلق الهجوم الثالث في الساعة الثامنة صباحا . وقد أحبط هذا الهجـوم الفرنسي أيضا ، ونجحت بعض القوات فقط في اختراق « سيمونوفسكي » .

---

(١) ــ ٧ أيلول : هو التاريخ الصحيح ، اما ٢٦ آب فهو بالتاريخ القديم الذي لم تحسب فيه التصحيحات الفلكية . « المراجع ٢ » .

وفي الساعة الثامنة صباحا قام كلا القائدين (نابليون وكوتوزوف) باعادة تجميع قواتهما . دفع « كوتوزوف » الفيلق الثاني وقسما من الفيلق الخامس ، ومائة مدفع الى المجنبة اليسرى ، أما « نابليون » فقد دفع فيلقي «جونو» و «مورا» الى ضواحي منطقة « سيمونوفسكي » حيث جرت معارك ضارية ، وبعد ان نفذ الهجوم على نسقين بترتيب أرتال الكتائب،انتقل الى ترتيب الانساق الثلاثة.

واستمر الهجوم تلو الهجوم في محاولة لاحتلال منطقة « سيمونوفسكي » دون فائدة ، حتى كان الهجوم السابع الذي حشد فيه على هذا القطاع (٤٥) الف رجل ، يعززها ٤٠٠ مدفع ، مقابل (١٥ — ١٨) الف رجل من القوات الروسية معززة ب ٣٠٠ مدفع . ومع ذلك فلم تحقق هذه الهجمات النتائج المطلوبة .

وعندما قرر « نابليون » توجيه ضربة حاسمة بزج فيلق جديد في المعركة، كان القائد الروسي الشهير « كوتوزوف » قد انتزع منه المبادهة ، وقام بعد الهجوم الثامن لنابليون باتجاه منطقة « سيمونوفسكي » بتوجيه فيلقي القائدين « بلاتوف ، وأوفاروف » لتنفيذ ضربة على المجنبة اليسرى للقوات الفرنسية.

وجه « أوفاروف » ضربة بقسم من فيلقه باتجاه فرقة « أورنانو » قرب « بيزوبوف » ، بينما وصل « بلاتوف » الى الجنوب من « بيزوبوف » مثيرا بذلك الرعب في مؤخرة القوات الفرنسية . وكان ظهور القوات الروسية في مؤخرة وميمنة الجيش الفرنسي غير متوقع،مما اضطر نابليون لايقاف هجومه، وتوجيه القسم الاكبر من قواته لصد هجمات الخيالة الروسية . لقد غيرت الضربة المعاكسة التي وجهها «كوتوزوف» مجرى المعركة بكاملها ، فافلت زمام المبادهة من يد نابليون،الذي فقد الوقت ايضا. وبالتالي فقد استغل«كوتوزوف» الموقف والزمن الضائع لاعادة تجميع قواته ، وقد كتب هذا القائد المنتصر عن هذه الموقعة مايلي : « لقد استمر القصف المدفعي العنيف من الطرفين حتى أعماق الليل ، واستطاعت مدفعيتنا ان توقع خسائر كبيرة في صفوف الاعداء ، فأسكتت مدافعهم وأجبرت مشاتهم وخيالتهم على الانسحاب » . بلغت خسائر جيش « نابليون » في موقعة « بورودين » ٥٨ ألف رجل من أصل ١٣٥ ألفا ،

أما خسائر جيش « كوتوزوف » فقد بلغت (٣٨٫٥) الف رجل من أصل ١٢٠ الف رجل .

اذا كان الفاصل الزمني بين موقعتي « كازيمين وبورودين » يزيد على (١٥٠٠) عام ، فان هذا الفاصل لايقل عن قرن ونصف بين موقعتي بورودين وبرلين ، ومع ذلك فقد حدث تطور عاصف في القوى والوسائط القتالية ، وفي طرق خوض الاعمال القتالية ، وخاصة من حيث سرعة وديناميكية (حركية) تطور الاحداث .

لقد وصف مارشال الاتحاد السوفييتي « غ.ك.جوكوف » موقعة «برلين» بما يلي :

« لقد كان للالمان — حسب معطياتنا — اربعة جيوش تضم مالايقل عن ٩٠ فرقة مدرعة وميكانيكية . وقد علم فيما بعد ان مجموع القوات التي حشدت على اتجاه « برلين » لاتقل عن مليون مقاتل ، و ١٠ آلاف مدفع وهاون ، و ١٥٠٠ دبابة ومدفع اقتحام ، و ٣٣٠٠ طائرة قتال ، وذلك بالاضافة الى حامية برلين التي بلغ تعدادها مالايقل عن ٢٠٠ الف مقاتل » .

كانت القيادة الالمانية العليا قد خططت لملحمة برلين ، واعتبرتها بمثابة الملحمة الفاصلة على الجبهة الشرقية . وفي محاولة من هتلر لانعاش قواته ، فقد كتب في ندائه ليوم ١٤ نيسان مايلي : « لقد توقعنا هذه الضربة ، ولذا فقد اقمنا جبهة قوية أمام عدونا ، الذي سيصطدم بقوة مدفعيتنا الجبارة ، أما خسائرنا في المشاة فيتم تعويضها بعدد لايحصى من التشكيلات الجديدة ، ومن قطعات ووحدات الانقضاض التي تجعل جبهتنا قوية ومنيعة » .

كتب « غ.ك.جوكوف » اثناء تحضيره للهجوم مايلي : « اخذنا في الاعتبار ان العدو يتوقع ضربتنا على برلين ، ولذلك سعت قيادة الجبهة الى تدقيق كافة التفاصيل ، بحيث تكون الضربة مفاجئة ماأمكن . وقد قررنا الانقضاض على القوات المدافعة بقوة وعنف يؤديان الى زعزعتها وانهاكها حتى الجذور ، مستخدمين تجمعات كثيفة من الطيران ، والدبابات ، والمدفعية ، والاحتياطات المادية .

واستطعنا خلال وقت قصير جدا ان نحشد على قطاع ضيق من جبهــة « بيلوروسيا(١) » الاولى : ٨٣ فرقة مشاة و ١١٥٥ دبابة ومدفع ذاتي الحركة ، و ١٤٦٢٨ مدفعا وهاونا ، و ١٥٣١ قاعدة مدفعية صاروخية . وكان علينا ان ننقل قبل بدء العملية ٧٫١٤٧٫٠٠٠ طلقة مدفعية بواسطة الخطوط الحديدية، ولو أردنا نقل هذه الحمولة دفعة واحدة لاحتجنا الـى قطار لايقـل طوله عن ١٢٠٠ كم . أما على قطاع الضربة الرئيسية لقوات الجبهة ، فقد بلغت كثافة المدفعية ٢٧٠ فوهة مدفع من عيار ٧٦ مم فما فوق على الكيلو متر الواحد من جبهة الخرق » .

بدأ التمهيد المدفعي في الساعــة الخامسة تماما مــن صباح ١٦ نيسان عام ١٩٤٥ م ، فأضيئت الارض بواسطة القذائف المنطلقة من آلاف المدافـع والمدفعية الصاروخية ، واستحال الليل نهارا ملتهبا ، وتتالى دوي القنابـل وانفجارات قذائف المدفعية والهاونات وقنابل الطيران ، وضجت السماء بهدير الطائرات القاذفة ، وبعد ثلاثين دقيقة لم يستطع العدو خلالها ان يطلق طلقــة واحدة ، الامر الذي يدل على ابطال وسائطه النارية ، وحدوث الفوضى في جهازه الدفاعي ، انطلقت الى السماء الآلاف من شهب الاشارة المتنوعة . وتلتها الاضواء الكاشفة القوية من (١٤٠) جهاز اضاءة ، يبعد أحدها ٢٠٠ متر عن الآخر ، وأضيء حقل المعركة بما يزيد على مائة مليار شمعة ، مما أدى الى اعماء العدو وكشف الاهداف المعادية لدباباتنا ومشاتنا . وهكذا اغرقــت القــوات الالمانية في بحر من النار والحديد ، وارتفع جدار من الغبار والدخان في الهواء، حيث لم تستطع المدفعية ان تطالها . وبلغ النشاط الجوي أكثر من ٦٥٥٠ طلعة طائرة ، بينما اطلقت المدفعية مليونا و ٢٣٦ الف طلقة ، احتجنا الـى ٢٤٥٠ مقطـورة قطار لنقلها ، وكان وزن الحديد الـذي انصب فوق رؤوس العدو (٩٨) الف طن .

وهكذا بدأت وانتهت العمليــة الختامية للحرب التي خاضهـا الشعب السوفييتي ضد المانيا الفاشية . وما ان مضى زمن قليل بعد انتهاء هذه الحرب

(١) ــ روسيا البيضاء .

حتى ظهر السلاح النووي في القوات المسلحة السوفيتية ، وتحسنت وسائط الصراع المسلح ، والوسائط الالكترونية والحاسبات الالكترونية،وحصلت ثورة تقنية ـ عسكرية في العمل العسكري .

ستأخذ الاعمال القتالية البرية في الحرب المقبلة طابع المعارك المشتركة ، التي تشترك فيها مختلف صنوف القوات ، كالمشاة المحمولة ، والدبابات ، والقوات الصاروخية والمدفعية ، والقوات الخاصة ، والقوات الهندسية ، وقوات الاتصال وغيرها من القوات ، مع دعم بالطيران وأحيانا بقوى الاسطول البحري ـ الحربي .

يسود راي عن نشوء المعركة المشتركة في نهاية الحرب العالمية الاولى في موقعة « كامبراي(١) » التي جرت في خريف عام ١٩١٧ ، عندما استخدمت الدبابات الانكليزية بشكل كثيف في هجومها على المواضع الالمانية ، ودعمت بسد ناري زاحف من المدفعية وبأعمال نشيطة للطيران ، بينما قامت المشاة بالهجوم خلف الدبابات مباشرة .

لقد عولجت اشكال وطرق تنفيذ المعركة المشتركة في الفن العسكري السوفييتي ، وفي نظرية المعركة العميقة في الثلاثينات . وقد نشأ في التكتيك السوفييتي مفهوم « المعركة المشتركة » الذي يعتمد على تنسيق وتركيز جهود المشاة والمدفعية والدبابات والطيران لتحقيق الاهداف العامة . كانت نظرية المعركة المشتركة وتطبيقها قد حظيا بتطور هائل خلال الحرب العالمية الثانية ، في الأعوام (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) . وقد ادى الظهور السريع للسلاح النووي والعتاد الصاروخي،ووسائط الصراع المسلح الجديدة الاخرى بعد هذه الحرب، الى تبديل جذري في طابع المعركة المشتركة ، واكتسبت النار والمناورة ، وضربة القوات ، محتوى جديدا ، كما أضيف اليها عنصر جديد هو الضربة النووية. واصبح دور السلاح النووي وانواع الاسلحة والاعتدة القتالية الجديدة يتحدد بما تحدثه من تأثير حاسم على طبيعة المعركة وطرق أعمال القوات .

---

(١) ـ امتدت في الفترة الواقعة مابين ٢٠ تشرين الثاني و ٧ كانون الاول عام ١٩١٧ (المترجم)

ان الاستخدام الماهر للسلاح النووي يؤدي خلال فترة قصيرة جدا الى تكبيد العدو خسائر فادحة في العتاد والرجال ، والى اخراج وحدات وقطعات كاملة خارج المعركة ، وابطال نقاط الاستناد ، وتدمير المنشآت الهندسية والاغراض الاخرى ، حيث تتشكل مناطق من الارض الملوثة بالمواد المشعة ، وبالاضافة الى ذلك فان هذا السلاح يؤثر تأثيرا قويا على الحالة المعنوية للقوات .

لقد تعقد — في الظروف الحديثة — تنظيم وتنفيذ المعركة المشتركة ، ويمكن لهذه المعركة ان تنفذ سواء باستخدام السلاح النووي او بدونه ، ومع وجود التهديد الدائم باستخدامه . تتصف المعركة المشتركة — لدى وجود قطعات ووحدات ميكانيكية — بطابع المناورة الكبيرة والحركية العالية ، وبالتبدلات الحادة والسريعة للموقف ، وبالتطور غير المتساوي في الجبهة والعمق ، وبالمجالات الواسعة ، وبالوتيرات العالية للهجوم ، وبالاستهلاك الكبير للوسائط المادية .

تظهر في المعركة المشتركة الحديثة ، مهام جديدة تماما ، لم تكن عرفت — اصلا — في الحروب السابقة : كالاستخدام الفعال للسلاح النووي ، والصراع مع الوسائط النووية المعادية ، واستثمار نتائج الضربات النووية على العدو من قبل القوات الميكانيكية والمدرعة ، ووقاية القوات الصديقة من اسلحة التدمير الشامل المعادية ، وغيرها .

يلعب قرار القائد المتخذ في حينه والمعلل تعليلا سليما دورا هاما وبارزا في هذه الظروف ، اضافة الى ادراكه خصائص المعركة ، وتقديره الصحيح لامكانيات القوات وتوجيه جهودها لتحقيق النصر .

* * *

ثانيا ـ الجديد في مجال قيادة القوات

لم يطلق على المعركة الحديثة عبثا تسمية : معركة صراع العقول والقوى الفكريـة . وقد اعتبر تعدد الوسائط ، وتنوع أشكال وطرق تنفيذ الاعمال القتالية ، كمتطلبات اساسية رفيعة لزيادة حجم المعارف والمهارات الوظيفية ، والصفات الارادية والنشاط الذهني للكادر القيادي . ففي حال وجود ظروف عادية متساوية لدى الطرفين ، يتحقق النصر في ميادين القتال للطرف الذي يقدر الموقف تقديرا سليما ، ويعمل بسرعة واتقان على صنع القرار النموذجي المفضل، ويستفيد كليا من امكانيات السلاح والتكنيك ، ويخدع الطرف الآخر مستخدما الطرق والاساليب التكتيكية المفاجئة . ومن الطبيعي ان يلعب النشاط الابداعي والمنظم والهادف للقائد دورا أساسيا في هذا المجال .

فالقرار النموذجي للقائد ، لايعتبر فقط القاعدة الاساسية لقيادة القوات فحسب ، بل يعتبر مقياسا دقيقا وحساسا لتقدير فعالية نشاطه الذهني . وهنا يظهر السؤال التالي : بماذا يتميز قرار القائد في المعركة الحديثة عن القرارات التي كانت تتخذ في الحروب السابقة ؟

للاجابة على هذ السؤال لابد أولا وقبل كل شيء من بحث التبدلات الطارئة على القرارات حتى وقتنا الحاضر ، والتي اثرت على مضمون وطرائق واشكال قيادة القوات .

كان القائد « سبارتاك » يلجأ في تنظيمه للمعركة الى توزيع جهود قواته التي هي عادة من نوع واحد ، الى قسمين رئيسيين ، ويحدد زمن واتجاه عمل كل منهما ضمن مجال محدد .

وكانت قيادة القوات تنفذ أثناء القتال بالاشارات الشخصية ، او بالقدرة الشخصية التي يقدمها القائد العسكري الذي يشترك مباشرة في خوض الاعمال

القتالية ، وكانت القيادة الناجحة للمرؤوسين ترتبط الى حد كبير بالجراة والشاعة والخبرة التي يتحلى بها القائد ، وبمدى اتقانه وحسن استخدامه لسلاح القتال القريب .

كان يجب على نابليون وقادته المرؤوسين ان يقدروا الموقف المشكل فوق مساحة من الارض ، تبلغ بضعةكيلو متراتمربعة في الجبهة وفي العمق . وينسقوا أعمال ثلاثة صنوف من القوات هي : المشاة ، والمدفعية ، والخيالة . وكان التأثير على مجرى المعركة يتم بصورة رئيسية بزج قوات جديدة ، واحتياطات في المعركة ، التي كانت محدودة من حيث الزمن ، وتخاض غالبا خلال النهار فقط . وكانت سرعة تحرك القوات اثناء اعادة تجميعهـا ، ووتيرة التبدلات الجذرية للموقف اقل بكثير من سرعة جريان العمليات الاساسية للقيادة ، التي تشمل جمع وتقدير المعطيات عن الموقف واتخاذ القرار ، وايصال المهام الى القوات .

لقد تطلبت قيادة الاعمال القتالية التي حصلت اثناء الحرب العالمية الثانية أن يبذل القادة على كافة مستوياتهم الجهود الذهنية والمادية (الجسمية) ،لان المعركة كانت تستمر ليلا ونهارا ، وتشترك فيها المشاة والدبابات ومدفعية الميدان والمدفعية الصاروخية ، والطيران ، والمدفعية المضادة للطائرات ، والقوات الهندسية ، ومختلف قوى ووسائط الاستطلاع وغيرها .

وكان قائد مختلف الصنوف يؤثر على مجرى المعركة ، بالمناورة وتركيز نيران الدبابات والمدفعية ، والرشاشات ، والاسلحة المضادة للدبابات ، والبواريد، والبنادق الآلية ، وبمناورة القوات القادمة الى الجبهة من العمق ، وبالضربات الموحدة المنفذة من الجبهة ، والموجهة لمجنبة ومؤخرة العدو . كما يتم تنسيق الاعمال الدفاعية الصامدة مع الاعمال الهجومية التي تبدأ بخرق الدفاع المحضر المعادي ، بعد تمهيد ناري مدفعي وجوي كثيفين ، وكانت الكثافة النارية تساعد على انتقال القوات الروسية لمطاردة العدو المنسحب بجراة وحزم .

وقد نفذت الاعمال القتالية صيفا وشتاء دون توقف ، وفي الشمال والجنوب ، مع اقتحام الموانع المائية الواسعة ، والمدن الكبيرة ذات الابنية الحجرية

الضخمة ، وعبر الغابات والمستنقعات والجبال والصحاري . وقد أدى ذلك الى زيادة العبء النفسي على القائد والى تعقيد نشاطه ، فظهرت متطلبات جديدة رفيعة المستوى عن ضرورة صقل ايديولوجية القائد ومعارفه الوظيفية وصفاته الارادية والعقلية .

ان التبدلات الكبيرة في مضمون قيادة القوات ، وفي النشاط المتعدد الجوانب للقائد المشترك ، جرت وتستمر في ظروف الثورة التقنية ــ العسكرية الحديثة .

ــ لقد عرف مارشال الاتحاد السوفيتي ((آ٠أ٠ غريتشكو)) قيادة القوات:

((بانها تتلخص في التنظيم الدقيق المتقن ، والتامين الشامل المنفذ من قبل القادة والاركانات ، والموجهين السياسيين للاعمال القتالية للجحافل والتشكيلات والقطعات والوحدات المرؤوسة ، والتوجيه الهادف لجهودها من أجل التنفيذ الناجح للمهام المسندة لها)) .

ان مضمون قيادة القوات هو ظاهرة تاريخية،تحددها الشروط الموضوعية التي يؤدي تبدلها الى تبدل في مضمون عمليات القيادة . وان تغير المستويات الاقتصادية والعلمية والتقنية في الدول يؤدي بدوره الى تبدل طرق خوض الحرب والعملية والمعركة ، وبالتالي فان هذا يخلق متطلبات جديدة لقيادة القوات ، كما ان الاجراءات التقنية ــ العسكرية ، والمنهجية ــ التنظيمية اللازمة لتنفيذ هذه المتطلبات تؤدي بالضرورة الى تغيير مضمون قيادة القوات في الظروف الحديثة ، وتحتم وضع مهام جديدة أمام القادة والاركانات .

« ان الوسائط والطرق المتغيرة التي طرات على خوض الحرب ، وظهور انواع جديدة من الاسلحة والعتاد القتالي ، والتبدلات الجوهرية التي حصلت في توزيع القوى السياسية ــ العسكرية على المسرح العالمي بعد الحرب المنصرمة، قد اثرت جميعها على اشكال واساليب قيادة القوات المسلحة ، وقيادة القوات ،

---

(١) ــ آ آ . غريتشكو « القوات المسلحة للدولة السوفيتية » ــ اصدار عام ١٩٧٥ ص ٢٥٤ ــ ٢٦٢ ــ ٢٦٣ .

وتطلبت هذه الامور ضرورة التفكير العميق في الخبرة المكتسبة واستخدامها بمهارة في التدريب العملي للقوات)) .

ان العوامل الاساسية التي تحدد تغيير مضمون قيادة القوات في الشروط الحديثة للثورة التقنية ـ العسكرية هي التالية :

١ ـ الوسائط القتالية الجديدة (السلاح النووي ، الصواريخ من مختلف الانواع ...) التي أدت الى زيادة حادة في الامكانيات التدميرية للقوات ، وفي مدى وسرعة عمل كافة أنواع الاسلحة .

٢ ـ الاساليب الجديدة للاعمال القتالية ، سواء مع استخدام السلاح النووي أو بدونه .

٣ ـ ظهور قادة وضباط أركان من نمط جديد ، يؤمنون بعقيدة راسخة ، ومؤهلين جيدا من الناحيتين التكتيكية ـ العملياتية ، والتقنية معا ، ويعرفون بعمق واجباتهم الوظيفية ، ومدربين بدرجة عالية على تنفيذ هذه الواجبات . ومتقنين الاستخدام الابداعي والهادف للوسائط القتالية الجديدة واستثمارها بأقصى فعالية ممكنة .

٤ ـ وجود الوسائط الفنية الجديدة لقيادة القوات (وسائط جديدة للاتصالات اللاسلكية ، ووسائط توثيق وطباعة ، وعتاد وحاسب الكتروني ...) مما ادى الى زيادة كبيرة في الامكانيات الفيزيولوجية ـ النفسية للقادة وضباط الاركانات والاقلال من بذل الاجهادات البدنية .

٥ ـ اعداد النظرية البنيوية لقيادة القوات ، التي استدعت توجيه النشاط العملي للقادة والاركانات في الشروط الجديدة ، وتأمين رفع فعالية القيادة .

تلعب وسائط التدمير النووية دورا بارزا وحيويا ، حيث تستطيع أن تؤثر في آن واحد وبفعالية عالية على مساحات كبيرة جدا من اماكن تحشد

القوات المسلحة المعادية ومصادر الاقتصاد الحربي ، وكذلك على قوات النسق الاول المعادي التي تقاتل ضدها التشكيلات او القطعات الصديقة ، التي تعمل على نفس الاتجاهات العملياتية .

لقد ظهر في السنوات الاخيرة عدد كبير من وسائط الصراع العادية التي تستطيع ان تحدث تدميرا كثيفا للعدو على بعض الاتجاهات الهامة ، وبالتالي فهي تساعد في خوض الاعمال القتالية ذات الوتيرة السريعة والحسمية العالية على هذه الاتجاهات .

ويستمر تطوير هذا الاتجاه حاليا باعادة تسليح القوات بالاسلحة الآلية ، وزيادة القدرة النارية للمدفعية ، ورفع حجم (اعداد) القوات المدرعة والدبابات بشكل خاص . والوسائط م/د . ونظرا لامكانية الطيران في استخدام مختلف انواع القنابل والصواريخ ، فقد روعي تحسين نوعية الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات ، وتم ايضا الاستخدام الكثيف لحقول الالغام ولاجهزة التفجير المعدة لتحقيق المفاجأة ، وغير ذلك من الوسائط المختلفة .

ان ظهور وتطور الوسائط القتالية بشكل لامثيل له من قبل ، وضع القادة وضباط الاركانات امام ضرورة حل مهام جديدة ومعقدة : كاحباط الضربة النووية المفاجئة للعدو ، وتدريب القوات على خوض الاعمال القتالية ، سواء باستخدام السلاح النووي أو بدونه ، وتأمين الجاهزية الدائمة للقواتمن اجل تدمير السلاح النووي للعدو واستثمار نتائج الضربات النووية الصديقة اقصى استثمار ، وتنظيم الاجتياز الناجح للقوات لمناطق التلوث والتخريبات، واستعادة القدرة القتالية للقوات بعد ضربات العدو النووية ، والاستخدام الماهر لوسائط الصراع الجديدة : كالاسلحة الصاروخية - النووية ، ومجموعات الصواريخ المضادة للطائرات والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، وقطعات الانزالات الجوية ، ووسائط العبور الجديدة وغيرها .

لقد ازداد حجم المهام ، وتغير مضمون مهام القيادة والاركان في تنظيم التأمين الشامل للاعمال القتالية للقوات . فظهرت مهام جديدة كتنظيم وقاية

القوات من اسلحة التدمير الشامل المعادية ، وتنظيم الصراعات الالكترونية بما في ذلك وقاية الوسائط الالكترونية الصديقة من التشويشات المعادية .

والامداد الآني للقوات بمختلف الصواريخ ، وبالوقود لعربات القتال وعربات النقل .

كما ظهرت ايضا مهام جديدة معقدة أمام العمل السياسي ـ الحزبي ، واصبحت المحافظة على الروح المعنوية العالية للقوات من الضرورات الهامة التي ينبغي الاهتمام بها في شروط تنفيذ الاعمال القتالية ، وخاصة في شروط استخدام أسلحة التدمير الشامل .

وهكذا فقد تطلبت الشروط المتغيرة ، ووسائط الصراع الجديدة ، والمهام الجديدة الموضوعة أمام القيادة والاركانات ، ضرورة تغيير مضمون القيادة ، واعطائه سمات مميزة جديدة .

يدخل في مجال السمات المميزة الجديدة للقيادة الحديثة للقوات مايلي :

١ ـ زيادة مسؤولية القادة حيال القرارات المتميزة ، وتعاظم دور نمذجة هذه القرارات والحسابات المعللة .

٢ ـ الاهمية الحاسمة لفعالية قيادة القوات ، والاقتصاد الشديد بالوقت من قبل القادة وضباط الاركانات عند تنفيذ اية وظيفة متعلقة بقيادة القوات .

٣ ـ الواقعية القصوى في تخطيط الاعمال القتالية .

٤ ـ الترتيب الصارم لحجم المعلومات الواردة الى القيادة عن الموقف وللاوامر والتعليمات المعطاة .

٥ ـ النشاط ذو المردود الكبير لعمل القائد وضباط الاركانات في مجال قيادة القوات .

٦ ــ تعاظم دور التوقع في عمل القائد على اساس استخدام أساليب البرمجة الرياضية والتنبؤ الرياضي .

٧ ــ زيادة دور وسائط الاتصال في قيادة القوات .

٨ ــ الاهتمام الخاص في رفع حيوية أنظمة القيادة على ضوء ازدياد احتمال تعرضها للضربات النووية .

٩ ــ المناورة والحركية العاليتان لمقرات القيادة .

١٠ــ الدور الهام للاعداد النفسي ــ المعنوي للكوادر القيادية .

١١ــ تعاظم دورالتفكير الابداعيللقيادة وضباط الاركانات ، ومعرفتهمالامكانيات القتالية للقوات ، والاسس النظرية للعلم العسكري ، والمتطلبات الرفيعة التي يحتاجها فن قيادة القوات ، ومهارة القادة وضباط الاركانات في تنفيذهم لواجباتهم الوظيفية .

ففي الشروط المعاصرة وخاصة في ظروف التطور السريع للاسلحة تزداد مسؤولية القادة بشكل حاد عن القرارات المتخذة ، فالاخطاء المرتكبة ستكلف القادة ثمنا باهظا ، وقد لايمكن تصحيحها أحيانا . لذلك يعتبر الاتجاه الرئيسي السائد في الوقت الحاضر لزيادة فعالية قيادة القوات متمثلا باعداد أساليب اتخاذ القرارات ، التي تكون أقرب مايكون الى النموذجية .

ونمذجة القرار تعني : افضل استخدام للقوى والوسائط في الظروف الراهنة يحقق الحل الناجح للمهمة المسندة ، ولا تتأمن هذه النمذجة بالنشاط الفكري للقائد وبداهته وخبرته ، ومعارفه فحسب ، بل وبالحسابات التي تسمح بالاستخدام الاقتصادي للقوى والوسائط ، واختيار افضل حالات هذا الاستخدام في المعركة وتقدير النتائج المحتملة لهذه الحالة المنتقاة . وهكذا فان التغير الهام في مضمون عمليات القيادة وبصورة خاصة في مضمون اتخاذ القرار يتمثل بازدياد حجم الحسابات المنفذة ، وفي التقديرات المنطقية المفضلة للاخذ بهذه او تلك الحالة من القرار .

ان معارف القادة وضباط الاركان ـ لتنظيم القوات والميزات الفنية ـ التكتيكية للاسلحة والاعتدة الحربية ، والامكانيات القتالية للقوات الصديقة وقوات العدو ، والقدرة على ملاءمة هذه الامكانيات ، مع الظروف الواقعية للموقف ، وتوقع التطورات المحتملة للاعمال القتالية ـ تلعب دورا هاما وحاسما اثناء اعداد واتخاذ القرار . وتدل خبرة المشاريع المنفذة في الاعوام الاخيرة على ازدياد ملحوظ في معارف القادة وضباط الاركانات ، وعلى تنامي خبراتهم ومهاراتهم في قيادة القوات . وعموما فقد استطاع هؤلاء قيادة مرؤوسيهم وتنفيذ المهام المسندة بشكل مبدع . ومع ذلك فلا زالوا يرتكبون بعض الاخطاء في اجراء الحسابات التكتيكية العملياتية ، حيث ينطلقون دائما من الشروط الاكثر ملاءمة لاعمال القوات الصديقة . تتطلب الشروط الحديثة لخوض الاعمال القتالية رفع كفاءة التعليل الحسابي للقرارات المتخذة ، والاخذ بعين الاعتبار للامكانيات التدميرية لمختلف أنواع الاسلحة الحالية والمستقبلية .

يمكن للعدو ايضا ان يستخدم أسلحة قوية وسريعة التاثير . لذلك فان اتخاذ قرار نموذجي لايكفي وحده . بل يجب الاسراع في تنفيذه قبل العدو ، أي يجب سبق العدو ليس فقط في اتخاذ القرار ، بل وفي تنفيذه ايضا .

يجب ان تكون فعالية القيادة والعمل السريع لعناصرها في مستوى عال جدا ، واعلى في كافة الاحوال مما لدى العدو . وعندما تنفذ اية وظائف في قيادة القوات ، يجب على القائد واركانه ان يقتصدوا بالوقت الى اقصى حد ممكن ، ولا يعملون في اعداد وتخطيط الوثائق الزائدة وكتابة مالايلزم .

وتعتبر أتمتة الوظائف الاساسية لعناصر القيادة احدى أهم السبل المؤدية الى زيادة سرعة التعليل الحسابي للقرارات .

تتطلب فعالية قيادة القوات في الظروف الحديثة ، البحث لايجاد السبل الناجعة لزيادة سرعة عمل كافة عناصر القيادة ، وخاصة في تداول المعلومات التكتيكية ـ العملياتية عبر اقنية الاتصال ، وضمن القيادة نفسها ، ومعالجة هذه المعلومات واجراء الحسابات التكتيكية ـ العملياتية ، واتخاذ القرار واسناد

المهام القتالية الخ . وبصورة عامة ، يدخل في مجال قيادة القوات عامل الزمن الذي يجب اعارته الاهتمام اللازم .

ظهرت في الشروط الحديثة ضرورة بحث مسألة زيادة واقعية تخطيط الاعمال القتالية . واذا كان النجاح العملياتي في الحروب الماضية قد اعتمد على الانساق الثانية (الاحتياطات) والطيران ، التي كانت تسند لها مهام عامة للتأثير على مجرى المعركة ، فقد أصبحت القيادة العملياتية وحتى التكتيكية في الوقت الحاضر تملك وسائط نووية قوية ، ووسائط حديثة اخرى ، تستطيع بواسطتها ان تؤثر بشكل حاسم على مجرى المعركة ونتائجها ، اذا توفرت لهذه القيادة معطيات استطلاعية ، وحددت لها أهداف واقعية ومهام قتالية دقيقة. ثم ان التعاظم الكبير لكثافة التدمير بواسطة الوسائط العادية ، وبشكل خاص بواسطة فعل الوسائط النووية ، جعل القائد مضطرا الى التحديد الدقيق للمهام القتالية وبشكل مباشر على الاهداف المستقلة . ازدادت ايضا متطلبات فعالية ودقة وسرعة استخدام الوسائط النارية واتساع دائرة المهام المنفذة من قبلها . ويجب ان تكون قرارات القادة وخطط اعمالهم القتالية واقعية الى أبعد الحدود، وتراعى فيها الميزات النوعية والكمية للقوات وشروط الموقف .

كان تأمين المعلومات في السابق لايشكل معضلة كبيرة . اما الآن فأصبحت هذه المعضلة على قدر كبير من الاهمية بالنسبة للقائد وأركانه ، اذ يترتب على القائد ان يحصل على معلومات دقيقة ، سواء عن أغراض العدو وأماكن توضعها أو عن حالة القوات الصديقة . وفي الشروط الحديثة للحركية العالية للقوات يجب ان تتجدد هذه المعلومات باستمرار ، الامر الذي يعتبر ضروريا لاتخاذ القرار وتنظيم المعركة . ولا بد من القول ان مساحة جميع المعلومات في الشروط الحديثة وعلى المستوى التكتيكي قد ازدادت بحدة في الوقت الحاضر مما كانت عليه في الحرب العالمية الثانية ، كما تعاظم حجم المعلومات المجمعة وتعقد مضمونها .

ففي الوقت الحاضر اذا تم التأثير الناري على العدو بالوسائط الحديثة ، فان ذلك يغير طبيعة الارض وبالدرجة الاولى صلاحيتها لعبور القوات ، وعلى

القائد ان يأخذ هذه التغيرات بعين الاعتبار ، وان ينظم اعمال قطعات ووحدات الدبابات ، والقطعات والوحدات الميكانيكية بعد التأثير الناري الكثيف على العدو وعليه أيضا ان يعرف باستمرار الموقف الاشعاعي والكيميائي ،الامر الذي يتطلب منه الحصول على معلومات اضافية عن هذا الموقف ، وخاصة عـن الشروط الجوية ونتائج الاستطلاع الاشعاعي . . الخ .

تؤدي غزارة المعلومات الى ازدياد صعوبة معالجتها ، كما يؤدي تسرب الانباء الكاذبة خلالها للحاجة الى وقت وقوى اكبر ، مما يشغل عناصر الاركان فيها . لذلك يجب علـى القـادة والاركانات في الظروف الحديثـة الا يهتموا بالحصول على معطيات اضافية فحسب ، بل يجـب تحديد مصـادر وحجم ومضمون وملاءمة المعلومات التكتيكية ـ العملياتية . ولا يتعلق ذلك ـ فقط ـ بجمع المعلومات عـن الموقف ، بل وفي ايصالها الى القـادة والاركانات والقوات المرؤوسة بشكل اوامر وتعليمات .

ان اختصار الوثائق القتالية وانتظام المعلومات يعتبران مفتاحين اساسيين لزيادة فعالية قيادة القوات . وللاسف فان كثيرا من الوثائق القتالية التي تعد في بعض الاركانات تكون مطولة ، وسيئة الاعداد ، الامر الذي يستهلك وقتا كبيرا له .

يعتبر الضغط الشديد في عمل القادة وضباط الاركانات في قيادة القوات ـ بالنسبة للظروف الحديثة ـ شيئا مميزا من وجهة نظر سيكولوجية قرار القائد وهذا لم يكن مرتبطا بتعاظم حجم وصعوبة عمل الاركان فحسب ، بل الاعمال القتالية التي تعقدت كثيرا في ظروف المعركة المشتركة الحديثة .

ان التجميعات الضاربة المعدة لخرق دفاع العدو ، واقتحام الموانع المائيـة وكافة التحشدات الاخرى للقوى والوسـائط ، واللازمـة ـ مثلا ـ عند زج الانساق الثانية في المعركة ـ يجب ان تتم خلال زمن قصير ، ثم يعاد تجميعهـا من جديد بعد انتهاء تنفيذ المهمة . ومن الطبيعي ان تنظيم مثل هذا الحشـد يتطلب من القائد واركانه بذل النشاط والجهد ، كما ان اشتراك مختلف انواع

القوى والوسائط ذات الخواص القتالية المتنوعة يحتاج الى اجراء حسابات اضافية ، ويتطلب الحصول على المعطيات الاولية اللازمة لها .

ففي الشروط الحديثة يدخل في نطاق المتطلبات الجديدة لفعالية القيادة ، اختصار مهل العمل المحددة للقادة والاركانات في جمع وتعميم وتقدير معطيات الموقف ، واتخاذ القرار ، وتحضير وصياغة تعليمات القتال ، وايصال المهام الى القوات ، أضف إلى ذلك ان الطابع الديناميكي للحرب القادمة يجب ان يأخذ بعين الاعتبار عدم وجود توقفات في الاعمال القتالية . وبالتالي فان تخطيط وتنظيم العمليات والمعارك من قبل القادة والاركانات أثناء سير الاعمال القتالية ، سوف يتم أثناء خوض الاعمال القتالية التي تقاد ويخطط لما بعدها بآن واحد ، الامر الذي يزيد — أيضا — من وتيرة العمل .

ونظرا للتطور السريع الذي يطرأ على الموقف القتالي ، وازدياد حجم اعمال القائد واركانه في تنظيم اعمال القوات لحل المهام المتتابعة ، فقد دعت الحاجة الى ضرورة اجراء التوقع المعلل لتطور الحوادث في ميدان المعركة . ولكي يستطيع القائد ان يسبق العدو ، يجب عليه ان يوقف مسبقا خطة المعركة ويعطي التعليمات اللازمة للمرؤوسين ، لدى ظهور العلائم الاولى الدالة على تغير فكرة العدو . والافضل من ذلك ان يكون القائد قادرا على توقع هذه التبدلات مسبقا ، ليحافظ على زمام المبادهة باستمرار .

تفتح الطرق (الاساليب) الحديثة للتنبؤ ، والنمذجة الرياضية ،السبل نحو التوقع الموضوعي الذي يتميز بدرجة عالية من الثقة والدقة ، والى النفوذ عبر الزمن الى مجرى الاعمال القتالية القادمة ، ويساعد هذا التنبؤ على تحقيق الدقة في تخطيط الاعمال القتالية للقوات وتحضيرها ودخولها المنظم لخوض هذه الاعمال .

واذا نظرنا الى نتائج التطور الكبير الذي طرأ على أبعاد ومجالات الاعمال القتالية بالنسبة للحروب الماضية ، وخاصة على عرض وعمق نطاقات الأعمال القتالية ، نلاحظ ان مقرات القيادة أصبحت بعيدة عن بعضها ، وعن القوات

التي تقودها . ومن الطبيعي أن ربط هذه المقرات والقوات ببعضها يتطلب استخدام وسائط اتصال قوية ، وان هذه الوسائط تتطلب بدورها اتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها من الاعمال الالكترونية المضادة للعدو .

ان المسافات الكبيرة تعرقل عمل وسائط الاتصال المتحركة ، والاتصال الشخصي بين القادة والاركانات مع القوات ، وخاصة عند حدوث التخريبات والانهدامات والسدود والحرائق ، ومناطق التلوث الاشعاعي الواسعة التي تتميز بها الحرب النووية ، ولذلك نجد ان القائد والاركان يحصلون على كافة المعلومات تقريبا بواسطة وسائط الاتصال التي تعمل باستمرار ، وبغض النظر عن مكان وجود مقر القيادة ، سواء كان ثابتا أو متحركا .

ان العمل المتواصل للوسائط اللاسلكية واللاسلكية الموجهة في مقر القيادة يساعد على سهولة كشف أماكن توضعها ، فيمكن للعدو ان يحدد ـ بالتقاطع ـ أماكن مقرات القيادة العاملة ويوجه اليها ضربات دقيقة بنيران الوسائط العادية او الوسائط النووية . لذلك فان زيادة حيوية طول عمر جهاز القيادة تعتبر احدى أهم المشاكل الرئيسية لتنظيم قيادة القوات .

تعتبر مقرات القيادة ومن فيها أهدافا هامة لضرباته النووية . وبما ان مقرات القيادة الواقعة في المنطقة التكتيكية تكون قريبة من خط التماس المباشر مع العدو ، فانها ستتعرض للتأثير التدميري الفعال لوسائط التأثير الناري العادية بما فيها النابالم ، والاسلحة الصاروخية ، والحوامات والطائرات، الامر الذي يتطلب اتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها وتجهيزها هندسيا وتمويهها . أضف الى ذلك ان هذه المقرات قد تضطر العمل في موقف اشعاعي او كيميائي أو جرثومي معقد ، وتبدل بالتالي اماكن توضعها الملوثة منتقلة الى أماكن نظيفة أخرى ، أو انها تجتاز مع القوات التابعة لها مناطق التلوث الاشعاعي الواسعة، والمناطق المغمورة بالمياه ومناطق الانهدامات والحرائق . يسعى العدو لارسال مجموعات تخريب ووحدات انزال جوية ووحدات محمولة جوا لتوجيه الضربات على مقرات القيادة . لذلك ينبغي اثناء تنفيذ المشاريع الاهتمام الكبير بمعالجة

مسائل الحراسة والدفاع عن عناصر واجهزة القيادة ، وتعليم الاركان على سرعة نقل القيادة الى مقرات قيادة تبادلية ، ومقرات قيادة مؤخرة ، والعمل السريع لاستعادة نشاط جهاز القيادة الذي حدث به خلل ما .

وفي المعركة الحديثة تؤثر شروط التشويش المعقد بشكل فعال على ثبات العمل في جهاز قيادة القوات (الانفجارات النووية العالية ، والتشويشات القوية المقصودة ، التي يبثها العدو بواسطة أجهزة ووسائط الاتصال ، والامداد الكبير للقوات بالوسائط الالكترونية وتوضعها على أهداف مستقلة ، حيث يصدر عنها التشويش المتبادل في مواضعها الخ) .

وهكذا فان تأمين صمود وحيوية قيادة القوات في ظروف التهديد الدائم بالضربات النووية ، والاعمال اللاسلكية المضادة التي ينفذها العدو ، اصبح احد المسائل الهامة للقيادة .

يجب أيضا ان نأخذ بعين الاعتبار خاصة ازدياد مناورة وحركية مقرات القيادة ، حيث تنفذ القيادة حاليا وبصورة اساسية اما من الحركة ، أو من التوقفات القصيرة . وعموما فلن تتخلل الاعمال القتالية توقفات ذات اهمية ، وبالتالي يتم اتخاذ القرار التالي للمعركة وتخطيطها اثناء التوقفات القصيرة ، وفي عربات القيادة والاركان ، وعلى المستوى التكتيكي في احسن الاحوال .

طرات تبدلات جوهرية على الجانب المعنوي ـ النفسي لقيادة القوات . ذلك ان الضربات النووية ، واستخدام العدو لاسلحة التدمير الشامل الاخرى يمكن ان تجعل القوات الصديقة في وضع حرج ، بسبب الخسائر المادية والبشرية التي نزلت بها ، الامر الذي ينعكس على بنيتها التنظيمية ، كما يمكن ان تتلقى العناصر السليمة ـ بمن فيهم القادة والاركانات ـ جرعات اشعاعية عالية . حيث يعاني هؤلاء من صدمات نفسية ومعنوية وجسمية . تكون هذه الامور مؤثرة جدا في بداية الحرب ، حيث تنقص القادة وأركاناتهم الخبرة في خوض الاعمال القتالية في شروط استخدام أسلحة التدمير الشامل .

وفي هذه الشروط ينبغي ان يتحقق مبدأ صلابة القيادة ، الذي يفهم منها التمسك بتحقيق الاهداف الموضوعة ، وقدرة الضباط في السيطرة على الامور وقيادة المرؤوسين بحزم وثبات ، حتى في اعقد المواقف ، ومنع انتشار الرعب بينهم ، والقدرة ايضا على اتخاذ القرارات الحازمة والجريئة ووضعها موضع التنفيذ . يتحقق ذلك بالجراة اللامتناهية والحسمية والشجاعة والاقدام ، والارادة القوية والرغبة في المغامرة والتضحية بالذات ، والقدرة على تعبئة الناس لتنفيذ المهام المسندة اليهم بغض النظر عن الصعوبات .

* * *

ثالثا ــ فن القائد وتنوع أساليب القيادة

تتمثل السمات المميزة الهامة للقيادة الحديثة بمهارة القادة وضباط الاركانات في فن قيادة القوات ، واظهار القدرات الخلاقة والتفكير الابداعي . ويجب ان يعتمد ذلك على الحسابات الدقيقة والشروط الموضوعية للموقف القتالي . وقد قال « سوفوروف » :

« انه يجب على القائد ان يتخذ القرار بعقل وفن ومسؤولية » .

اي يجب ان يكون معللا وغير روتيني ، وفي الوقت المناسب ، ويتحمل صاحبه المسؤولية الكاملة عنه . ويجب ان يبنى القرار على الفهم العميق للاهداف والمهام القتالية المسندة ، وعلى التحليل والتقدير العميقين للموقف ، وعلى توقع تطور الاعمال القتالية المقبلة .

ولئن كان القرار الخاطىء في الحروب المنصرمة قابلا للتصحيح اثناء سير الاعمال القتالية ، وان تطلب ذلك ثمنا كبيرا من الوقت والدماء ، فانه يؤدي في الشروط الحديثة للحرب النووية الى عدم تنفيذ المهمة القتالية ، ووقوع خسائر لايمكن تعويضها . لذلك يعتبر تدريب القادة وضباط الاركانات على سرعة التجاوب مع التبدلات الطارئة على الموقف القتالي ، والسرعة والاتقان في اتخاذ القرار ، والاستخدام الابداعي للامكانيات القتالية والحركية العالية للقوات الحديثة من اهم المسائل الاساسية التي يجب الاهتمام بها خلال التأهيل القيادي للضباط . وان طبيعة قيادة القوات تعتمد كلية على شروط الموقف ، لذلك لايجوز اجراء التدريب بأساليب واحدة وبتسلسل واحد في الشروط المختلفة، الامر الذي يجب اتقانه واعارته الاهتمام اللازم .

وهنا نأتي بمثال بسيط نبين من خلاله مدى اهمية الفن الاصيل لقيادة القوات في المعركة الحديثة .

كان الهجوم قد طور بنجاح ، ولكن الجار الايمن لم يستطع التقدم،فكلفت سرية النقيب « ب . ديدوف » بتأمين المجنبة المكشوفة ، حيث أصبح معلوما ان العدو يحرك على هذا الاتجاه حتى كتيبة مشاة . قدر قائد السرية الموقف المتشكل ، وخرج باستنتاج مؤداة : ان السرية بقواها المتوفرة لن تستطيع ان تخوض معركة مكشوفة ضد قوى العدو المتفوقة ، وانه ليس ثمة من يمنع العدو من تحقيق فكرة اعماله المتمثلة بالوصول الى مؤخرة القوات المهاجمة ، سوى هذه السرية . اثبت منطق تطور الاحداث انه يجب التصرف فورا وبشكل مفاجىء قبل ان يكشف العدو السرية ويحدد قواها . واختمرت فكرة القرار في ذهن قائد السرية كما يلي : زيادة سرعة التحرك والالتفاف حول الغابة والانقضاض المفاجىء على الكتيبة المعادية المتقدمة ، والدخول معها بمعركة قصيرة ، ثم بدء الانسحاب . لقد توقع قائد السرية ــ ايضا ــ ان العدو سيبدأ المطاردة ، وانه سينسى حذره ، ويقع في منطقة مستنقعية لن يستطيع انيتحرك فيها ، الا علىالطريقالوحيدة . وهكذا فان مناورة قائد السرية اذا مانجحت ستحرم العدو من ميزة تفوقه على السرية . ولم يلبث النقيب « ديدوف » ان بدأ بتنفيذ فكرته .

لم تكد السرية تظهر من خلف الغابة ، حتى استطاعت عناصر الحراسة المعادية ان تكتشفها ، مما اضطرها الى الانتقال للهجوم الحاسم دون ان تتمكن من تحقيق المفاجأة الكاملة ، ومع ذلك فان نشاطها لعب دوره . واستطاعت ان توجه ضربة موجعة للعدو ، الذي لم يستطع التصرف بسرعة في الموقف الراهن . وعندما استعادت الكتيبة المعادية روعها بدأت بالضغط على السرية ، التي بدأت الآن تنسحب بعد ان تلقت الاشارة من قائدها . اما العدو فقد أصبح الآن في ممر جبلي ضيق ، اخطرت الكتيبة للعمل فيه ، حيث لايمكن الا لفصيلة منها أن تقاتل فيه ، بينما تبقى سائر قوى الكتيبة خارج المعركة .

واستطاع قائد السرية ان يحقق النجاح بما يلي :

التقدير الحاد والدقيق للموقف ، والاستخدام المتقن لخواص الارض ، وفي اتخاذ القرار الامثل ، والفهم العميق لتاثير عامل المفاجأة والفعالية ، وقبول المخاطرة المعللة . وبالاضافة لذلك فقد استفاد من اخطاء العدو .

يعتبر التطوير اللاحق والتحسين المستمر لنظام القيادة ــ القائم على اساس انجازات العلم والتكنيك الحديثين ، وزيادة القدرة القتالية وضمان وثبات ، وأتمتة كافة العمليات التي يتطلبها هذا النظام ، ومعالجة الطرق الفعالة للقيادة ــ من المهام الرئيسية التي يبحثها الفن العسكري في مجال القيادة الحديثة للقوات .

ان نتائج تحسين قيادة القوات تحدد فعالية هذه القيادة ، ولذلك يجب على القادة والاركانات ان يطوروا بشكل مبتكر ودائم الطرق والاساليب الجديدة التي تزيد من فعالية نظام القيادة .

وهكذا يمكن ان يستمر التطور اللاحق لقيادة القوات ، اذا اخذت بعين الاعتبار عدة عوامل اثناء تأهيل القادة والاركانات ، كزيادة فعالية القيادة ، وتعليل القرارات المتخذة ، وتأمين ثبات وفعالية عمل نظام قيادة القوات . ويجب ايضا على القادة وضباط الاركانات ان يهتموا يوميا في تحسين معارفهم باستمرار ، وتطوير قدراتهم الابداعية ومهاراتهم الفردية ، واتقان فن قيادة القوات في الموقف القتالي الديناميكي المعقد الحديث ، والعمل على رفع المهارة المهنية وتحسين القيادة النوعية للقوات . يجب ايضا تطوير أساليب جديدة لقيادة القوات ، تؤدي الى زيادة فعالية القيادة الحديثة ، وتطبيقها في مجال التدريب القتالي والعملياتي ، كما يجب فهم سيكولوجية قرار القائد في المعركة المشتركة الحديثة ، ومراعاة ظروف اتخاذ القرار ، والضغط النفسي الحاد الذي يتعرض له هذا القائد أثناء ذلك .

وعن التبدلات الطارئة على طبيعة ومضمون قيادة القوات ، نجد ان مارشال الاتحاد السوفييتي «آ.آ. غريتشكو»يعير اهتمامه المؤشرين التاليين:

الاول ــ الصراع من أجل كسب الوقت ، الذي يعتبر المشكلة الاساسية الاولى لعملية قيادة القوات . فالنصر سيكون حليف القائد الذي ينظم القيادة تنظيما جيدا ، ويعمل بسرعة وبصيرة في خططه وقراراته ، ومع ذلك يجب الا تطغى السرعة في العمل على العوامل الاخرى ، وخاصة على المؤشر الثاني المتمثل برفع نوعية القيادة .

تختلف نوعية القيادة باختلاف قدرة القادة من مختلف المستويات في التقدير الصحيح للموقف ، وفي اتخاذ القرار الامثل للعملية (المعركة) ، واسناد المهام القتالية بالشكل المطلوب ، وفي الوقت المناسب ، وايصالها الى التشكيلات والقطعات والوحدات ، وتنظيم التعاون وتأمين الاعمال القتالية للقوات من كافة النواحي ، وتنفيذ القرار بحزم وصلابة .

وسيكون النجاح حليفا للقادة وضباط الاركان الذين يعتمدون في قيادتهم للقوات على التحليل العميق للموقف والتوقع العلمي(١) .

بغية تقدير الشروط التي يجري فيها النشاط الذهني للقائد ، اثناء اتخاذ القرار في المعركة ، يجب مراعاة القيادة المتشعبة للقوات في المرحلة الحديثة لتطور العمل العسكري وعبر المستقبل القريب .

وانطلاقا من الخلفية المنهجية العلمية ، تدعونا الضرورة الى بحث عمليات قيادة القوات من الجوانب التالية :

١ ـ الجانب السياسي ـ العقائدي .

٢ ـ الجانب النفسي ـ الاجتماعي .

٣ ـ الجانب النظري ـ العسكري .

٤ ـ الجانب الفني ـ المادي .

٥ ـ الجانب المنهجي ـ التنظيمي .

ان كلا من هذه الجوانب يعتبر سمة تتصف بها قيادة القوات ، ويؤثر بالتالي على سيكولوجية قرار القائد ، وتتم دراسته في قسم خاص من العلم العسكري ، والى جانب العلوم الاجتماعية ، ويلعب دورا هاما في نشاط الضابط .

ليست قيادة القوات مجرد عملية لمعالجة المعطيات الاولية عن الموقف وتحويلها الى اوامر وايعازات فحسب ، بل هي ظاهرة اجتماعية معقدة في نظام

---

(١) ـ « آ . آ . غريتشكو » : القوات المسلحة للدولة السوفييتية ـ طبعة ثانية ـ اصدار عام ١٩٧٥ ـ ص ٢٦٤ .

العلاقات بين الدول ، حيث يقوم هذا النظام على أساس طبقي وعقائدي ، ويهدف لتحقيق اهداف سياسية معينة . لذلك ظهرت الضرورة الى بحث الجانب السياسي ـ العقائدي لعمليات قيادة القوات ، حيث تشكل هذه القيادة في السلم والحرب احدى الوظائف الهامة للسلطة الحكومية ، وترتبط مباشرة بسياسة الحزب والدولة ، وبالتالي فان القيادة عموما تعتبر أداة في يد الشعب، ينفذ بواسطتها الصراع المسلح ضد الاعداء ويصد العدوان الغاشم عن اراضيه ووطنه .

تكون القيادة في المجتمع الطبقي ذات طابع طبقي أيضا ، وبالتالي فان الجانب السياسي ـ العقائدي للقيادة يختلف من حيث تنظيم وطرق واشكال قيادة القوات بين جيوش الدول التقدمية ، وجيوش الدول الراسمالية .

يفهم من جوهر قيادة القوات : ان القيادة نشاط يهدف الى تحقيق مهام محددة . وعموما فان مهام القوات المسلحة تنبع من سياسة الحزب والدولة ، وبالتالي فهي التعبير عن الجانب السياسي ـ العقائدي لقيادة القوات ، أضف الى ذلك ان عملية القيادة تجمع في صميمها علاقات وارتباطات معينة قائمة بين الناس وهيئات القيادة وبين هؤلاء والقوات المرؤوسة .

وبطبيعة الحال ، فان لهذه العلاقات المتبادلة أساسا طبقيا . أما طرائق التاثير على القوات المرؤوسة فانها نابعة من جوهر القيادة ، وتتوافق مع السياسة التي ينتهجها الحزب والدولة معا .

يحدد الجانب السياسي ـ العقائدي للقيادة علاقة القادة والمرؤوسين بالمهمة المنفذة ، واهتماماتهم في تحقيق النتائج المطلوبة ، واقتناعهم بصحة الاوامر الصادرة اليهم .

يلعب الجانب السياسي ـ العقائدي دورا اساسيا في رفع الحالة المعنوية ـ السياسية للقوات ، وفي اعداد واستخدام افضل الطرق لقيادة القوات . وتتحدد القناعة العقائدية لدى القادة وضباط الاركان بالشعور بالواجب ، والفهم الصحيح لهدف الصراع النهائي ، ودرجة الحسمية التي تؤمن التضامن والروح

الجماعية والقدرة على العمل . ويعتبر هذا الجانب المنطلق الاساسي الذي تبنى عليه سيكولوجية قرار القائد .

تنفذ قيادة القوات من قبل اناس يتمتعون بصفات وقدرات ومواهب فردية ، وتتطلب هذه القيادة بذل النشاطات المشتركة للافراد والجماعات ، ولذلك لاتقتصر هذه القيادة على الجانب السياسي ــ العقائدي فحسب ، بل ترتبط ايضا بجانب آخر هو الجانب النفسي ــ الاجتماعي .

يقول « كارل ماركس » مايلي :

« لكي ينتج الناس يجب ربطهم بعلاقات وروابط معينة(١) » .

وهكذا تنشأ في مجموعات العمل المشترك ــ كهيئات واعضاء القيادات اثناء قيادتهم للاعمال القتالية ــ علاقات خاصة ، رسمية وغير رسمية (علاقات قيادة ــ مرؤوسين ، وعلاقات عمل وتعاون ، وعلاقات رفاقية ... الخ) .

تشكل هذه العلاقات أساس الجانب النفسي ــ الاجتماعي لقيادة القوات، وتتم دراستها حسب قوانين علم النفس العام والاجتماعي ، الامر الذي يسمح بالاختيار الصحيح لطرق التأثير الفعال على من تمارس عليهم هذه القيادة ، أي على الناس ، وبالانتقاء العلمي والتوزيع والتدريب للكوادر ، وتنفيذ الاعداد النفسي ــ المعنوي للقوات .

تكمن الاهمية العلمية لبحث الجانبين السياسي ــ العقائدي ، والنفسي ــ الاجتماعي لقيادة القوات ، في انها تعتبر المفتاح الاساسي لتحسين طرق اكساب المعارف النظرية ــ العقائدية لكادر الضباط ، وتأمين الالتحام بين اهداف الشعب والحزب والدولة ونشاطاتهم الموجهة لتعليم وتربية المرؤوسين على الولاء التام للوطن والتنفيذ الحازم لكافة أوامر وتعليمات القادة والرؤساء . بحيث تبرز القيادة العسكرية كوحدة متماسكة مع القيادة السياسية ــ الحزبية في قيادتها للقوات المرؤوسة .

---

(١) ــ مؤلفات « ماركس وانجلس » : مجلد ٦ ــ ص ٤٤١

يفرض الجانب النفسي ـ الاجتماعي لقيادة القوات على الضباط أن يحسنوا باستمرار صفاتهم القيادية ، كالارادة،والجراة ، والشجاعة ، والاقدام، والقدرة على العمل ، والصمود النفسي ، والصبر والجلد ، وغير ذلك . وان يعملوا على تربية المرؤوسين مستخدمين الاقناع ، وعند الضرورة يمكن اللجوء للعقوبات .

ويجب على الضابط أيضا أن يوطدوا ويعززوا العلاقات الطيبة في الوحدة العسكرية ، ويحققوا الانسجام والاستقرار النفسي للمرؤوسين اثناء تنفيذ الاعمال في هذه الوحدة ، وان يكونوا قادرين على حل الخلافات التي تنشأ بين أفرادها .

تتطلب الحرب الحديثة صمودا وثباتا نفسيا وسياسيا عاليا من جانب القوات ، وقدرة على تحمل الاعباء المعنوية والجسدية . كما أنها (أي الحرب) تتطلب من الضباط القدرة على التفكير المنطقي السليم في شروط الاعباء النفسية والمسؤولية المعنوية الكبيرة ، وعلى استخدام كافة أساليب المعرفة لاتخاذ قرار صحيح ، حتى مع وجود معطيات منقوصة ومتضاربة عن الموقف .

وان تنظيم الاعمال القتالية وقيادة القوات في مثل هذه الظروف ، يعتبران من أعقد مهام القادة ، كما ان اتخاذ القرار في المعركة يتطلب من القائد تعبئة كافة امكانياته النفسية ـ المعنوية .

يهتم الحزب والحكومة ، ووزارة الدفاع ، وادارة التوجيه السياسي في القوات المسلحة ، اهتماما كبيرا بمسائل الاعداد العقائدي والاعداد النفسي ـ السياسي لافراد القوات المسلحة ، بغية تحسين القناعة العقائدية والصلابة النفسية ـ المعنوية لديهم . ويجب على الضباط ان يتقنوا جيدا هذا العمل بغية تنفيذ الواجبات المعقدة والشاقة والحساسة التي تتطلبها قيادة القوات في الموقف القتالي .

وهكذا فان الجانبين السياسي ـ العقائدي ، والنفسي ـ الاجتماعي ، يحققان فعالية قيادة القوات ، ويحددان النشاطات العامة للقادة في ممارسة الاعمال القيادية ، وينظمان الى حد ما امكانيات هيئات وعناصر القيادة .

ان الشروط الموضوعية لنظرية قيادة القوات وتطبيقها ، تتمثل في طبيعة الصراع المسلح ، وقوانين العلم العسكري ، ومبادىء الفن العسكري ، التي تدخل ــ جميعها ــ اصلا في الجانب النظري ــ العسكري لقيادة القوات .

يعتبر تنفيذ النشاطات العسكرية ، ومبادىء الفن العسكري ، من قبل القادة وضباط هيئات القيادة ، عملية ابداعية ، يمارسها هؤلاء أثناء تنفيذ المهام القتالية في المعركة والعملية . وتنعكس في هذه العملية الابداعية ــ بالدرجة الاولى ــ أيديولوجية العاملين في هيئات القيادة التي تحدد مدى فهمهم لواجباتهم الوظيفية الشخصية ، والتي تشحذ قدرتهم على العمل ، وارادتهم وطاقاتهم ، واستعدادهم للتضحية . تعتمد هذه العملية الابداعية الى حد كبير على الصفات النفسية ــ المعنوية للقادة والرؤساء وضباط هيئات القيادة ، وعلى صبرهم وقدرتهم على تحمل الحرمان والاعباء الثقيلة ، وعلى امكانياتهم في العمل الجماعي ، واخضاع ارادتهم للتلاؤم مع قساوة الحياة العسكرية . تتحدد نتائج هذه العملية بمستوى تأهيل الكوادر القيادية ، وبمدى استيعابها للنظرية العسكرية الحديثة .

تعتبر القيادة التي تعتمد على استخدام القوانين الموضوعية للصراع المسلح ومبادىء الفن العسكري ، عملية ابداع موجه في تطبيق هذه القوانين والمبادىء وتسخيرها لسحق العدو في شروط الموقف القتالي الراهن ، الذي تستمر فيه الاعمال النشيطة لهذا العدو .

تؤلف القواعد العامة للفن العسكري الاساس النظري لقيادة القوات،حيث تضم نظريات فن العمليات والتكتيك ، التي تحددها الانظمة المطبقة في القوات المسلحة ، وخاصة بما يتعلق بالطرق والاشكال المفضلة للاستخدام القتالي لتشكيلات ، وقطعات القوات البرية ، بغية تحقيق النصر في المعركة والعملية . وتشكل هذه القواعد والاسس النظرية ، القاعدة الاساسية لتحقيق القيادة الهادفة للقوات .

ان تحقيق الهدف المحدد في مجرى الاعمال القتالية ، يتطلب من القائد ان يستخدم اسس تطوير هذه الاعمال ، معتمدا على المبادىء والقواعد المحددة في

الانظمة عن تحضير وتنفيذ هذا أو ذاك النوع من المعارك ، وبالتالي فان الجانب النظري ـ العسكري لقيادة القوات يعتمد على قوانين العلم العسكري ومبادىء الفن العسكري ، وعلى الطرق والاشكال المعدة لتنظيم وتنفيذ الاعمال القتالية ، والتي يتعذر بدونها تحقيق قيادة فعالة او اتخاذ قرار صحيح من قبل القائد . فالجانب النظري ـ العسكري لقيادة القوات يعكس مباشرة اسس الاعمال القتالية في مضمون قيادة القوات ومضمون قرار القائد ، بالاضافة الى مايقدمه فكر هذا القائد من لمسات عامة وخاصة الى النماذج المعروفة للاعمال القتالية. ثم ان الجانب النظري ـ العسكري يؤثر بشكل حاسم على الاهداف والمهام الفعلية للقيادة ، وعلى بنية ووظيفة هيئات القيادة ، وعلى حجم ومضمون عمل القادة وضباط الاركان في مقرات القيادة .

ويحدد هذا الجانب أيضا ، الغاية الحقيقية لعملية قيادة القوات ، ومضمون هذه العملية ، ويحقق صياغة جوهر قرار القائد للمعركة .

تنفذ قيادة القوات بوسائط فنية محددة ، كما تحتاج هذه القيادة الى التامين المادي .

تتحدد اهمية الجانب الفني ـ المادي للقيادة على ضوء العلم والتكنيك ، ووسائط الصراع المسلح ، الامر الذي يضطر قيادة القوات للاعتماد كليا في الظروف الحديثة على الوسائط الفنية التي تعزز وتقوي الامكانيات الفيزيو ـ نفسية للانسان ، وتسمح له بالتالي ان يتأقلم مع الحجم الكبير للاعمال ، وان ينفذها في اوقات قصيرة جدا .

وفي الظروف المعاصرة تعتمد قيادة القوات على ترسانة كبيرة من الوسائط الفنية المختلفة ، من وسائط الرصدالعادية البسيطة ، الى عربات القيادة والاركان المعقدة ، واجهزة الاتصال والآلات الحاسبة الالكترونية .

وان الحزب والدولة يحاولان بذل الجهود الكبيرة لتزويد القوات المسلحة بمختلف انواع الاعتدة والوسائط الفنية الحديثة ، بما في ذلك وسائط قيادة القوات .

يعتمد الجانب الفني ـ المادي للقيادة على القدرات السياسية والاقتصادية للدولة ، ذلك ان القيادة الحديثة لن تكون فعالة مالم تستخدم آخر ماتوصل اليه العلم والتكتيك من انجازات تقنية ، وخاصة في مضمار العتاد الالكتروني والاجهزة والمحطات اللاسلكية الموجهة والطابعات اللاسلكية ، واجهزة التسجيل والطباعة السريعة الالكترونية الحديثة .

نظرا لاهمية الجانب الفني ـ المادي لقيادة القوات ـ يجب على القادة وضباط الاركان ان يعرفوا جيدا الوسائط الفنية للقيادة ، وان يتقنوا حسن استخدامها في نشاطاتهم العملية في شروط التاثير الفعال للعدو ، وان يعتمدوا على امكانياتها في زيادة فعالية العمليات الذهنية النفسية أثناء اعداد القرار واتخاذه .

أما الجانب المنهجي ـ التنظيمي فيعتبر احد الجوانب الهامة التي تحدد نوعية ونشاط المسؤولين في مقرات القيادة . وهو الشكل الذي ينصهر فيه النشاط العملي للقادة والاركانات في ممارستهم لقيادة القوات . وبغية التنفيذ الناجح للوظائف القيادية ، يجب تنظيم العمل في مقرات القيادة ، واستخدام نظام اتصال جيد ، وأساليب قيادة علمية ، وطرق محددة لتحضير المعطيات الضرورية للقائد ، من أجل اتخاذ القرار .

تتلخص المهمة الرئيسية للقادة والاركانات عن رفع فعالية قيادة القوات في التنظيم الافضل لعمل هيئات وعناصر القيادة ، وفي الاستخدام للصفات العقائدية والنفسية ـ المعنوية للكادر القيادي وللنظرية العسكرية التقدمية لقواتنا المسلحة ، وللامكانيات الكبيرة للوسائط الفنية للقيادة بغية تأمين القيادة المضمونة والسريعة والمستمرة والمرنة للقوات ، مع مراعاة الشروط الحديدة للحرب الحديثة . ان الطريق لحل هذه المهمة تمر عبر البحث عن الاشكال المنهجية ـ التنظيمية لقيادة القوات ، التي تسمح بالتحقيق النهائي لمضمون العقيدة العسكرية التي تؤمن بها قواتنا المسلحة ، وبالاستفادة القصوى من النشاطات القيادية .

تكمن الاهمية العملية لدراسة المسائل المنهجية ـ التنظيمية لقيادة القوات في انها تفتح الطريق للتنظيم العلمي لعمل المسؤولين في مقرات القيادة ولاستخدام الاساليب الحديثة في اعداد واتخاذ القرار في الشروط الراهنة للموقف القتالي . وهي تساعد في اكساب الضباط المهارات المنهجية والقدرة في الاستخدام المرن لمختلف أساليب القيادة ، وللعمل في مقرات القيادة بروح ودية ورفاقية .

تعتبر المعرفة العلمية مؤشرا أساسيا للقيادة الناجحة ، كما ان المهارة التنظيمية على الصعيد العلمي ومعرفة استخدام العتاد القتالي ، واسس ومبادىء تنفيذ الاعمال القتالية ، والقناعة العقائدية ، هي كلها سمات لهذه القيادة ، وبالتالي فلا بد من محاولة اكتسابها مع رفع القدرة في التنظيم لدى القادة على مختلف المستويات .

ولتحقيق البحث الشامل لطبيعة قيادة القوات وارتباطها بسيكولوجية قرار القائد ، لابد من اجراء تحليل عميق لجوانب القيادة الخمسة الآنفة الذكر، وكشف ارتباطاتها وعلاقاتها المتبادلة المعقدة ، وبالتالي فهم دور ومكان كل واحد منها .

يبدو من الواضح ان النظرية العسكرية تحدد المضمون المباشر لعمليات قيادة القوات ، وهي تعتبر انعكاسا ذاتيا للقواعد الموضوعية للصراع المسلح ، وتشكل بالتالي أساس الفن القيادي .

ينبغي على القائد قبل اتخاذ القرار ووضع خطة المعركة وتحقيق النصر ـ ان يتمثل ـ على ضوء اسس ومبادىء التكتيك ـ الصورة الكاملة للمعركة وتسلسل تطورها المحتمل ، أي يجب ان يخلق في ذهنه واقع المعركة .

تبدأ دراسة طبيعة القيادة ـ عادة من الناحية العسكرية ـ النظرية ، وان الابداع في خلق واقع او صورة المعركة المقبلة من قبل القائد ، ينعكس ايجابيا على التنفيذ العملي لقيادة القوات في المعركة الحقيقية .

تلعب أيديولوجية القائد وعقيدته الطبقية دورا فعالا في تكوين الصورة

الذهنية ، حيث ينطلق من هذه العقيدة الى تحليل كافة جوانب القيادة . كما أن الجانب السياسي ـ العقائدي يشحذ النواحي الاخرى للنشاط القيادي للقائد ، ويساعده بتركيز امكانياته النفسية ـ الفردية في التنفيذ النموذجي للوظائف القيادية ، واختيار أفضل أساليب العمل ، والاستخدام الاقصى لما يتوفر من الوسائط الفنية للقيادة .

وأما الجانب المنهجي ـ التنظيمي للقيادة ، فانه ينظم عمليات القيادة ويحدد نظام العمل القيادي والمهام ووظائف القيادة . يهدف هذا الجانب الى حل عدد من المهام العملية قبل الوصول الى النتائج النهائية المحددة في الهدف المراد تحقيقه ككل .

تعتبر أساليب حل المهام المنهجية ـ التنظيمية نماذج ثانوية للاعمال القتالية ، او تشكل نماذج أولية لها . وبالتالي يتم الصعود من نماذج الاعمال القتالية الى نماذج التخطيط ، ونماذج النشاط الذهني للقائد .

اما الجوانب الاخرى للقيادة ، كالجنب السياسي ـ العقائدي ، والنفسي ـ الاجتماعي ، والنظري ـ العسكري ، والفني ـ المادي ، فهي ضوابط مختلفة وشروط محددة ، ينفذ القائد واركانه نشاطاتهم القيادية على ضوئها . ويعتبر الجانب المنهجي ـ التنظيمي السلاح المرن في يد القائد والاركان من أجل تحسين القيادة وتحقيق هدفها . ويبرر ذلك في كون المسائل الاساسية ذات الطابع السياسي ـ العقائدي ، والنفسي ـ الاجتماعي ، والنظري ـ العسكري ، والفني ـ المادي ، تحل عادة على مستويات كبيرة ، اي على صعيد الدولة والقوات المسلحة . لذلك تعتبر هذه الجوانب بالنسبة للقائد بمثابة شروط محددة ، يترتب عليه اخذها بعين الاعتبار عند ممارسة نشاطه التنظيمي والذهني ، وبالتالي فانه يستطيع من خلالها ان يظهر المعرفة والمهارة والخبرة في تحضير وتنفيذ المعركة المشتركة ، وتؤثر كل هذه الجوانب على سيكولوجية قرار القائد ، وتحدد اتجاه وفعالية النشاط الذهني للضابط في المعركة .

وهكذا فان طبيعة المعركة المشتركة الحديثة ، ودياليكتيك تغيرها في ظروف الثورة العلمية ـ التقنية ، وخصائص قيادة القوات في المعركة ، تشكل

شروطا معقدة للغاية في اعداد القرار واتخاذه ، وتزيد من اهمية هذا القرار ، وتفرض متطلبات لم تعرف من قبل على النشاط الذهني للقائد . لذا اصبح واجبا على كل قائد يعمل في المعركة المشتركة ــ وفي كل المستويات ــ ان يتفهم بعمق النواحي الميزة لسيكولوجية قرار القائد ، وان يفهم جيدا خصائص النشاط الذهني للقائد الاقدم ، ودور هذا النشاط في قيادة القوات وتأثيره على نتائج المعركة وطرق تطوير فعاليته .

* * *

الفصل الثاني

أسس ودوافع النشاط الذهني للقائد في عملية اتخاذ القرار

اولا ــ جوهر النشاط الذهني للقائد وطرق زيادة فعاليته .

ثانيا ــ الثبات الارادي – الانفعالي كاحد شروط فعالية النشاط الذهني في عملية اتخاذ القرار .

أولا ــ جوهر النشاط الذهني للقائد وطرق زيادة فعاليته

يرتبط اتخاذ القرار في الموقف القتالي بالعملية المستمرة لفهم هذا الموقف، حيث ينشط العمل الذهني للقائد أثناء عملية تفهم المهمة وتقدير الموقف واتخاذ القرار واعطاء أمر القتال . ويستمر هذا النشاط أثناء سير المعركة ، حيث ينبغي على القائد ان يفهم بعمق مايجري حوله ، وينفذ الاجراءات الفعالة لتحقيق المهمة القتالية .

يتم تفهم الموقف القتالي ، وتحليله ، وتقدير المعطيات التي أمكن الحصول عليها ، وخاصة عن العدو ، والقوات الصديقة ، والارض ، والجوار ، والموقف الاشعاعي ، والاحوال الجوية وغيرها .

فما هي طرق تفهم مايحيط بنا ، وخاصة عن الموقف القتالي أثناء اتخاذ القرار ؟

لعل الاجابة على هذا السؤال تكمن في ان النشاط الذهني للقائد عند

اتخاذ القرار هو : عملية مستمرة لتحسين وتعميق معلوماته عن الموقف والانتقال من المعرفة غير الكاملة الى المعرفة الافضل .

تدخل في عملية الادراك التي يمارسها القائد مجموعة اعمال ذات مؤشرات كمية ونوعية . وتتصف فعالية النشاط الذهني للقائد (الضابط) بمدى كمال او نقصان المعلومات التي ترد اليه أثناء سير المعركة ، وبمدى حفظها في ذاكرته واستخدامها في شروط المعركة الحديثة .

ان التذكر المضمون لحجم كبير من معطيات الموقف ، يساعد بشكل فعال على استخدام المعلومات المتوفرة من اجل اتخاذ القرار في حينه وايصاله الى المرؤوسين في الوقت المناسب ـ وقد اشار « آ.آ. غريتشكو » الى هذه الناحية فقال :

« يجب على القادة والاركانات الا يقتصروا فقط على اعداد القرارات الصحيحة ، بل يجب اتخاذها في الوقت المناسب ايضا ، وان القرارات الجيدة تبقى عديمة الفائدة اذا اتخذت بوقت وتأخر عن اوانه ، او أعطي وقت ضئيل جدا للقوات من أجل تنفيذها » .

تتطلب صعوبة النشاط الذهني للقائد ـ لدى اتخاذ القرار في شروط المعركة الحديثة ـ البحث عن السبل الفعالة التي تزيد من تحسين هذا النشاط في حالة السلم ، وأثناء تدريب القادة على شروط المعركة الحديثة .

وان ضرورة زيادة فعالية النشاط الذهني للقائد في الشروط المعاصرة تستوجب تحقيق المسائل التالية :

ـ اختصار الزمن اللازم لاتخاذ القرار من قبل القائد عند التحضير للمعركة .

ـ اختصار الزمن اللازم لاتخاذ القرار في مجرى المعركة ، حيث أن تعاظم وتائر الهجوم لايتيح للقائد الا الحد الادنى من الزمن لاتخاذ القرار في الموقف السريع التبدل ، ولمعالجة المهام التي تنشأ بشكل مفاجىء .

- زيادة حجم المعلومات الواردة الى القائد ؛ وبنفس الوقت فان هذه المعلومات تزداد مع ارتفاع وتيرة الهجوم ؛ ويكون القائد مضطرا الى تحليلها باستمرار ، كما ان الزمن المعد لمعالجتها يقل ؛ الامر الذي ينعكس على النشاط الذهني الفعال للقائد في تنفيذ المهمة القتالية حيث يصبح هذا القائد مضطرا اما الى تخفيض وتيرة الهجوم حتى يتوفر له الوقت اللازم لفهم ومعالجة المعلومات بكاملها ، واتخاذ القرار الصحيح ، او الى اتخاذ ضمن الوقت الذي تفرضه وتيرة المعركة ، حيث لايستطيع الاخذ بعين الاعتبار لكافة العوامل الضرورية لاتخاذ القرار النموذجي .

- ازدياد صعوبة الحصول على المعلومات بسبب الامكانيات المتزايدة لكلا الطرفين في التمويه الدقيق لتراتيب القتال . وكما هو معلوم فان تمويه القوات يزيد من صعوبة النشاط الذهني للقائد في المعركة ، ثم ان ازدياد مصادر الحصول على المعلومات في الشروط الحديثة للمعركة يجعلها مختلفة شكلا ونوعا .

- ازدياد تعقيد المعلومات الواردة الى القائد ، حيث يجب عليه ان يراعي لدى اتخاذ القرار عددا كبيرا من العوامل المعقدة والمتنوعة ، وذلك بالاضافة الى عوامل التنبؤ المعقدة وتلك التي يمكن ان تنشأ بنتيجة الاعمال القتالية للعدو .

- زيادة التأثير السلبي للعوامل التدميرية للسلاح النووي على النشاط الذهني للقائد في الشروط القتالية .

تؤثر هذه العوامل في آن معا على النشاط الذهني للضابط ، وعلى حالته النفسية بسبب نقص المعلومات وكونه مسؤولا عن التنفيذ الناجح للمهمة القتالية ، الامر الذي ينعكس ـ حتما ـ على اتخاذه القرار .

يؤدي كل ذلك الى زيادة متطلبات النشاط الذهني للقائد (الضابط) خلال عملية اتخاذ القرار للمعركة واثناءها ، ويعتبر تحسين هذا النشاط في الشروط المعاصرة من أهم الواجبات في تدريب القادة على قيادة القوات.

ومن هنا تنشأ ضرورة تحسين طرق واساليب الحصول على معطيات الموقف القتالي ، وزيادة مصادر الحصول على المعلومات عن هذا الموقف . ومن المعلوم ان القائد يحصل اثناء عملية النشاط الذهني على المعلومات من القائد الاقدم ، ويقوم شخصيا برصد أرض المعركة ، عاملا على جمع المعطيات اللازمة له وتحليلها ، وايصالها الى مرؤوسيه . يستخدم القائد الخريطة خلال عملية التعرف على الموقف ، التي تعتبر بدورها عملية معقدة متعددة الجوانب . لذلك يسعى كل قائد في الشروط القتالية للحصول على الكثير من المعلومات الدقيقة والكاملة من أجل تحقيق النصر على العدو . وان حل هذه المسألة يساعد القائد على معرفة وتحسين الاساليب والطرق التي تؤمن له الحصول على معطيات الموقف ، وتوسيع دائرة المصادر التي يمكن ان تقدم له الكثير من المعلومات .

لايفهم من ذلك أنه يجب الاكتفاء بمعرفة نظام الرصد الذي ينفذ ـ مثلا ـ من اليمين الى اليسار ، ومن الابعد الى الاقرب فحسب ، بل يجب معرفة وسائط الرصد وامكانياتها ايضا . وعلى القائد ان يعرف الوقت المحدد للحصول على المعلومات ، ونظام الحصول على هذه المعلومات وانتقاء الهام منها ، واستيعاب مايلزم منها لتحقيق النصر على العدو .

ففي أحد المشاريع احتاج كشف مقر قيادة « العدو » المموه جيدا الى وقت طويل . ولما كلف الملازم الاول « ف.غ.اوسيكوف » ذو الخبرة الجيدة باستطلاعه ، تمكن ان يفعل ذلك خلال بضع دقائق فقط ، بعد ان اعار انتباهه للتلال المختلفة في دفاع « العدو » .

تؤكد الخبرة القتالية الجيدة على ضرورة استخدام مختلف الطرق البسيطة للحصول على المعطيات عن العدو . وقد استطاع القادة والضباط أن يستخدموا نشاطهم الذهني خلال الحرب العالمية الثانية لابتكار طرق بسيطة وغير متوقعة ، علاوة على الطرق المعروفة سابقا . وقد كتب جنرال الجيش « س.م.شتيمينكو » عن ذلك مايلي :

« كانت الامور سيئة للغاية عندما لم نحصل على معطيات دقيقة حتى عن توضع القوات الصديقة . ولم يكن الامر اسهل بالنسبة للمعطيات عن العدو

ايضا . واتذكر انه تعذر علينا مرة تحديد وضعية قوات الطرفين على قطاعات الجبهة الغربية . وكان خط الاتصال القتالي معطلا . عندئذ قرر احد ضباط العمليات ان يتصل بالهاتف الى مركز القرية القريبة،حيث اجابه ممثل عن اهل القرية ، واعلمه انه لاتوجد قوات صديقة فيها.وعندما ساله عن وجود القوات الالمانية ، اجاب بالنفي ايضا ، وافاد بانهم موجودون فعلا في القرية المجاورة .

وهكذا استطاع هذا الضابط ان يحول على خريطة العمليات موقف القوات الصديقة والمعادية ، الامر الذي تأكدت دقته فيما بعد)) .

حصلت حوادث أخرى مماثلة ايضا في المرحلة الختامية للحرب الوطنية العظمى وخاصة في عملية (برلين) . فقد دلت الامثلة على الدور الهام الذي تلعبه المعطيات – التي يتم الحصول عليها أثناء دراسة الموقف في مستوى الفصيلة والكتيبة والفوج – في حل المسائل العملياتية الكبرى . وكلما كانت هذه المعطيات أكثر دقة ، كلما امكن اتخاذ قرار افضل من قبل القائد الاقدم عن المعركة .

يمكن ان تكون المعلومات كافية أو غير كافية او زائدة عن اللزوم . وبالطبع فان كل قائد يسعى لتنظيم نشاطه الذهني بغية الحصول على المعلومات الكافية والضرورية لتحقيق النصر على العدو . اما اذا كانت المعلومات غير كافية فلا يستطيع القائد ان يتخذ قرارا نموذجيا . ويبدو ان المعلومات الزائدة غالبا مرغوبة ، ولكن الامر ليس كذلك فعلا ، حيث لايستطيع كل انسان ان يختار منها مايحتاجه في لحظة معينة من أجل تحيق النصر في المعركة ، ويصبح ذلك صعبا جدا في شروط الاجهاد التي يعيشها القائد في الموقف القتالي . ومن جهة اخرى فان هذه المعلومات الزائدة قد تحدث لدى بعض الضباط من الرضى والقبول ، وبالتالي تحد من فعالية النشاط الذهني لديهم ، وتعيق تدقيق المعلومات المتوفرة .

ننظر الى نقص وزيادة المعلومات من جانب آخر ، هو : الجانب النفسي. فمن المعلوم ان الانفعالات التي تصيب الانسان في المعركة – نتيجة لظاهرتي نقص أو زيادة المعلومات – تؤثر على فعالية نشاط القائد ، وخاصة على فعالية نشاطه الذهني .

ولعل نظرية العالم السوفييتي «ب.ب. سيمونوف» توضح هذه الانفعالات حيث يفترض هذا العالم : ان الانفعال (آ) ينشأ عندما توجد الحاجة المحددة (ح) ، ويوجد ايضا عدم التساوي بين المعلومات المتوفرة التي يمكن ان تستخدم من اجل تنفيذ الفعل الراهن (م.م) والمعلومات اللازمة لهذه الحاجة (م ل) .

وهنا نستطيع ان نصيغ كتابة هذه الفرضية على الشكل التالي :

آ = (مل – مم) . وينتج عن هذه الفرضية القانون الآتي :

اولا – آ = صفر اذا كانت ح = صفر .

ثانيا – آ = صفر اذا كانت م ل = مم .

ثالثا – آ غير كافية اذا كانت مم = صفر .

رابعا – آ تغير علامتها اذا كانت مم > م ل .

يتبين من هذه الفرضية ان اقصى نشاط فعال للقائد يكون في الحالة التي تتساوى فيها المعلومات الموجودة لديه مع المعلومات اللازمة لاتخاذ القرار المفضل (اي النتيجة – ٢) وبتعبير آخر فان ذلك يحدث لدى وجود معلومات كافية. اما اذا كانت المعلومات اللازمة لاتخاذ القرار غير كافية (النتيجة – ٣) فتظهر الانفعالات عندئذ على اشدها ، وتترك تأثيرات سلبية عنيفة على النشاط الذهني للقائد في المعركة . واخيرا اذا كانت المعلومات المتوفرة اكثر من المعلومات اللازمة لاتخاذ القرار (النتيجة – ٤) فتظهر عندئذ انفعالات ايجابية لدى الانسان . ومع ذلك فان هذه الانفعالات التي تبدو لصالح القائد ، تحد فعلاً من نشاطه الذهني .

ولطالما يتناول الحديث ضرورة استخدام مختلف الوسائل بغية زيادة النشاط الذهني للقائد عند اتخاذ القرار ، لابد من الاخذ بعين الاعتبار للاسباب التي تؤدي الى خفض التأثير السلبي على الانسان في المعركة الحديثة ، والى تعليل المصاعب الكثيرة التي تنشأ في المعركة . تنشأ الصعوبات عادة بسبب شروط متعددة نذكر منها : الشروط الجغرافية والمناخية لمسرح العمليات

الحربية ، وخاصة في المناطق الجبلية والصحراوية . ونذكر كمثال على ذلك ماحدث أثناء الاعمال القتالية للقوات السوفيتية في منشوريا في سنوات الحرب الوطنية العظمى ، والتي كتب عنها جنرال الجيش « ا.ا.بلييف » مايلي : « كانت الشمس تسطع بنورها الوهاج . وفجاة تبدل الطقس وهبت رياح عاصفة هوجاء . فصرخ احد المقاتلين : انها عاصفة رملية ، واخذت الرمال الحارة تلفح وجوه وأيدي المقاتلين . ولم تمض برهة وجيزة حتى تعذر علينا تنفس الهواء أو شرب الماء . يالها من عاصفة رملية هوجاء . مسكينة ايتها الصحراء كم يعاني الناس فيك من أهوال العواصف الرملية وقوة الطبيعة . مرة اخرى سخرنا من انفسنا ، ومن هذه الطبيعة الموحشة . وقد شد كل واحد منا الاربطة على جسده يمنع دخول الرمال ، ولكن هيهات ... لقد سدت آذاننا وعيوننا بالرمال ، يالهول الريح المزمجرة والرمال الحارة . واستمرت العاصفة على هذا الحال بضع ساعات ، وفجاة خمدت وساد صمت رهيب ، وعاد الهدوء الى ماكان عليه ، بعد ان تراكمت الرمال على المسالك والطرقات التي اخذنا نشقها من جديد عبر القطاعات الصعبة ، لتواصل قواتنا زحفها الى الامام بتصميم أقوى وعزيمة اشد(١) » .

ان ذلك يؤكد مرة اخرى انه يجب ان يتم تحسين طرق ادراك الموقف القتالي ، واكساب النشاط الذهني فعالية عالية في زمن السلم . ويتحقق حل هذه المهمة بالمعرفة الجيدة لقواعد الانظمة المقررة ، والتطبيق العملي لاستخدامها أثناء الدروس والمشاريع والمناورات ، ويمكن التوصل الى ذلك بخلق مواقف معقدة ومتبدلة بشكل مفاجىء ، وبتجديد هذه المواقف أثناء التحضيرات والتدريبات الهادفة الى زيادة فعالية النشاط الذهني في الشروط المعقدة للمعركة الحديثة .

ويدخل أيضا في عداد السبل التي تزيد من فعالية النشاط الذهني للقائد، المراعاة الدقيقة والكاملة لقوانين واسس النشاط الذهني وتطوير العمليات النفسية الذهنية للقائد .

---

(١) ــ « ا . ا . بلييف » . عبر الكوبي والهينجان ــ اصدار ١٩٦٥ ــ ص ٦٥ ــ ٦٦ .

يتم ادراك الحقيقة الخارجية من جميع جوانبها بواسطة عمليات نفسية معينة تعرف بالعمليات الذهنية . والعمليات النفسية الذهنية :

هي انعكاس ديناميكي للحقيقة الموضوعية يوجه الانسان بشكل صحيح ، كما ينظم تماسه مع الحقائق المحيطة به بغية اعداد القرارات في مختلف الشروط .

ان الشعور والادراك والانتباه والتذكر والتصور والتخيل والتفكير والكلام، تمثل بمجموعها العمليات الذهنية التي يتم بواسطتها فهم الموقف القتالي . كما ان النشاط الذهني الناجح يتطلب تحقيق عمل منسجم لجميع هذه العمليات .

وهكذا يجب على القائد ـ عند مهاجمة الحد الامامي للعدو ـ ان يكون منتبها الى كل مايجري في المعركة ، ومدركا لاعمال مرؤوسيه وأعمال العدو ، وان يفكر ويتذكر بسرعة شارات التعاون مع المدفعية ويستعملها عند اللزوم ، وان يتصور التنفيذ اللاحق للمهمة القتالية والاعمال المحتملة للعدو ، وقيامه بالهجمات المعاكسة ، وان يسند المهام القتالية لقواته المرؤوسة في الوقت المناسب .

واذا كان الضابط ـ على سبيل المثال ـ يقظا في المعركة ، ولكنه ضعيف الذاكرة او ضعيف التصور فسيكون صعبا عليه ان يعد القرار ويتخذه في مجرى المعركة ، لانه سوف ينسى حتما بعض المعلومات ـ التي قد تكون هامة ـ عن العدو ، وبالتالي يصعب عليه ان يتصور كيفية تطور الاحداث عند ملاقاته للعدو .

يعتبر النشاط الذهني للانسان نشاطا انعكاسيا . وان الوسط المحيط بالانسان ، كالاشياء والظواهر والحوادث ، وشروط الموقف القتالي ضمنا ، يؤثر على مختلف حواسه . وان هذا الوسط يشكل حقيقة موضوعية تؤثر بدورها على النهايات العصبية الحساسة ، حيث يتحول التأثير الى نبضات تنساب عبر المسالك العصبية لتصل الى قطاعات معينة في الجملة العصبية المركزية . وهنا يحدث تحليل وتقدير واعداد الاشارة الى اعضاء الحواس لتقوم

بما يجب ، كالتفكير أو الحركة أو الافراز الخ . وبعد ذلك تصل الاشارة الحسية الى الجملة العصبية المركزية .

لايفهم من عبارة المؤثر (المهيج) دوي القنابل او انفجاراتها ، او كما يقول علماء النفس ، مؤثر الاشارة الاولى فحسب ، بل تفهم ايضا الكلمة او التعبير عن مؤثر الاشارة الثانية (اشارة الاشارات) .

تعتبر العمليات النفسية الذهنية السبيل الوحيد الذي يصل الانسان بالعالم الخارجي ، وبالتالي لادراكه الحقائق في هذا العالم . ويستطيع هذا الانسان ان يدرك بواسطتها الحقيقة الموضوعية التي تؤثر مباشرة على حواسه في لحظة معينة ، كأن يدرك الموقف القتالي ويقدره اثناء قيامه بالرصد المباشر لارض المعركة .

يدرك الانسان بواسطة العمليات الذهنية ماكان قد حدث معه وفكر به مليا في السابق دون ملاحظته في اللحظة الراهنة . ونذكر على سبيل المثال ، كيف يسترجع القائد في ذاكرته مشاهدته لاقتحام مانع مائي ، ويحلله ويدرسه من وجهة نظر الاخطاء والعيوب ، وذلك اثناء اعداده لقرار المعركة القادمة ، او المشروع القادم .

تسمح العمليات النفسية الذهنية للقائد بادراك الحقيقة الموضوعية التي لم يتعامل معها بشكل مباشر ، او لم يرها قط من قبل .

وهكذا فانه يمكن للانسان ان يدرك تأثير السلاح النووي على اسس نظرية التفكير . فنحن نعرف شيئا عن الاشعة (تحت الحمراء) المستعملة في اجهزة الرؤيا الليلية للعتاد القتالي ، دون ان نكون قد رأيناها مثلا .

ولعل هذا يدل على تطور عضوية الانسان . ومع ذلك فلو رأت عين الانسان هذه الاشعة الحرارية (يبلغ طول موجتها اكثر من ٨٠٠ ميلي مكرون ، ويمكن تمييزها بالسطوح الداخلية للعين) ــ لما استطاع هذا الانسان ان يرى الاشياء المحيطة به .

تعمل كل عملية نفسية ذهنية بشكل نموذجي في شروط معينة فقط . ونذكر مثلا ان الادراك المفصل (لكافة التفاصيل) لشيء ما ، يحتاج الى وجود اضاءة كافية . ويتحقق التذكر الافضل لدى استخدام عدد كبير من طرائق التذكر ، كما ان دقة ووضوح واختصار حديث القائد يتطلب منه ان يمتلك احتياطا من الكلمات . ولذلك يجب معرفة هذه القواعد والاسس واخذها بعين الاعتبار أثناء التدريب ، وفي الاعمال القتالية الحقيقية .

تتطلب زيادة فعالية النشاط الذهني تطويرا مستمرا للعمليات الذهنية للقائد .

ويجب عليه ان يطور باستمرار قدرته على ادراك كمية كبيرة من المعلومات خلال مدة زمنية محدودة ، وان يكون يقظا لما يحدث في المعركة ، وان يفكر بسرعة مراعيا شتى العوامل . لقد جرى في احدى القطعات تنفيذ التجربة التالية :

قامت احدى مجموعات قادة الفصائل بتنفيذ دروس خاصة على تطوير قدرة الملاحظة . واشتملت هذه الدروس على دراسة سيكولوجية الادراك والملاحظة وعرض لقطات منتقاة من مشاهد سينمائية لمدة قصيرة عن المعارك ، ثم يختبرون بما شاهدوه .

كما نفذت دروس اخرى في رصد ارض المعركة في موقف تكتيكي معين . وقد تبين بنتيجة ذلك ان قوة الملاحظة لدى اغلب هؤلاء الضباط قد ازدادت الى درجة كبيرة في الدروس والمشاريع التالية ، وخاصة بالنسبة لسرعة اكتشاف العدو . ولاكتمال كشفه في مواقفه الدفاعية .

ولعل هذا يدل على أنه يجب على القائد ان يطور نشاطه الادراكي ويعمل على نمذجته في شروط المعركة الحديثة ، عبر معرفته الجيدة لقوانين واسس النشاط وخلق شروط التحسين الوظيفي للعمليات النفسية الذهنية ، وتطويرها لديه شخصيا ، ولدى مرؤوسيه أثناء التدريب القتالي .

ثانيا ــ الثبات الارادي ــ الانفعالي كاحد شروط فعالية النشاط الذهني في عملية اتخاذ القرار

يعتبر الثبات الارادي ــ الانفعالي شرطا هاما من شروط فعالية النشاط الادراكي للقائد في المعركة . فالوعي الناجح يمكن ان يتشكل فقط عند وجود ثبات ارادي ــ انفعالي لدى القائد ، والذي يعتبر ــ أيضا ــ احد الصفات الارادية للقائد .

يتكون الثبات الارادي ــ الانفعالي للانسان في المعركة من تركيب نفسي معقد ، تتفاعل فيه الانفعالات النفسية ، كمعاناته لحقيقة ما ، وارادته المتمثلة بقدرته على السيطرة على سلوكه .

تتصف المعاناة في المعركة بالقوة والتنوع . وحول ذلك كتب «م.إ. كالينين» مايلي : « يمكن للانسان ان يعاني في الحرب خلال شهر واحد او عدة شهور أكثر مما يعانيه خلال عشر سنوات في زمن السلم ، ويمكنه ايضا ان يعاني في موقعة واحدة ، مايساوي معاناته خلال نصف حياته(١) » .

يمكن ان تحدث المعاناة اثناء القتال بتأثير العوامل التدميرية للاسلحة ، كأن تنفجر قذيفة معادية بالقرب من القائد . ويمكن ايضا ان ترتبط المعاناة من شدة تعلق القائد بواجباته ومن كراهيته للعدو .

تؤثر الانفعالات التي تنشأ في المعركة تأثيرا مختلفا على سلوك المقاتل . فيشد بعضها من عزيمته ويؤثر تأثيرا ايجابيا على نشاطه في المعركة ، بينما يخفض البعض الآخر من درجة نجاح الاعمال ومن فعالية النشاط الادراكي .

يمكن ان تقسم الاحاسيس التي تنشأ في المعركة الى مجموعتين يمكن تسميتها اصطلاحيا بالاحاسيس الاجتماعية والوصفية (الذاتية). فالاحاسيس الاجتماعية هي : حب الوطن ، وكراهية العدو ، والثقة في النصر ، والشعور بالواجب والمسؤولية . وتتكون هذه الاحاسيس قبل بداية المعركة ، وذلك تحت

---

(١) ــ « كالينين » في كتابه : عن التربية الشيوعية والواجب العسكري ــ ص ٢٠٤ .

تأثير العوامل الوطنية ، ومن خلال العملية التربوية ، وهي ترتبط غالبا بالعقيدة وتكون صلبة تحدد سلوك المقاتل في المعركة . يتم تنشيطها عبر ممارسة النشاط الذهني الفعال ، ونتيجة للاعمال ذات النشاط الكبير في المعركة .

وبالاضافة الى ذلك ، يمكن ان تنشأ في الموقف القتالي احاسيس وضعية (ذاتية) كالخوف والهلع والارتباك والحيرة . وهي لاتحدث الا في حالات محددة من المعركة ، فتؤثر غالبا على سلوك المقاتل خلال مدة زمنية قصيرة . ولكن هذه الانفعالات القوية وتاثيرها السلبي ، تزداد حدة بالنسبة للانسان غير المدرب جيدا ، وقد يؤدي ظهورها في المعركة الى شل كامل نشاط الانسان في المعركة.

وقد تحدث حالات نفسية طويلة الاجل ايضا ، حيث ترتبط درجة تأثيرها على نشاط القائد في المعركة ، بمدى استعداده وتحمله للمعركة الحديثة.

ففي شروط المعركة الحديثة يظهر هيجان قتالي يبلغ أشده في بداية تنفيذ المهمة ، وخاصة عند التحرك الى الحد الامامي ، وهو يعكس عادة درجة الانفعالات الملائمة للاعمال النشيطة في المعركة ، والتي تزيد بالتالي من فعالية النشاط الادراكي للقائد ، وعندئذ تعمل العمليات الذهنية بشكل مثالي . وأما الاحاسيس الاجتماعية ، فانها تنشط وتقوى وتتفاقم غالبا ، ويلاحظ استعداده عال لملاقاة العدو .

يمكن أن تنشأ حالة مماثلة هي حالة الاستنفار ، وخاصة اذا بقي الضابط وعناصره في وضع قتالي قلق لمدة طويلة ، وذلك عندما تؤجل ساعة تنفيذ التمهيد الناري أو ساعة بدء الهجوم. وتنشأ أيضا حالة الاستنفار لدى مشاهدة عدو مهاجم ولدى اقترابه من الحد الامامي للدفاع ، وكذلك لدى مشاهدة قوى متفوقة معادية تنفذ اعمالا غير عادية تشبه الهجوم النفسي .

وهكذا ففي شهر أيلول عام ١٩٤١ كانت القيادة الالمانية الفاشية قد دفعت الى جنوب ـ غرب (سباس ـ ديمانسك) فرقة المانية من وحدات (س.س) في هجوم نفسي ، مما اعتبر ظاهرة غير عادية للمقاتلين السوفييت .

وقد ظهر رتل من الجنود الهتلريين على جبهة ٥ر١ كم وعمق ٥ر١ كم ، متقدما بخطى متزنة نحو المواقع السوفيتية . كان الفاشيون يرتـدون الملابس السوداء المرعبة ويحملون البنـادق على أكتافهم ، ويتحركـون باتجاه دفـاع السوفييت . وكانت الدبابات الالمانية ترافق هـذا الرتل على مجنباته ، بينما كانت المدفعية تنفذ رمايات كثيفة ، وكان الطيران يقصف المواقع القتالية مـن ارتفاعات منخفضة .

كان القادة والمقاتلون السوفييت في البداية يتوقعون تطوير المعركة ، وهم في حالة استنفار شديد لاحاسيسهم . ومع ذلك وبالرغم من كون الهجوم غير عادي ، فقد قدروا الموقف بسرعة ، وعمل المقاتلون بنشاط مستخدمين النيران الكثيفة ، موقعين بالعدو خسائر فادحة في أهم الاهداف المعادية دون ان يتراجعوا الى المساتر . واستطاع القادة السوفييت ان يسيطروا على مرؤوسيهم واظهروا القدوة الحسنة في الجراة والتضحيـة بالنفس . وبغض النظـر عن انعـدام الشروط الملائمة للقوات السوفيتية ، فقد استطاع المقاتلون الصمود في المعركة وايقاع الخسـائر الكبيرة في صفوف العدو .

ان تحليل هذه المعركة يدل على ان الانتظار في الاستنفار يمكن ان يحقق فعالية عالية في المعركة . وفي المعركة الحديثة يمكن ان يحدث الشعور بهـذه الحالة عند احتمال قيام العدو بضربة نووية . ومع ذلك فلا يستبعد ان تتحول حالة الانتظار الاستنفاري الى الاحساس بالهلع ، وان الوهن الناجم عـن رد الفعل في حالة الهلع قد يعبر عنه بأعمال وتصرفات غير مقبولة .

يؤثر الخوف تاثيرا سلبيا على نشاط الانسان في المعركة ، ويمكن التغلب عليه بالدراسة المستمرة للموقف القتالي ومعرفة النجاحات التي تحصل على قطاعات اخرى من الجبهة ، وبالثقة بالنفس ، والثقة بالمرؤوسين ، وبفعاليـة السـلاح .

يعتبر الايحاء الذاتي ذا اهمية في التغلب على الخوف ، وحول هذه الفكرة كتب « غ.بيريوزكو » في كتابه : (ليلة القائد) مايلي :

« لقد عانيت كثيرا في الايام الاولى للحرب ، وخجلت من هذا الشعور فحاولت التغلب عليه » .

وهنا يوضح المؤلف هذا الشعور بما يلي ايضا :

« بدا لي ان رجلين يعيشان في داخلي ، ويختلفان تماما عن بعضهما ، حيث كان الاول يفكر ويقرر كما يجب ان يفعل رجل شريف وواثق من نفسه وانضباطي ، بينما كان الثاني يستمع وينظر فقط ، ويتفاعل مع الوسط الخارجي برد فعل غريزي . وتصورت ان الرجل الاول يقول للثاني : لماذا ترتعش ياهذا ؟ وحدث عندئذ ان سمع صوت تكسر اغصان الشجر في الخلف، فالتصق الرجل الثاني بالارض . وبغية التخلص من هذا الخوف ، فقد حاول الرجل الاول ان يشجعه قائلا : انك لم تكن تخشى شيئا من قبل ، فلماذا لاتشبه نفسك الآن ؟ واجاب الثاني : الواقع انني لا اعرف سببا لذلك ، وانما يبدو لي ان كثرة التفكير بالخوف جعلتني اخاف فعلا(١) » .

يمكن التغلب على التوتر الناجم عن الخوف ، بالاهتمام بنشاط آخر ، او بتنفيذ أعمال حركية . وغالبا مايكون للحركات التي يمارسها الشخص الخائف تأثير نفسي ايجابي .

قد تؤدي الانفعالات القوية الى القلق الذي يستبد بصاحبه عندما يضعف انتباهه عن الموقف او عن الوسط المحيط به ، وكذلك عندما يتصرف عن ممارسة نشاطه الذهني .

يعتبر الانتباه والتفكير الآني ، اللذان يحصلان في المعركة شرطين هامين من شروط منع القلق . يمكن ـ ايضا ـ ان تظهر في شروط الموقف القتالي حالة الاعياء ، وهي حالة التوتر والتعب والانهاك العصبي . فالانسان ذو التدريب غير الكافي على العمل في الحرب الحديثة يصاب بحالة الاعياء حتى في حالة عدم وجود خطر يهدد حياته . فاذا كان الستر في ارض المعركة يقي حياة الانسان من الشظايا ، فانه لايحميه بنفس الوقت من القلق النفسي الذي تسببه الاسلحة

(١) ـ من كتاب : « غ . بيريوزكو » . (ليلة القائد) . الصفحات ٤٣ ـ ٤٥ .

الصاروخية ـ النووية ـ او من معاناته لوجود خطر دائم يهدد حياته ، فيظل الخطر الدائم يهدد حياة الانسان في شروط الحرب النووية . وكلما كان هذا التاثير ضعيفا كلما دل ذلك على مدى التاهيل الجيد للقائد واستعداده للعمل في شروط الحرب الحديثة .

يؤثر الهلع كظاهرة سلبية تأثيرا كبيرا على فعالية النشاط الادراكي للقائد في المعركة ، وذلك عندما تحمل اعمال عناصره طابع عـدم الوعي لما يحدث او عندما تصعب السيطرة على هذه الاعمال . وقد عرفت منذ القديم حالات الذعر والهلع التي تصيب القوات . ولعل اهم أسبابها يكمن في عدم توفر الاستعـداد النفسي اللازم ، وفي بقاء هذه القوات لمدة طويلة تحت تأثير ظروف الخطرة وفي انعدام القيادة الحازمة في المعركة .

يعتبر الهلع في الجيوش البورجوازية ظاهرة غـير نادرة ، كما ان هـذه الظاهرة كانت تحدث ايضا في القوات السوفييتية خلال الحرب الوطنية العظمى ، ونذكر منها ماحدث في صفوف هذه القوات في صيف عـام ١٩٤٢ في منطقـة (الدون) ، حيث تعذر تثبيت الوضع في أحد القطاعات الهامة من الجبهة . وقد كتب عنها مارشال الاتحاد السوفييتي « ف.ا. تشويكـوف » مايلي : **((بدا لنا اننا قادرون على ايقاف هجوم العدو ، وراب الخرق الذي احدثه الالمان في دفاعنا ، لكن الهلع سيطر على القوات ، وفي المؤخرة ، وخاصة في القطعات الموجودة على الضفة اليمنى لنهر (الدون) . وكان قد انتشر نبا عن وجود الدبابات الالمانية على مسافة لاتزيد عن ٢ ـ ٣ كم . فاحدث هذا النبا البلبلة والفوضى في صفوف القوات ، وبدات قوات المؤخرة تتحرك بدون نظام الى المعابر ، وسرعان ما انتقلت الشائعات الى سائر القوات في الجبهة ، وكشف طيران العدو التحشدات الكبيرة للآليات والافراد بالقرب من المعابر ، فبدا بقصفها على الفور))** (١) .

يمكن منع الهلع والذعر بين القوات ، حيث ان أسبابه نابعة عن أسباب اجتماعية ، ولا ترتبط بالاسباب البيولوجية ، كما يرى علماء النفس العسكريون

---

(١) ـ « ف.ا. تشويكوف » ـ (بداية الطريق) اصدار عام ١٩٦٢ ص ٥١ .

في الدول البورجوازية . وهكذا فان تعميق القناعة العقائديه والوعي السياسي لدى الافراد ، والتربية على الثقة بالنصر على العدو ، وخلق الروح الجماعية والحصول على المعلومات عن الموقف القتالي في الوقت المناسب . والقيادة الحازمة للقوات في المعركة تعتبر من أهم الشروط لمنع الهلع ، ولا تقل عن ذلك اهمية قدرة القائد في التأثير على الحالة النفسية للمرؤوسين في الموقف المتشكل لمنع الهلع قبل بدئه ، او حتى بعد تفشيه في صفوف المقاتلين .

تؤثر الاحاسيس الاجتماعية تأثيرا كبيرا على سلوك المقاتل وروحه العسكرية في المعركة ، فتتحدد العلاقة بكل مايجري في المعركة على ضوء عقيدة المقاتل وقناعاته الفكرية ونشاطه السياسي . ويتطلب ذلك اجراء دروس خاصة في الاعداد النفسي للضباط ، وخاصة على تحضيرهم للتغلب على تلك الظواهر التي ترتبط مع الانفعالات غير المرغوبة ، كالخوف ، والتوتر ، والقلق ، والرعب .

وبالطبع فان كل قائد يسعى بشكل خاص للتلاؤم مع طبيعة المعركة الحديثة حتى يحقق نشاطا ادراكيا ناجحا ، يستطيع معه ان ينفذ الاعمال النشيطة في المعركة ، وان تحضير (تأهيل) الضابط لهذا التلاؤم ، يحد كثيرا من التأثيرات السلبية للانفعالات القوية على نشاط القائد في المعركة ، ويزيد من التأثير الايجابي لهذه الانفعالات على النشاط الذهني .

ومن المعلوم ان شعور الانسان بالسرور والرضى يزيد من فعالية ادراكه للموقف القتالي ، ومن قدرته على العمل ونشاطه في المعركة .

وبالتالي فلا بد من المحافظة على هذه الاحاسيس الايجابية لزيادة فعالية النشاط الفكري للقائد ، الذي يحقق بدوره أقصى درجة من النجاح . ويمكن المحافظة على هذه الحالة المثالية في المعركة ، اذا كان القائد يتمتع بارادة قوية .

ان الثبات الارادي ـ الانفعالي للقائد كأحد شروط فعالية نشاطه الذهني أثناء اتخاذه للقرار ، يتميز بما يلي :

١ ـ الانسياب الثابت للعمليات الذهنية أثناء اتخاذ القرار ، وعدم وجود الانفعالات القوية التي تعيق هذا النشاط .

٢ ـ الاستخدام الاقصى للمعارف المتوفرة .

٣ ـ المحافظة على المهارات المكتسبة قبل المعركة .

٤ ـ غياب سوء التنظيم في النشاط .

٥ ـ عدم وجود الصراعات المستمرة للدوافع في عملية اتخاذ القرار في المعركة.

٦ ـ الهدفية أثناء تنفيذ المهمة القتالية .

٧ ـ القيادة الحازمة للمرؤوسين في المعركة ، وغياب الشك (الريبة) أثناء تنفيذ المهمة القتالية .

ولكي يتأمن الثبات الارادي ـ الانفعالي في المعركة ، يجب على القائد ان ينمي في شخصه الدوافع الاجتماعية الواسعة في سلوكه . ذلك ان الانسان يعتمد في تصرفاته على دوافع متنوعة ، اجتماعية وجماعية وذاتية ، وعلى الحوافز عموما(١) .

تلعب الدوافع الاجتماعية الواسعة دورا خاصا في هذا المجال ، لانها تعتمد أصلا على مبادىء وقيم اجتماعية وعقائدية ـ سياسية . أما الدوافع الذاتية فتعكس التصرفات التي ترتبط مباشرة بالمحافظة على حياة الانسان . لذلك ينبغي ان يقوم الثبات الارادي ـ الانفعالي على أساس عقائدي ، وقناعات فكرية ، وعلى تقوية الدوافع التي يحترمها المجتمع . ويقع ذلك على عاتق السلطة السياسية التيتأخذ كل هذه الدوافع بعينالاعتبار في ممارستها للقيادة السياسية والتربوية والنفسية عموما(١) .

ان اهمية تنمية الدوافع الاجتماعيةالواسعة ، نابعة من كون الانسانيقدر مايجري في المعركة على ضوء قناعاته ووجهات نظره . ولا بد ـ لتحقيق فعالية النشاط الادراكي ـ من اجراء التقدير الذي تكون فيه الدوافع الاجتماعية للسلوك محددة بدقة .

---

(١) ـ « ف.ا. كوفاليف » : (دوافع النشاط العسكري) . اصدار عام ١٩٧٥ .

(١) ـ برنامج اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي ـ اصدار عام ١٩٧٤ ـ ص ١١٨

يلعب امر القائد دورا كبيرا في الدوافع الاجتماعية الواسعة للسلوك. وعلى القائد الا يعرض نفسه للخطر أثناء الاعمال القتالية ، وتنشأ هذه الظاهرة عادة من عدم التقدير الكامل للخطر من قبل القائد . ويكون سعي القائد الى تحقيق النصر في المعركة قويا لدرجة لايستطيع معها حتى من التفكير بالخطر ، ذلك ان تفكيره بواجباته العسكرية ، وبتحمل المسؤولية كاملة امام وطنه وشعبه ، يؤدي غالبا الى العمل الطبيعي للوظائف النفسية لديه في شروط المعركة الحديثة .

ان لاكتساب القائد الخبرة الارادية ــ الانفعالية ، وانعكاسها على سلوكه دورا كبيرا في الظروف المعقدة . وهكذا ففي الشروط الخطرة ، ولجعل الدوافع الاجتماعية الواسعة ذات تأثير قوي على سلوك القائد في المعركة ، فلا بد من وجود الخبرة الارادية الانفعالية التي تحقق مستوى وعملا مثاليا للعمليات الارادية .

يساعد تراكم الخبرة الارادية ــ الانفعالية لسلوك القائد على جعل التأثير النفسي خلال عملية التعليم قريبا جدا مما هو عليه في شروط المعركة الحديثة. ويمكن خلق هذا التأثير في ظروف شديدة التعقيد. وقد دلت المعطيات التجريبية الاختبارية ، ان الثبات الارادي ــ الانفعالي يتشكل فعلا في مثل هذه الظروف.

ان الوضعيات المعقدة ، والموقف القتالي الصعب والمتنوع ، والتدريب في شروط توفر الوقت القليل جدا تجعل القائد سريع الادراك والتذكر والتفكير ، وبالتالي فانها تطور لديه العمليات النفسية الحركية . وفي هذه الشروط يقوى التفكير الآني اي : تتطور قدرة القائد في تقدير الموقف المتشكل مع الاخذ بعين الاعتبار لمختلف الامور اللازمة للتكيف الصحيح مع الحالات المعقدة .

ان المهارات المكتسبة من خلال الشروط البالغة التعقيد ، تسمح للقائد بالعمل في الشروط الخطرة ، معتمدا على تراكم الخبرات لديه ، وعلى المهارات الضرورية للعمل في المعركة . وكلما كان القائد غنيا بالخبرات والتجارب كلما اصبحت معلوماته اكثر عمقا ، وخبراته اكثر صلابة ، كما ان ازدياد هذه الخبرات والمعلومات يسهل على هذا القائد انتقاء الاعمال الضرورية لاتخاذ

القرار اللازم ، الامر الذي يعني ازدياد فعاليةحركيته ونشاطه الذهني في شروط المعركة الحديثة .

يكتسب القائد في الشروط الشديدة التعقيد خبرة عملية ، تشمل مختلف حالات المواقف المعقدة ، حيث تسمح له هذه الخبرة في اللحظة الحرجة بالانتقاء السريع لنوعية الاعمال الواجب تنفيذها ، والتي تلائم القرار المتخذ عن المعركة. ويمكن للضابط ان يعتمد على خبرته السابقة ويتخذ قرارا جديدا .

بالرغم من عدم وجود اية علاقة له بما سبق للضابط ان اتخذه او عرفه من قرارات . وان ضرورة جمع الخبرة اثناء التدريب القتالي تنبع من كون الضابط يتعرض للتأثيرات السلبية للانفعالات لدى اتخاذه القرار .

وكلما كانت هذه الانفعالات قوية ، كلما كان القائد بطيئا في اتخاذ القرار . وان هذا التباطؤ في اتخاذ القرار لدى عدم توفر الوقت يؤدي بدوره الى زيادة الاضطراب والى خفض درجة النجاح في عمل القائد .

وعندما نتحدث عن الشروط الشديدة التعقيد اللازمة لتدريب القائد على الاعمال والوضعيات الخطرة ، فاننا نعني بذلك أنه يجب تعقيد الشروط التي تتم فيها عملية التدريب مع مراعاة مستوى المتدربين .

ان تشكيل موقف معقد ومفاجيء ، وغير عادي اثناء التدريب القتالي ، يؤدي الى انفعالات قوية . وان التأثير السلبي لهذه الانفعالات على نجاح النشاط الادراكي للضابط ، يضعف بنتيجة التعود على العمل في الشروط المعقدة .

وبالاضافة الى ذلك يحدث تراكم للخبرات الارادية ـ الانفعالية لدى الضابط الذي يصبح بالتالي قادرا على التكيف الهادىء ، وصلبا امام الخوف ورابط الجاش في الشروط المعقدة للمواقف القتالية .

ولتكوين الثبات الارادي ـ الانفعالي لدى القائد ، يجب عليه ان يعكس في المواقف التي يخلقها كافة الاعمال المحتملة للعدو ، وكافة اعمال قطعته(تشكيله) في مختلف الشروط القتالية المعقدة .

تعزز قدرة القائد في السيطرة على سلوكه وتصرفاته في شروط المعركة بما يلي :

١ ــ اسناد المهام القتالية في الوقت المناسب .

٢ ــ المعلومات الحينية عن العدو والصديق والجوار .

٣ ــ النشاط المستمر للقائد في المرحلة التي تسبق المعركة .

٤ ــ التأثير الشخصي للقائد على المرؤوسين،عبر الاختلاط معهم وتشجيعهم.

تتحقق زيادة الثبات الارادي ــ الانفعالي للقائد بتنمية المزايا المتعلقة بارادته ، كالهدفية ، ورباطة الجأش ، والاستقلالية ، والحسمية ، والشجاعة وغيرها .

وسنبين في المثال التالي ، كيف تظهر هذه المزايا في المعركة :

اسندت الى قائد الطليعة المقدم « غ.ن. فيليبوف » (رتبته الحالية :

لواء وبطل الاتحاد السوفيتي) ــ أثناء انهاء تطويق التجميع المعادي ــ المهمة التالية : احتلال جسر هام على نهر (الدون) في منطقة (كالاتش) . كان الجسر محميا بشكل جيد من قبل العدو ، وفهم قائد الطليعة : ان سريتي مشاة وخمس دبابات وبضعة مدافع ليست كافية لخوض اعمال عادية في احتلال الجسر ، فاتخذ ونفذ قرارا جريئا . اختار هذا القائد عددا من المسالك المؤدية الى النهر ، واستفاد من ظلمة الليل ليندفع مسرعا بآلياته ذات المصابيح المضاءة ، ودون ان يطلق طلقة واحدة عبر خط الدفاع المعادي . سمح الالمان ــ الذين اعتقدوا ان الرتل يتبع لهم ــ للآليات بالمرور الى الضفة اليمنى ، ومع الفجر دمرت القوات الالمانية التي تحمي الجسر ، بعد ان هجم عليها قائد الطليعة بقواته مستوليا على الجسر.ثم لم يلبث ان نزع الالغام عنه وأقام دفاعا دائريا. استطاعت قواته فيما بعد أن تصد الهجمات الالمانية المتكررة لاستعادة الجسر ، مكبدة اياها ٧٠٠ رجل .

وهكذا فان الجرأة والشجاعة وصمود المقاتلين السوفييت ، مع استخدام المبادهة والشجاعة من قبل القائد ، ساعد على التنفيذ الناجح للمهمة القتالية الصعبة .

وهذا « ف.ن.ليونوف » الحائز على لقب بطل الاتحاد السوفييتي مرتين، بحدثنا عن مشهد قتالي طريف ، فيروي لنا : ان سرية هاجمت مرتفعا تحتله القوات الهتلرية . فواجه العدو القوات المهاجمة بنيران عنيفة من اسلحته الآلية ، وانبطح المقاتلون على الارض،جرح قائد احدى الفصائل جرحا بليغا ، واستشهد قائد السرية . واصبح الرقيب « باغودين » الاقدم رتبة في السرية قائدا لها . فتراس مجموعة مؤلفة من اربعة أشخاص ، وقطع الوادي زحفا حتى تجاوز المرتفع . ثم شاهد بالصدفة دبابة معادية تتزود بالوقود ، فأعطى أوامره للمجموعة التي انقضت عليها وقتلت جميع عناصرها ، ثم دخلت اليها عبر الفتحات المكشوفة . وحيث ان الرقيب « باغونين » كان يعرف الدبابات ٣٤ـ المماثلة تقريبا لهذه الدبابة ، فقد شرع مع عناصر مجموعته بقيادة الدبابة المعادية التي تحمل شارة الصليب المعقوف على تصفيحها ، واتجه نحو العدو ، مطلقا النيران من أسلحتها باتجاه النقاط النارية المعادية ، وهكذا تمكنت السرية بفضل هذه المبادهة من الاستيلاء على المرتفع بسرعة .

لقد ادت الشجاعة ورباطة الجأش والشعور بالمسؤولية التي اظهرها هؤلاء الجنود في لحظة حرجة من المعركة الى تقرير نتيجة الهجوم .

يساعد تشكيل وترسيخ الثبات الارادي ـ الانفعالي للقائد في المعركة على تحقيق مايلي :

١ ـ عبور الخط الذي يمثل الحد الامامي للعدو أثناء التدريب القتالي .

٢ ـ خلق موقف قتالي معقد اثناء سير الدروس ، يشابه الموقف الذي يحصل في المعركة .

٣ ـ العمل في شروط (التلوث الاشعاعي) والخسائر في الافراد والعتاد .

٤ ـ تشكيل مواقف في المشاريع تحتاج الى المبادهة والشجاعة في اتخاذ القرار .

٥ ـ توسيع مجال التطبيق العملي لتنفيذ المشاريع مع تمثيل العدو فيها .

٦ ـ زيادة الثقل النوعي للفرضيات المعقدة المفاجئة .

كما ان زيادة الثبات الارادي ـ الانفعالي في الظروف القتالية يؤدي الى تقوية (انفعالات الاضطراب القتالي(١)) التي تعتبر بدورها كفرضية في الشروط البالغة التعقيد ، حيث تؤدي هذه الانفعالات الى زيادة فعالية النشاطات لدى اغلب الناس .

وهكذا فان الثبات الارادي ـ الانفعالي يعتبر شرطا هاما لفعالية النشاط الادراكي في المعركة ، وهو يتحقق اثناء التدريب القتالي . وان الاتجاهات الاساسية له تتمثل بالانفعال الشخصي والتعرف على الآلية النفسية لهذا الثبات ، وبتراكم الخبرة الايجابية في الشروط المعقدة ، وباكتساب ماهو ضروري للمعركة من المزايا الارادية .

ان بحث المسائل الآنفة الذكر ، يدل مرة ثانية على الاهمية الكبيرة للنشاط الادراكي الفعال في عملية اتخاذ القرار ، وعلى ضرورة تحسين هذا النشاط وتطويره اثناء تدريب القادة على شروط المعركة الحديثة .

يعتبر تحسين طرق الحصول على معطيات الموقف القتالي ، احد الاتجاهات الهامة اللازمة لهذا العمل ، وذلك بالاضافة الى زيادة مصادر الحصول على المعلومات .

يؤدي حل هذه المهمة الى المراعاة الاكثر كمالا لقواعد ومبادىء النشاط الادراكي ، ولتطوير العمليات النفسية الذهنية ، كما ان الثبات الارادي ـ الانفعالي يظهر من أهم شروط نجاحها .

ان القواعد التي اتينا على ذكرها ، والتي تتعلق بأسس النشاط الادراكي للقائد اثناء اتخاذه للقرار ، تسمح بالانتقال الى الدراسة المفصلة لخواص كل

---

(١) ـ « ب.م تيبلوف » : مشكلات الفوارق الفردية ـ طباعة ١٩٦٢ ، ص ٢٦٤

عملية من العمليات النفسية الذهنية بوقت واحد وتتفاعل مع بعضها . ومهما يكن من امر ، فان لكل عملية من هذه العمليات خصائصها المميزة وتاثيرها على فعالية النشاط الادراكي للقائد . لذلك سنتوقف لدى كل ظاهرة لندرسها على حدة .

ويجب اثناء ذلك ان تدرس ايضا تلك المسائل الهامة لسيكولوجية قرار القائد ، كادراك الموقف القتالي ، والعمليات الادراكية المرتبطة بشكل وثيق به، وخاصة الاحساس والانتباه .

سندرس أيضا المسائل التي تخص ذاكرة القائد وتصوره للمعركة ، وتفكيره ، وحديثه أثناء عملية اتخاذ القرار .

ونفضل أن نبدأ أولا في بحث الادراك كأحد العمليات النفسية الذهنية .

* * *

الفصل الثالث

إدراك «فهم» الموقف القتالي

اولا ــ الاحساس كعملية أولية تسبق الادراك .

ثانيا ــ الادراك والانتباه أثناء عملية اتخاذ القرار من قبل القائد .

أولا ــ الاحساس كعملية أولية تسبق الادراك

ان عملية اتخاذ القرار من قبل القائد عملية معقدة من كافة الجوانب ، فتفهم المهمة القتالية ، وتحديد التدابير الواجب تنفيذها فورا ، وتقدير الموقف ، والاستطلاع الشخصي ، واخيرا اتخاذ القرار واعطاء امر القتال ، كلها مسائل مترابطة ترابطا مباشرا بالنشاط الذهني الذي يبذله القائد من اجل تحقيق النصر في المعركة .

يحتوي الموقف القتالي مجموعة كبيرة من العوامل ، وكمية كبيرة من المعلومات المتنوعة ، وان الحصول على معطيات الموقف القتالي وتحليلها من قبل القائد عند اتخاذ القرار ، يتطلب عمل كافة النشاطات الذهنية لديه .

يعتبر الاحساس لحظة البدء التي ندرك فيها كيفية انعكاس بعض الخواص المستعملة للظواهر والاشياء ، ولا نستطيع بدون اعضاء الحواس ان ندرك اشكال الاشياء وحركتها . وعمليا يجب على القائد ان يراعي ان حساسية اعضاء الحواس مرتبطة على الاقل بثلاثة اسباب هامة هي :

شروط الوسط الخارجي ، وحالة النهايات العصبية للشخص ، وحالة القسم المركزي في دفاع هذا الشخص الذي يتلقى الاحساس .

تؤثر ايضا حالة الاعصاب الناقلة الاحساس بدرجة او بأخرى على الحساسية . وعادة تتغير سرعة نقل النبضات العصبية بين ٦٠ و ١٠٠ متر في الثانية ، وخاصة في حالة التعب البدني ؛ الامر الذي لايمكن تحقيقه الا بالاعداد البدني الجيد للقائد .

تعتبر أعضاء الحواس بمثابة الاقنية التي تنساب عبرها الحقيقة الموضوعية ليعي الانسان بواسطتها مايدور في الوسط الخارجي المحيط به . وطبيعي ان وعينا بالمؤثرات المتواصلة للعالم الخارجي ، يؤثر على أعضاء الحواس وبصورة خاصة على الجملة العصبية .

والاحساس هو : احد شروط نشاط القائد ، ولو حرم الانسان من جميع حواسه لما استطاع ان يعرف مايدور حوله ، او يمشي او يتعامل مع الناس . والاحساس بحد ذاته يعتبر مصدرا للمعارف عن الموقف القتالي .

يتطلب النشاط الذهني الطبيعي للانسان تحقيق التوازن بين الوسط الخارجي والعضوية ، وبالتالي يجب الابتعاد عن الشروط غير المرغوبة التي تؤثر على هذا التوازن كازدياد المعلومات فوق الحدود اللازمة ، او الاحساس بالجوع الشديد أثناء التحليق الفضائي على سبيل المثال .

والاحساس ايضا هو انعكاس الخواص الموضوعية للظواهر والاشياء التي تعتبر بدورها النموذج الذاتي للعالم الموضوعي . وبتعبير آخر فان تفاعل الانسان مع الموقف القتالي يتم حسب معارفه وخبرته ووجهات نظره . وكلما كان الانسان اكثر خبرة وأعمق معرفة كلما كان احساسه بالموقف القتالي اكثر كمالا وموضوعية .

تسمى الاشياء والظواهر الحقيقية التي تؤثر على اعضاء الحواس بالمثيرات ، وأما عملية التأثير فتسمى بالاثارة . تحصل عملية التنبيه بتأثير المثيرات في النسيج العصبي . ويجري تحليل هذه العملية في أجهزة الاستقبال في الدفاع .

ان جهاز الاستقبال في الدفاع غير سلبي ، فهو ذو رد فعل انعكاسي عند الضرورة ، كما ان المؤثرات الخارجية تثير ردود فعل انعكاسية فيه . فالانسان

يحرك راسه في اتجاه الهدف الذي يظهر ، او الى النقطة النارية الناشطة للعدو .

يجب ان يعرف القائد ان أفضل الظروف ملاءمة للعمل المثالي لاعضاء الحواس هو الوقت الصباحي ، وخاصة النصف الاول من اليوم . لذلك يفضل ان تحل المسائل الهامة في هذا الوقت . وليس من قبيل الصدفة ان الهجوم كان يبدأ دائما في الصباح الباكر أثناء الحرب الوطنية العظمى وغيرها . ولم يكن ذلك بسبب سهولة واخفاء عملية اعادة تجميع القوات المدافعة عن أبصار العدو . بل لان العضوية تكون قد استعادت نشاطها الفيزيولوجي والنفسي بعد عمل نهاري مضن .

يتميز الاحساس بالحدة الكبيرة في الشروط القتالية ، وخاصة في المراحل الحرجة من المعركة . ولقد وصف مارشال الاتحاد السوفييتي «غ.ك.جوكوف» بداية عملية برلين بما يلي :

« لقد كانت الصورة رائعة الجمال ، وربما لم أشاهد منظرا مماثلا لها طيلة حياتي السابقة ! ! (١) » .

يوجد خمسة انواع من الاحساس هي : حاسة البصر ، حاسة السمع ، حاسة اللمس ، حاسة الذوق ، حاسة الشم ؛ على أنه يوجد فعلا اكثر من ذلك. وتذكر منها على سبيل المثال : الحواس الايقاعية ، والحرارية ؛ والاهتزازية والمرضية .

ويمكن ايضا ان تزداد فعالية الاحساس ازديادا موجها . ونذكر مثلا أنه لزيادة القدرة البصرية يمكن ان تستخدم الاجهزة البصرية المكبرة كالعدسات والمناظير .

وبما أن الحديث يتناول الحواس البصرية ، فلا بد من الاشارة الى ان الكثير من الناس يصابون بعمى الالوان ، وخاصة في اللونين الاحمر والاخضر .

---

(١) ـ « غ.ك.جوكوف » : مذكرات وتأملات . اصدار عام ١٩٧٤ . ص ٣٤٠ .

ولا يصح ان يعمل هؤلاء كسائقين أو رصاد او في التصوير . والقائد المصاب بعمى الالوان لايستطيع ان يميز شهابا ذا دخان أخضر من آخر ذي دخان أحمر . ومع ذلك فان الطب الحديث قد حقق نجاحات كبيرة في ازالة عمى الالوان عن طريق استخدام العدسات العينية الخاصة ، ولكن هذه لم تأخذ بعد ابعادها الطبيعية .

يؤكد بحث الحواس السمعية على ان حاسة السمع الموجودة لدى الانسان ليست قادرة على سماع الموجات الصوتية فحسب ، بل تستطيع ايضا سماع الموجة المشكلة عبر الاقسام العظمية ، كتلك التي تتشكل في عظام الفكين العلوي والسفلي ، ويمكن سماعها بصورة افضل من السمع عبر الهواء . ونذكر مثلا أنه لسماع صوت دبابة متحركة قبل اكتشافها ، يمكن ان تغمد سكينا فولاذية في الارض وتضغط بالاسنان على مقبضها ، فيسمع عندئذ هديرها بصوت واضح . وان تضع اذنك على أحد قضبان الخط الحديدي،فانك تسمع ضجيج القطار المقترب نحو المحطة التي يشغلها العدو . تذكرنا هذه الطريقة بأن سرعة انتشار الصوت في الارض اليابسة اكبر بـ ١٠ مرات من سرعة انتشاره في الهواء، وأن التشويش على انتشار الصوت في الارض يكون ضئيلا جدا .

نضطر احيانا في الموقف القتالي ــ لاستخدام الصوت من اجل تحديد المسافة التقريبية للهدف . فاذا أخذنا الفارق الزمني (محسوبا بالثواني) بين لحظة اطلاق الطلقة التي يحددها وميضها ، ولحظة وصول الصوت ، وقسمناه على ثلاثة . (سرعة الصوت تساوي تقريبا ٤٣٠ م/ثا) فاننا نحصل على مسافة النقطة النارية المعادية بالكيلومترات .

يترتب على القائد عند ممارسة عملية النشاط الذهني ان يأخذ بعين الاعتبار الظواهر النفسية التي تحدث تغيرا في حساسية جهاز استقبال الاحاسيس ، التي تنخفض في هذه الحالة . وبغية اعادة رفع حساسيتها ، يجب العمل على زيادة تنبيه قشرة الدماغ ، الامر الذي لن يتطلب من القائد اكثر من غسل وجهه بالماء البارد .

يجب أيضا ان يراعي ـ أثناء عملية النشاط الذهني ـ التأثير الراهن أو اللاحق للمنبهات على الاحساس . ونذكر مثلا ، أن درجة الحرارة في الخارج تبدو أقل بكثير مما هي عليه بالنسبة لشخص يعمل منذ زمن طويل في غرفة دافئة جدا .

ان مراعاة قواعد الاحساس تساعد القائد في فهم الموقف القتالي بصورة ناجحة ، وفي زيادة مدى الثقة بصحة المعطيات المستخدمة اثناء اتخاذ القرار .

تتمثل احدى قواعد الاحساس في بقاء أثره بعد انقطاع الفعل المؤثر لمدة زمنية وجيزة (وهذا يرتبط بالتبدلات الكيميائية) . يحدث ذلك في السينما عبر ظاهرة (قوة استمرار النظر) ، حيث لايكاد ينتهي تأثير الصورة الاولى حتى يبدأ تأثير الصورة الثانية على اجهزة استقبال الاحساس في الدفاع ، والا تزيد الفترة الفاصلة بين الصورتين عن $\frac{١}{٢٤}$ من الثانية .

وتحصل هذه الظاهرة أيضا لدى السائق الذي اضناه التعب ، وهو يسير مسافة طويلة على طريق مستقيمة . فتبدو له الطريق مستقيمة حتى عندما يصل الى منعطف حاد . وتفسر ظاهرة (قوة استمرار النظر) بالمثل التالي :

اذا حلقت طائرتان بسرعة ٣ ماك(الماك هو : سرعة الصوت أي ١٢٠٠كم/ثا) بغية الالتقاء مع بعضهما ، فان الطيارين لن يتمكن احدهما من رؤية الآخر على مسافة ٢٠٠ م فما دون . وهذا هو السبب الذي يعيق رصد الاهداف الجوية في شروط المعركة الحديثة .

يتضح من ذلك أن الاحساس يتطلب وجود ظواهر واشياء تؤثر مباشرة على اعضاء الحواس . وقد ظهرت في السنوات الاخيرة معلومات أوردتها وكالات الصحافة الاجنبية ، عن اهمية نقل الخواطر والافكار الى مسافات بعيدة ، الامر الذي يتعارض مع النظريات العلمية . واذا كان المذهب الصوفي يأخذ بهذه الافكار ، فان العلم الحديث لايؤمن بها ، حيث يستحيل مثلا ان ندرك حسيا مايفعله العدو في مكان توضعه باستخدام هذه الطريقة .

ماهي اذن اساليب تطوير الاحساس ؟ لعل الاجابة تتضمن مايلي :

١ ـ تدريب وتطوير اعضاء الحواس .

٢ ـ استعمال وسائل العقاقير (الكافئين مثلا) .

٣ ـ التأثير المباشر على العوامل النفسية (اثارة اليقظة ، وزيادة الاصرار وغيرها) .

ان احساس الانسان الذي يعكس بعض خواص الاشياء ذات الارتباط المتبادل فيما بينها ، يتفاعل ويؤدي عمليات ذهنية معقدة ، يأتي الادراك في مقدمتها .

* * *

ثانيا ـ الادراك والانتباه أثناء عملية اتخاذ القرار من قبل القــائد

الادراك هو : وعي الانسان للظواهر والاشياء الفعلية في اللحظة الراهنة ، على اختلاف أنواعها وكونها متكاملة . وان الاساس الفيزيولوجي للادراك هو نظام الارتباطات الداخلية والمتبادلة بين مختلف اجهزة استقبــال الاحاسيس (النهايات العصبية) حيث يكتمل عمل هــذه النهايات العصبيــة عبر نشاط النهايات الاخرى لاجهزة الاستقبال في الدفاع .

يمكن شرح الآلية الفيزيولوجية لادراك القائد للموقف القتالي على الشكل التالي : يرى القائد العدو واعماله ، ويسمع الطلقات النارية الصادرة من الاسلحة الآلية ، ورمايات مدفعية العدو . ثم يحمل المعطيات الجديدة على الخريطة . وتتكون في حواسه البصرية والسمعية والحركية انطباعات وتصورات ترســل مباشرة الى قشرة الدماغ ، حيث تتشكل جمل معقدة لارتباطات مؤقتة ، تحدد الطبيعة الكاملة لادراك الصورة الحقيقية للمعركة . وطبيعي أن الادراك يعتمد عندئذ على الاحاسيس السمعية والبصرية وتكمله المعارف والخبرات السابقة للضابط . ولا يمكن ان يتم الادراك دون الاعتماد على الخبرة السابقة .

لاتعتبر عملية ادراك الموقف القتالي عملية نفسية مستقلة قائمة بذاتها ، ولكنها ترتبط بالتفكير (لاننا نفكر فيما هو موجود امامنا) وبالكلام (نسمــي مادة الادراك ونعبر عنها بالكلمات المناسبة ؟ وبالشعور (الذي ينتمي بشكل ما الى الشخص المدرك) وبالارادة (نجبر أنفسنا على الادراك ، حتى عندما يكون هذا الادراك خطرا للحياة ، وتضطرنا اليه ضرورة تنفيذ المهمة القتاليـة) .

ان تحليل هذه أو تلك الظاهرة النفسية ، وهذه أو تلك العناصر النفسية يوجب علينا أن نتصور علاقتها البنيوية . اي أننا في بحثنا للادراك نجرده نظريا عن العناصر النفسية الاخرى التي تربطه بالظواهر المحيطة به .

يمكن من الناحية النظرية ومن خلال النشاط الذهني للقائد ، ان نقسم الادراك الى نوعين : الادراك البسيط والادراك المعقد (المركب) . ويدخل في فئة

الادراك البسيط ، الادراك الذي يتصل مباشرة بعمل جهاز استقبال واحد للاحاسيس ، كالادراك البصري لدبابة او سلاح مموه في مستتر . اما الادراك المعقد الذي يتصل مباشرة بعمل عدة اجهزة استقبال للاحاسيس ، فهو ادراك موقف المعركة بصريا وسمعيا ، وبواسطة اعضاء حواس اخرى .

يتصف ادراك القائد للموقف القتالي بمجموعة من السمات الخاصة ، وهو يحمل بذاته طابعا ماديا ، لان نتيجته تتمثل بنموذج لشيء مادي . ونحن ندرك العالم الخارجي المحيط بنا عبر ملاءمة مانشاهده فيه مع مانعرفه سابقا . ونذكر مثلا اننا اذ نشاهد نموذجا جديدا لعتاد قتالي ، او نرى دبابة جديدة ، او مدفعا ذاتي الحركة ، او ناقلة مدرعة او دبابة نجدة ، فاننا نحدد فورا ماهية هذه الاشياء على ضوء ماعرفناه سابقا من نماذج مماثلة لها . واذا ما القى القائد نظرة فاحصة الى مكان توضع العدو ورأى تحركات عتاده القتالي ، فانه يستطيع ان يحدد نوعية هذا العتاد ، على ضوء مايعرفه سابقا عن عتاد مماثل له . ولا بد ان تتوفر لدى هذا القائد خبرة سابقة عن اسلحة وعتاد العدو . ويستطيع ان يكتسبها من مشاهدة نماذج أسلحة العدو المستولى عليها ، او بواسطة عرض الصور والافلام السينمائية عنها . وبالتالي فان النشاط الادراكي الناجح في الشروط القتالية ، يتطلب خبرة معينة ، تكتسب شيئا فشيئا اثناء السلم في الدروس والمشاريع والمناورات . وكلما أتقن القائد معرفة عتاد العدو وتكتيكه ، كلما ازداد ادراكه للموقف القتالي .

يجب ان يكون الادراك كاملا او تاما . وهو يختلف بذلك عن الاحساس ، لانه يعكس مجموعة الصفات والخواص لغرض ما . فنحن ندرك الدبابة المتحركة كغرض معين ، ذي سرعة معينة وتسليح محدد ، ونقاط ضعيفة معينة . واذ يرصد القائد اثناء استطلاعه الشخصي لاماكن توضع الوسائط النارية للعدو . ويشاهد برج دبابة ومدفعها ، فانه يستطيع ان يتمثل ان الاقسام الباقية من الدبابة كتصفيحها . وسرعتها ، وغير ذلك . أي يدرك الدبابة بشكل كامل (تام). لاشك ان ذلك يتطلب اشراك تفكيرنا وتصورنا للدلالة — مرة أخرى — على الارتباط المتبادل بين العمليات النفسية الذهنية .

وفي النشاط العملي الذي يمارسه القائد في المركة ، ينبغي مراعاة سمة الادراك المتمثلة بالثبات والاستمرار . واذ يعتاد القائد اثناء ممارسته النشاط العسكري في شروط الموقف القتالي على ملاحظة العتاد القتالي ، فقد يحدث احيانا أنه لايلاحظ وجود علامات خارجية مميزة في العتاد الجديد ، وكأنه بذلك يستمر في ملاحظة ماكان سابقا . أما ثبات الادراك فيتمثل في ضرورة دراسة العدو قبل المعركة حتى يتم كشف مالديه من نماذج جديدة من الاسلحة والعتاد القتالي أثناء خوضها .

يمكن أن يؤثر ثبات الادراك تأثيرا ايجابيا على النشاط الادراكي للقائد . وهكذا فاننا نستطيع ان ندرك ارتفاع خزان ماء مستخدم كنقطة علام بغض النظر عن المسافة التي تفصلنا عنه طالما ان هذا الارتفاع يعتبر قيمة ثابتة ومحددة مسبقا .

ان المعارف الراسخة للقائد تساعده في التغلب على التأثير السلبي للثبات الادراكي على نشاطه الذهني في الموقف القتالي . وكلما كانت معرفة القائد افضل لخواص بنية دفاع العدو ، كلما استطاع هذا القائد ان يحدد مايستجد في هذا الدفاع المادي . وبالتالي يجب ان يعطي الحد الاقصى من المعلومات عن العدو اثناء تأهيل وتدريب الضباط على شروط المعركة الحديثة ، وادراك الموقف القتالي .

وكذلك يجب على القائد ان يدرس كل عنصر من عناصر ترتيب القتال على حدة ، ليصبح قادرا على كشف طبيعة دفاع العدو المقابل ، حتى وان لم تتوفر له بعض المعطيات عن العدو .

اسندت في احد الدروس مهمة معقدة للنقيب « آ.د.روسلياكوف » قائد احدى السرايا ، حيث طلب اليه ان يحدد طبيعة دفاع العدو بالرغم من وجود نقص كبير في المعطيات . قدر قائد السرية اماكن توضع الوسائط النارية وعناصر ترتيب قتال العدو ، والارتباط المتبادل فيما بينها ، واستطاع بالتالي أن ينفذ ماطلب اليه بنجاح . وقد ساعدته معرفته الجيدة والشاملة في تحديد بنية تراتيب قتال العدو في مختلف انواع المعارك .

يعتبر الانتقاء احد الخصائص الهامة المميزة للادراك . ويكتسب الانتقاء من الخبرة الفردية للانسان ويرتبط مع نشاطه الابداعي ، ومع المهام المسندة اليه . ونحن نقدر او ننظر الى نفس البحيرة باشكال مختلفة .

فالقائد ينظر اليها — لدى اتخاذه القرار — كعائق مائي هام ، اما الطيار فينظر اليها كعلام جيد .

ولذلك يجب — اثناء عملية تدريب القائد على المعركة — ان تخلق لديه القدرة على الادراك الانتقائي للموقف القتالي ، والقدرة على ادراك كل مايحيط به ، الامر الذي يتعذر بدونه تحقيق النصر في المعركة .

تكتسب لدى القائد اثناء العمليات المتكررة لاتخاذ القرار — القدرة في ادراك مايهمه فقط اثناء تفهم المهمة وتقدير الموقف ، والاستطلاع الشخصي — من معطيات ودون ان يرهق نفسه في معالجة مايجب على مرؤوسيه ادراكه ، وكذلك القدرة في تفهمه للنقاط الهامة للاعمال القتالية في المعركة المقبلة .

يضطر قائد القطعة اثناء اتخاذه للقرار ان يعين هذا او ذاك الضابط ، لتنفيذ هذه او تلك المهمة . تنشأ المصاعب في هذه الحالة عندما يكون القائد قد عين حديثا في عمله (فهو لايعرف الضباط جيدا حتى الآن ! . او عندما يلتحق عدة ضباط جدد في وحدته عوضا عن ضباط منقولين . ولتحقيق النشاط الناجح في المعركة ، يجب على القائد الا يدرك الموقف القتالي فحسب ، بل يعرف ايضا كيف يدرك هذا الموقف من قبل الآخرين ، وبالتالي يستطيع ان يدرك بعمق مدى قدرة مرؤوسيه في اتخاذ مايلزم من قرارات عن المعركة .

ويجب على القائد ايضا ان يعرف مرؤوسيه بعمق ويعرف امكانية كل منهم في تنفيذ هذه او تلك المهمة . وعموما فان هذه الميزة للقائد تعتمد على خبرته السابقة .

قد تدعو الضرورة في شروط الموقف القتالي الى سرعة تحديد مسافة مختلف الاغراض والاشياء الواقعة في أرض المعركة دون الاستعانة بالخريطة او المنظار . ويتم ذلك بالتقدير بالنظر ، وهو مايعرف بالقدرة على التحديد بنظرة

واحدة . لتوضيح الاغراض وابعادها في الجبهة والعمق ، والمسافات اليها ، وفيما بينها . تطور هذه الطريقة عبر التمرين المستمر . الذي لاينفذ من خلال الدروس الميدانية فحسب ، بل وفي الحياة اليومية ايضا ؛ كأن يتم ذلك أثناء الاستراحة، والعمل ، والصيد ... الخ . وقد يستخدم في عملية التمرين ، المسافات المحددة مسبقا ، أو نماذج الاهداف ذات الابعاد المعروفة تقريبا . كما في الجدول رقم (١) التالي :

الجدول رقم (١) عن مسافات بعض الاغراض المعروفة

الاغراض المرصودة	المسافة التي يبدأ التميز للهدف اعتبارا منها ب (كم)
١ ــ خزانات المياه وانابيب (مداخن) المعامل والمصانع .	١٥ ــ ٢٠
٢ ــ نوافذ البيوت .	٤
٣ ــ الاشخاص المنفردون .	٢
٤ ــ اعمدة الهاتف القامة على طرقات عامة .	١
٥ ــ حركة ايدي وارجل الانسان .	٧ر٠
٦ ــ وجوه الناس .	٢ر٠
٧ ــ احجار القرميد في الجدران .	١ر٠

اما عملية الادراك ، فهي : عملية تعكس الوجود النفسي الحقيقيللواقع. ولكن الادراك نفسه قد يكون غير دقيق . وان الانعكاس غير الصحيح لخواص الاشياء والاغراض يسمى : بالظاهرة الوهمية (الخداعية) ، التي يمكن ان

تكون بدورها ظاهرة فيزيائية (كرؤية الشيء مكسورا الى قسمين . او كظهور العصا المغموسة بالماء ، والملعقة المغموسة في كأس الشاي ملتويتين) . وفيزيولوجية (كازدواجية الاشياء لدى حدوث غشاوة على بؤبؤ العين) . ونفسية (كالمبالغة في تقدير الخطوط العامودية ، التي تبدو للانسان ليلا ، وكأنها اشجار كثيفة ، والميلان الخادع ، الذي يظهر للطيار عندما تطير الطائرة بخط مستقيم) .

وقد حدث كثيرا ـ اثناء الحرب الوطنية العظمى ـ أن استخدمت القوات الاعمال الخداعية ، كنزع العوادم (كاتمات الصوت) من الدراجات النارية ، وتشغيل محركاتها ، الامر الذي يوحي بهجوم دبابات . وقد تحدث عن ذلك الجنرال « بوبل » في مذكراته .

(استخدم الخداع الوهمي استخداما واسع النطاق من أجل تمويه القوات على المستويين ، التكتيكي ، والعملياتي . وقد تراكمت الخبرة في هذا المجال خلال سنوات الحرب الوطنية العظمى ؟ .

وقد كتب جنرال الجيش « س.م.شتيمينكو » عن احدى حوادث الخداع قائلا :

عندما شرعنا في تحضير عملية (بيلوروسيا) (روسيا البيضاء) ، أرادت الاركان العامة ان تحدث قناعة لدى القيادة الهتلرية ، ان الجيش السوفييتي سيوجه ضرباته الرئيسية خلال صيف ١٩٤٤ ، نحو الجنوب وفي البلطيق. وفي الثالث من ايار أعطيت الى قائد الجبهة الاوكرانية الثالثة ، التعليمات التالية:

« يطلب اليك تنفيذ اجراءات التمويه العملياتي بغية تضليل العدو ، حيث يجب اظهار تحشد ٨ ـ ٩ فرق مشاة معززة بالدبابات والمدفعية على المجنبة اليمنى . وعليك اضفاء المظاهر الحياتية في المنطقة الكاذبة ، بتحركات وتوضع مجموعات كبيرة من الناس والعربات والدبابات والمدافع ، مع اجراء التجهيز الهندسي لهذه المنطقة . وعليك أيضا ان تضع في أماكن توضع هياكل الدبابات والمدفعية ، مدافع مضادة للطائرات ، بحيث تشير الى تنظيم الدفاع الجوي عن كل المنطقة ، مع مراعاة تنظيم دوريات مراقبة من الطيران نفسه . ويطلب

اليك أيضا ، اختبار صحة وامكانية كشف هذا التمويه . ويتم التنفيذ في الفترة بين ٥ ـ ١٥ حزيران » .

وصدر أيضا امر عملياتي مماثل الى قائد جبهة البلطيق الثالثة . عن وجوب تنفيذ تدابير التمويه في شرق نهر (فشيريخ) .

وقع العدو الالماني في الفخ . وبدت القيادة الالمانية مطمئنة على الاتجاه الجنوبي ، بينما نشطت عبر الاستطلاع الجوي لكشف نوايانا ، وما نفعله في شمال (كيشينيف) حيث كانت تنفذ اعمال الخداع العملياتية .

كانت خطة التضليل تتضمن ــ ايضا ــ ابقاء جيوش الدبابات على الاتجاه الجنوبي ــ الغربي . وقد نشط أيضا الاستطلاع الجوي المعادي على هذا الاتجاه ، وبما أن هذه الجيوش لم تتحرك من اماكنها ، فقد استنتج العدو بأننا سنقوم حتما بالهجوم من هنا ، بينما كنا نحضر ضربة الدبابات في مكان آخر .

لقد حققت تدابير التمويه العملياتية اغراضها . وبالتالي فقد تم خداع العدو بالنسبة للنوايا الحقيقية للقيادة السوفيتية . وقد كتب «ك. تيبيلكيرخ» ــ الذي كان آنذاك قائدا للجيش الالماني الرابع ــ فيما بعد : ان الجنرال «موديل» قائد الجبهة في (غالتس) كان قد تعهد الا يسمح للقوات الروسية بالهجوم الا عبر قطاعه . وكانت القيادة الهتلرية العليا قد وافقت على قراره ، حيث اعتبرت هذه القيادة ، أن الضربة السوفيتية في (غالتس) يمكن ان تترافق مع ضربة أخرى في البلطيق . وهكذا تم نشر القوات السوفيتية . أما مجموعة جيوش (المركز) كان ذا أهمية ثانوية(١) .

كتب أيضا جنرال الجيش « أ.أ.بلييف » عن التمويه العملياتي للقوات السوفيتية ، في سنوات الحرب الوطنية العظمى مايلي : «لكي نخفي تقدم قوات « جروبي » الى الحدود الدولية ، عن أجهزة الاستطلاع المعادية ، فقد قمنا

---

(١) ــ «س.م.شتيمينكو» : الاركان العامة في سنوات الحرب ــ اصدار عام ١٩٧٥ ص٣٠٢ـ٣٠٤

بتنفيذ مجموعة من تدابير التمويه العملياتي ، حيث نفذت المسيرات والتحركات ليلا فقط .

وكنا قد جهزنا مسبقا المساتر للوسائط النارية ، والقوى الحية ، والعتاد القتالي في مناطق الانطلاق ، حيث حضرت هذه المساتر في السفوح المعاكسة للمرتفعات الجبلية المحاذية للحدود الدولية ، واستخدمت شباك التمويه على نطاق واسع . ونفذت كامل الاعمال ليلا ، بينما كانت الارض تبدو خالية من كافة مظاهر الحياة نهارا .

كانت احيانا تظهر بعض الخيول هنا وهناك ، لم يقلق ذلك اليابانيين ، لان العمل الزراعي من قبل الفلاحين في هذه المنطقة كان عملا عاديا . واذا اخذنا بعين الاعتبار ماكان يجري من تحركات ضخمة آنذاك على الاراضي المنغولية ، من قبل القوى الرئيسية للجبهة ، وباتجاه نتوء (تامشاك — بولاكس) ، فان تحركنا على مسافة بعيدة والى الجنوب الغربي من القوى الرئيسية ، لم يكن يسمح له صوت أو ضجيج »(١) .

تستخدم في الجيوش البرجوازية ، الاسس النفسية لتحقيق الاعمال الخداعية ، حيث تستعمل الدهانات لالغاء التمايز بين خلفية الشيء (الارض المحيطة به) ، والشيء ذاته (العتاد القتالي) ، وينتقى لون الدهان صيفيا او شتويا حسب الظروف . وقد استخدم الهتلريون الالوان الطبيعية ، من اجل تمويه العتاد القتالي في الحرب العالمية الثانية . بحيث أصبح هذا العتاد يحمل الوانا مماثلة للبيئة المحيطة به . وكانوا يتركون بقعا على هذا العتاد ، بحيث تتلاءم مع الوسط المحيط ، وتصبح رؤية العتاد صعبة او متعذرة احيانا ..

ان كشف وادراك العتاد القتالي المعادي المموه بصورة متلائمة مع خلفية الارض المحيطة به ، وكشف نقاطه النارية ، يتطلب معرفة جيدة باشكال هذا العتاد ، وخاصة بالرسم العام له (الشبح) . ويتحقق ذلك برصد العدو باستمرار ، والتصور الذهني لشكل العتاد القتالي المتوضع والمراد كشفه في

---

(١) « أ.أ.بليف » : عبر الكوبي والهينجان — اصدار عام ١٩٦٥ ، ص ٣٩ .

قطاع محدد من الارض . ان الجيوش الحديثة تملك وسائط استطلاع متطورة؛ الامر الذي يتطلب – أيضا – وسائط تمويه ، لاتقل عنها تطورا . لذلك يجب مراعاة امكانية التمويه البصري لدى العدو في شروط المعركة الحديثة،واعطاؤها الاهمية اللازمة اثناء دراسة هذا العدو .

يجب على القائد اثناء عملية اتخاذ القرار للمعركة ، ان يتذكر – أيضا – الخداع الناجم عن الاحساس بالوقت ، ذلك ان الفواصل الزمنية يصعب تقديرها في شروط النشاط الشديد . لهذا يجب على القائد ان يعير انتباهه لمرور الوقت ، الذي يسرع كثيرا في شروط القتال ، ويبطىء أكثر في حالة الانتظار . ويجب ايضا مراعاة ذلك لدى انتظار اشارة القائد الاقدم عن بدء الهجوم على الحد الامامي لدفاع العدو .

يمكن ان يعتبر السراب – أيضا – احد أسباب الخداع والتضليل ، وهو اي (السراب) : ظاهرة بصرية ، تحدث في الجو ، حيث تظهر في الافق تصورات كاذبة لقطاعات من السماء ، او لاغراض أرضية(١) . وهكذا يمكن ان يحدث لدى تقدير الموقف القتالي في شروط الصحاري والمناطق الخالية في الايام الحارة ، وعندما تنعكس ملامح الاغراض العالية او المنخفضة والارض بما فيها من (جبال وأشجار ... الخ) على طبقة الهواء الساخن القريبة من سطح الارض مايجب الانتباه اليه بحذر ، من تبدل أماكن هذه الاغراض مع الزمن ، بسبب ماتحدثه هذه الظاهرة من خداع للبصر ، وبالتالي لايجوز ان يخدع القائد بها .

كتب جنرال الجيش « أ.أ. بلييف » عن تأثير السراب على الاعمال القتالية في منطقة (منشوريا) في سنوات الحرب الوطنية العظمى ، مايلي : « كانت العربات تسير بسهولة فوق الاراضي السهبة ، مما كان يؤدي الى تصاعد الغبار الرمادي – الاصفر ، في جميع الجهات ، فلا أرى شيئا ، سوى

---

(١) – يلاحظ نشوء السراب عند وجود طبقات دافئة وباردة من الهواء ، متشكلة في الطبقات المنخفضة للجو . وبسبب انكسار الاشعة الضوئية في هذه الطبقات ، تهبط حزم كبيرة من الاشعة، وتخضع لعملية انعكاس داخلي فيها ، مما يجعل الهواء يبدو على شكل مرآة عاكسة ، تعكس مختلف الاشياء .

التموجات السطحية للرمال التي لاحدود لها . كانت الشمس تحرق الجسم والروح ، والريح الحارة تهب فتكاد تجعل التحرك غير ممكن .

لم يستطع « سيمينيدو » التحمل ، فمد يده الى مطرة الماء ، ولكنه لم يلبث ان ادعى ، انه يحاول ان يصحح وضعها عندما نظر الي خجلا من نفسه ، واطبق شفتيه على بعضهما ، وكأنه يريد ان يمتص مافيهما من رطوبة. كنت أنا متشوقا جدا لشرب الماء . وصرخ هو : ماء ! ، وكان صوته اشبه بطلقة تشق السكون حولنا . صعدنا الى المرتفع ، واذا بنا نرى بحيرة كبيرة أمامنا. كنت قد سمعت من قبل كثيرا عن السراب في الصحراء . ولكن المنظر انساني كل شيء ، لقد وجدت مايهمني وبعده فليذهب الحالمون الى النار . وصرخت من الفرح : ماء ... ماء ، وكدت الا اصدق عيناي ، لولا ان شاركني الرؤيا مئات من رفاقي . كان الماء يبدو لنا صافيا سماوي اللون ، فشعرنا بلقائه وبرودته ، وارسلنا عددا من العربات باتجاه البحيرة ، منتظرين عودتها بفارغ الصبر ، وكل منا يفكر بالارتواء وملء الاوعية بالماء ، واغراق حتى العربات بالماء . بدأ الرفاق يفتح مطراتهم ، ولكن ماذا حدث ؟ لقد شاهدنا العربات تصل الى شاطىء البحيرة مرتين واكثر ورأينا الماء يغمر بأمواجه اقسامها العلوية ، ولكنها كانت تستمر بالحركة فوق الرمال الصحراوية الحارة . وفجاة خرجت هذه العربات من الماء ، او بدا لنا انها تسير عليه ــ كما في الاساطير ، واخيرا لم تقدم لنا الصحراء سوى احدى مفاجآتها .

ثم اندفعنا الى الامام بروح مثقلة لترافق الرمال التي تمتد الى البعيد البعيد »(١) .

كل ذلك يدل على ضرورة الاخذ بعين الاعتبار للظواهر الخداعية ، التي تنشأ خلال عملية النشاط الادراكي .

ولتطوير عملية الادراك يفضل ان تجزأ مهمة الرصد الى مراحل ومهام جزئية . كما يتطلب الادراك الكلي والدقيق والسريع تدريبا خاصا على الرصد

---

(١) ــ « أ . أ . بليف » : (عبر الكوبي والهينجان) . اصدار عام ١٩٦٥ ، ص٥١ــ٥٢ .

ومعرفة مسبقة لوسائط الرصد المتوفرة . وتلعب الخبرة الجيدة في الرصد، وقدرة الضابط المتطورة فيه ، دورا كبيرا في تحقيق الغرض منه .

ان التفهم العميق للموقف القتالي من قبل القائد ، يحتاج الى التركيز على الاتجاه الانتقائي للنشاط النفسي المتمثل في الانتباه ، حيث تعتبر هذه الظاهرة شرطا أساسيا لادراك القائد ، لما يحيط به من مواقف قتالية أثناء اتخاذه للقرار .

تؤثر على نفسية القائد في شروط الموقف القتالي ـ وبوقت واحد ـ مجموعة من الظواهر والاشياء ، نذكر منها :

أعمال العدو ، وأعمال القوات الصديقة ، وشروط الارض ، وشروط الطقس .. الخ . ومع ذلك ، فان القائد لايدرك كل هذه الظواهر بنفس الدرجة ، ولا يشكل ذلك ضرورة له . وعموما فان الانسان لايدرك الكثير عادة ، وربما يقتصر ادراكه على بعضها ، او قد لايدركها نهائيا .

يعتبر الانتباه واليقظة شرطين لنجاح النشاط الادراكي للقائد أثناء عملية اتخاذ القرار للمعركة ، وهما يعتمدان الى حد كبير على شخصية الضابط ، ونزعته العسكرية ـ المهنية وحماسة وارادته ، كما ان المزاج والحالة الجسمية يؤثران كثيرا على انتباه القائد .

تظهر في الانتباه نزعة انتقائية لكل وعي الانسان . لذلك لاينظر غالبا الى الانتباه كعملية نفسية مستقلة ، بل كجانب محدد من سيكولوجية الانسان ككل .

يعتمد نجاح النشاط الادراكي على تركيز الانتباه على المسائل الرئيسية في عملية اتخاذ القرار للمعركة ، وعدم الاهتمام بالمسائل الثانوية ، وهنا يتبادر الى الذهن السؤال التالي : كيف يحافظ الانسان ـ في الشروط القتالية ـ على حالة اليقظة العالية ككل مايحدث في المعركة ، والتي تعتبر ضرورية لاتخاذ القرار عن المعركة ؟ لذلك لابد للقائد من معرفة ومراعاة القوانين النفسية للانتباه خلال نشاطه العملي .

يمكن أن ينشأ الانتباه عفويا ، وكأنه يترافق مع وعي الانسان ، ويعتبر

ظهوره الأولي بمثابة رد فعل موجه . ففي المعركة يلتفت الانسان بشكل لحظي الى حيث يسمع اصوات الانفجارات او الطلقات ، ويكون رد فعله فوريا لبدء التمهيد الناري . ثم ان الانتباه العفوي يثار بواسطة الهدوء الذي ينشأ في المعركة . كما انه يصبح اكثر حدة أثناء الاعمال القتالية .

ان الارقام والاصطلاحات المدونة في حاشية الخريطة تسترعي الانتباه العفوي للقائد ، عندما يباشر عمله على الخريطة . وكذلك فان العناصر البارزة في هذه الخريطة تشد انتباه القائد اليها .

يجب أن نتذكر ان رد الفعل الاولي الذي يحدث في بداية الانتباه ، لايدوم طويلا ، كما ان الانتباه العفوي نفسه ، لايستمر عادة الا لزمن قصير .

يحدث الانتباه الارادي بشكل رئيسي أثناء عملية اتخاذ القرار ، ويحافظ القائد على هذا الانتباه بقوة ارادته مركزا على المسائل الهامة التي تتطلبها عملية اعداد القرار . وان القدرة على الاستمرار في تركيز الانتباه ، تعتبر احدى المزايا التي يجب على كل ضابط ان ينميها لديه ، وهذا يتطلب ضرورة التغلب على التعب والخمول وعدم المبالاة ، وتحاشي الافكار الغريبة عن الموضوع .

وان المحافظة على الانتباه تتطلب ادراك قيمة المهمة القتالية ، وتقدير الواجب والمسؤولية والاخلال للعمل .

يمكن ان يستمر الانتباه الى مابعد المرحلة الارادية ، حيث ينشأ اراديا ، ثم يتحول الى مابعد الارادي أو غير المقصود . ولا يستهلك هذا النوع من الانتباه جهودا كبيرة للمحافظة عليه . وبالتالي فهو المفضل أثناء عملية النشاط الذهني المستمرة للقائد .

يتميز الانتباه من حيث التركيز،والحجم ، والتوزع ، والثبات ،والتحول . وبالتالي فان الانسان يستطيع ان يدرك في آن واحد وبشكل كاف عددا محددا من الاغراض (الحجم الوسطي للانتباه يسمح بادراك ٦ ــ ٨ أغراض) .

ويفضل ــ أثناء عملية اتخاذ القرار ان يركز الانتباه على ادراك الظواهر والاشياء ذات الارتباط المتبادل ، مما يؤدي الى زيادة حجم الانتباه .

واذا أخذنا بعين الاعتبار توزيع الانتباه ، فيجب تطوير هذه الامكانية لعدة أغراض او لعدة أعمال يجري تنفيذها بوقت واحد .

ينبغي عند اتخاذ القرار مراعاة ، اهمية ثبات الانتباه ، حيث تعتمد هذه الاهمية على الحالة الجسمية للانسان ، ونوع النشاط ، والحالة النفسية ، ويمكن ان تتأرجح ضمن حدود واسعة . ويستطيع الانسان في الظروف الملائمة أن يحافظ على درجة كافية من الانتباه (تقوى أو تضعف الى حد ما) لمدة ٣ ــ ٤ ساعات . لذلك يترتب على القائد ان يستريح لفترات قصيرة ، اثناء عملية اتخاذ القرار ، وخاصة اذا كانت هذه العملية تستمر لعدة ساعات ، وذلك يفرض المحافظة على الثبات العالي للانتباه . واذا تعذر اجراء هذه الاستراحات القصيرة في الموقف القتالي ، فيفضل استخدام القواعد الاصطناعية للمحافظة على استمرار ثبات الانتباه ، كأن يغسل الوجه بالماء البارد ، أو تمارس الرياضة البدنية لفترة قصيرة . ومالم يحدث ذلك ، فان الانتباه يضعف ، بينما تقوى حالة الشرود الذهني ، وتنخفض درجة النشاط الذهني للقائد . تنتج عن الانهاك الشديد ، او عن التأثير المتماثل للمؤثرات الغريبة المتعددة ، حالة تعرف بحالة شرود الذهن ، حيث تنخفض معها فعالية عملية الوعي الى حد كبير .

وهكذا ينبغي ــ أثناء عملية اتخاذ القرار ــ الاهتمام بالمحافظة على ثبات الانتباه كشرط لنجاح النشاط الادراكي ككل .

تبدو أهمية المحافظة على حالة اليقظة في مختلف مراحل المعركة الحديثة واضحة جدا . ومع ذلك فان هذه الاهمية لاتقدر غالبا بشكل صحيح سواء في المشاريع والدروس ، أو في المعركة .

نذكر مثلا : انه في احد المشاريع كان الملازم الاول «ب.س.زويكوف » مع مرؤوسيه قد انقضوا على العدو بنجاح ، وتابعوا الهجوم في عمق دفاعه . ثم استمر تنفيذ المهمة المسندة حتى النهاية . لقد اثنى الضابط المذكور على مرؤوسيه نتيجة للاعمال الناجحة التي نفذوها ، وفكر بمن سيمنح لهم المكافآت على اظهار الجد في العمل . ولكن العدو انتقل فجأة الى الهجوم المعاكس ، دون

ان يستطيع أحد من المقاتلين اكتشافه ، عندما ظهر من وراء الغابة الكثيفة . ارتبك الملازم الاول « زيكوف » ولم يعط امرا لصد الهجوم المعاكس ، وبالتالي فقد ضاع جهد مقاتليه عبثا ، الامر الذي يؤكد على ضرورة اليقظة العالية المستمرة .

وهكذا يتضح ان الاحساس هو بداية الادراك . وان ادراك الموقف القتالي هو عملية ذهنية معقدة ، ويتم بارتباط وثيق مع العمليات النفسية الاخرى . وان الادراك الجيد للموقف القتالي ، يعتبر شرطا لنجاح سائر العمليات الذهنية .

كما ان ادراك الموقف القتالي ، يرتبط ارتباطا وثيقا بعملية الانتباه . ولا بد من تطوير الانتباه لكي يتحقق أفضل ادراك للقائد عن الموقف القتالي، على ان تراعى أيضا المحافظة على استمرار اليقظة في الشروط المعقدة للمعركة الحديثة .

يلعب الاحساس والانتباه والادراك دورا هاما في اتخاذ القرار ، حيث يرتبط ذلك بالعمليات الذهنية الاخرى ، وبصورة خاصة مع ذاكرة القائد وتصوره .

* * *

الفصـــل الرابع

الذاكرة وتصوّر المعركة ، من خلال عمليّة اتخـاذ القـرار

اولا ــ التذكر وحفظ معطيات الموقف القتـالي واسترجاعها

ثانيا ــ تصور القائد .

اولا ــ التذكر وحفظ معطيات الموقف القتالي واسترجاعها

تلعب ذاكرة الضابط وتصوره دورا هاماً في عملية اتخاذ القرار . إذ ان . هذه العملية الذهنية تفيد في الاستخدام الفعال للخبرات والتجارب المكتسبة ســابقا .

ترتبط فعالية النشاط الذهني للقائد أثناء اتخاذ القرار في المعركة ، بمدى قدرته على تذكر الكثير من المعلومات التي تلزمه لاتخاذ القرار عــن المعركــة وسيرها . يتحقق هذا كله بفضل الذاكرة التي تعتبر احدى العمليات النفسية الذهنيــة .

والذاكرة هي : تذكر وحفظ واسترجاع الخبرات التي اكتسبــت في الماضي . ويعتبر التذكر العملية الرئيسية للذاكرة ، حيث ترتبط به الى حد كبير ، دقة المعلومات وكمالها وتسلسل استخدامها بانتظام .

يجب على القائد ان يتذكر ــ لدى تفهم المهمة وتقــدير الموقف واتخاذ القرار للمعركة ــ المعطيات الكثيرة عن تسمية القطعات وملاكاتهــا (قوامها) واماكن تعسكرها ، وزمن احتلال قاعدة الانطلاق ، وبدء الهجوم ، والوصول الى الخطوط المحددة له ، واشارات القيادة والتعاون وغير ذلك . وان تذكر هذه المعلومات يعتمد الى حد كبير على تطور الذاكرة .

افضل طريقة لتذكر المعطيات الضرورية للقائد ، تكمن في الربط بينها ، كما يحدث عادة في الجمع بين الاشياء والظواهر المتماثلة . يعكس هذا الربط العلاقات الزمانية والمكانية. ونذكر مثلا،انه لسهولة تذكر الجار الايسر (الكتيبة الثانية) ، يفضل ان تتوضع الى يسار الكتيبة الثانية (اي يكون التذكر حسب ترتيب الارقام) ، وان يكون الوقت المقرر لبلوغ الخط المحدد مثلا الساعة ١٢٫٠٠ الذي يقترن في الذهن بمنتصف النهار .

يساعد ترابط الاشياء المتماثلة والمتباينة على سهولة تذكرها ، ذلك انه يسهل ـ مثلا ـ تذكر عبور مانع مائي ، اذا كان قد تم عبور مائي مماثل له في معركة سابقة .

والى جانب هذه الروابط البسيطة العناصر ، توجد روابط معقدة تعكس ـ مثلا ـ العلاقة القائمة بين السبب والنتيجة التي نجمت عنه . ويمكن بواسطة الربط بين الاثنين ومسببات تحقيق التذكر الجيد . وهكذا فان طلب نيران المدفعية يرتبط بلحظة انتقال العدو الى الهجوم المعاكس ، وطلب نقل النيران يرتبط بوصول المشاة الى خط محدد ... الخ .

قد تفرض ظروف المعركة تراجعا عما هو معمول به ، بغية خداع العدو. وفي هذه الحالة يفضل ان يركز انتباه خاص لتذكر مايجب عمله ، وتكراره عدة مرات .

يتحدد استخدام الترابط من اجل تذكر الكثير من المعطيات في شروط الموقف القتالي على اساس أن التذكر الارادي (المقصود) يظهر اكثر من التذكر اللاارادي (العفوي) في مثل هذه الشروط .

يتميز التذكر العفوي ، بان الانسان لايضع نصب عينيه هدفا خاصا لتذكر شيء معين ، ولا تستخدم الطرق الخاصة للتذكر . وعموما فان للتذكر العفوي للحوادث اهمية كبيرة،ونذكر كمثال على ذلك،تذكر يوم الانتصار الاخير للحرب الوطنية العظمى ، وتذكر الحقائق غير العادية والهامة لنشاط الانسان. يحدث التذكر العفوي بشكل افضل لما هو قريب من خبرة الانسان ، ومن اهداف نشاطه .

يتصف التذكر الارادي (المقصود) بوعي الهدف من تذكر شيء ما . وبالتالي فهو يتطلب بذل جهود ارادية مع تنظيم لعملية الاستظهار عن ظهر قلب ، واستخدام القواعد الخاصة بالتذكر ، كوضع خطة رئيسية ــ ربما فكرية فقط ــ لما نريد ان تتذكره واستخدام التكرار الخ .

يتذكر القائد المعطيات الضرورية له في المعركة،عن طريق التذكر الميكانيكي والتذكر الفكري (المنطقي) وان التذكر الميكانيكي ــ كما هو معلوم ــ قائم على أساس تثبيت الارتباطات الخارجية عبر الاعادة المتكررة ، لما يجب تذكره ، والذي يستحيل بدونه القيام بعملية اتخاذ القرار . أما الاستظهار الميكانيكي فهو ضروري ، مثلا لتذكر الميزات الفنية والتكتيكية للاسلحة (كمدى الرمي للمدفعية) والامكانيات القتالية للقوى والوسائط . ويعتبر التذكر الفكري (المنطقي) أكثر رسوخا وتثبيتا ، حيث يستطيع القائد من خلاله ان يوجد الارتباطات الفكرية بين الاشياء والظواهر ، وبين الاعمال المنفذة في المعركة . ويستخدم التذكر الفكري بشكل مميز في النشاط الادراكي للقائد في المعركة .

وبالطبع فان كل ضابط يسعى باستمرار الى تذكر المعطيات التي تلزمه في المعركة تذكرا حسنا ، الامر الذي يتطلب منه الفهم العميق والوعي لضرورة تذكر المعطيات الاكثر أهمية .

وليس اقل اهمية مايجب ان يتمتع به القائد من معارف جيدة ، وتعميقها في الدروس والمناورات المنفذة ، وأثناء عملية التدريب القيادي المنفذ للضباط، وفي العمل الفردي . وكلما كانت المعارف أعمق وأرسخ ، كلما اصبح الترابط أسهل وتحقق الارتباط الفكري بين الحوادث في المعركة ، وبالتالي كلما أصبح التذكر أكثر فعالية .

ينحصر التذكر بما يستطيع الضابط ان يسترجعه ، لذلك فليس صدفة ان يطلب القائد من مرؤوسه ان يكرر المهمة المسندة اليه ، حيث يريد ان يتأكد شخصيا من ان المرؤوس قد فهمها وحفظها .

تعتمد درجة نجاح التذكر ــ الى حد كبير ــ على الطرق التي يستخدمها القائد ويمكن ان نذكر من هذه الطرق مايلي : وضع خطة ــ ليس على الورق

بالضرورة ـ لمعطيات الموقف القتالي المراد تذكرها ، ومقارنتها ، وتصنيفها ، ووضع المخططات التفسيرية مع الكتابات .

يتم احيانا استخدام فن التذكر من اجل تذكر افضل للمعطيات الضرورية، وخاصة الرقمية منها . حيث تزداد عندئذ امكانيات الذاكرة نتيجة لتشكل روابط اصطناعية . فلتذكر وزن مدفع مثلا ، يمكن ان نستخدم بعض التواريخ المشهورة ، كعام الولادة لصاحب العلاقة ١٩٤١ ، واليوم والشهر الذي ولد فيهما ١٢/١٧ ، وعام انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ وغير ذلك .

لذلك كان علينا ان ناخذ بعين الاعتبار ، ان قواعد فن التذكر تساعد على التذكر ، ولكنها لاتطور الذاكرة ، وبالتالي فان استخدامها يكون محدودا جدا . أما الطريقة الرئيسية لزيادة حجم الذاكرة ، فهي تحسين التذكر ، عبر وضع قواعد للتذكر المنطقي .

ففي الشروط القتالية يجب ان تحفظ المعطيات المراد تذكرها عن المهمة القتالية المسندة ، او عن اعداد القرار في الذاكرة لفترة طويلة أو قصيرة ، حيث يتطلب ذلك ان نكرر ذهنيا مايجب تذكره . كمهام ومراحل المعركة ، وقوام القوى والوسائط والامكانيات النارية لهذه الوسائط وغير ذلك .

تساعد الاعادة المتكررة على حفظ المعلومات أكثر من الاعادة الطويلة ، فاذا خصص لاعادة المعطيات ٣٠ دقيقة ، فانه يفضل ان نعيدها ثلاث مرات ، بمعدل ١٠ دقائق لكل منها ، على ان نعيدها مرة واحدة لمدة ٣٠ دقيقة .

يعتبر النسيان عاملا من عوامل فقدان الدقة ، والاقلال من حجم مانتذكره، وسببا في ارتكاب الاخطاء باسترجاعه ـ وهو بالاضافة الى ذلك ـ عملية اضعاف للارتباطات المؤقتة التي تسهم بدورها في عملية التذكر . وتكون هذه الارتباطات أكثر ثباتا عندما تستخدم في تشكيلها حواس الرؤيا ، والسمع ، والنطق (كأن نرى ونقرأ ونسمع ونتكلم) . وهو ما نستخدمه فعلا أثناء تنفيذ الاستطلاع الشخصي ، وتنظيم التعاون على الارض .

تتطلب عملية اتخاذ القرار للمعركة ، وجوب تذكر واسترجاع المعطيات اللازمة .

يعتبر الاسترجاع أحد عمليات الذاكرة ، ويتخلص في الاستعادة الفكرية للخبرة السابقة ، وقد يكون اراديا وغير ارادي. اذا كان الاسترجاع غير الارادي اثناء عملية النشاط الادراكي للقائد في المعركة . يتعلق بالمسألة المطروحة ، ولا يفقد ارتباطه بها ، فانه يكون مفيدا وذا قيمة كبيرة . فنذكر مثلا على ذلك : انه لدى تحميل المرابض النارية لوسائط العدو على خريطة العمل ، فان القائد يتذكر ـ عفويا ـ قوامها ، وامكانياتها النارية .

اما اذا تذكر عفويا ، ماليس له ارتباط بالمسائل المدروسة في الوقت الراهن ، عندئذ فان ذلك يعيق تفكير القائد ، وبالتالي فلا يسترجع كل ماهو ضروري وهام لاعداد القرار الافضل . ويمكن التغلب على هذه الظاهرة ، بجعل الاسترجاع اراديا لما هو ضروري في اللحظة الراهنة .

ان الاسترجاع الارادي لما هو مرتبط بالمهمة المسندة ، يتطلب ـ عادة ـ مهارات خاصة . وتحدد درجة نجاح هذا النوع من الاسترجاع بالمسألة ذات العلاقة بمقارنتها مع معلومات مألوفة . وبالطبع فليس من السهل تذكر مايجب تذكره من الاعمال المخططة ، وللمعطيات عن الامكانيات النارية للوسائط المعززة . ويجب في هذه الحالات السعي لاسترجاع المعطيات بمقارنتها بمعطيات مماثلة تمت مصادفتها سابقا . ويسهل ـ مثلا ـ تذكر السرعة القتالية لدبابة ثقيلة ، اذا قورنت بسرعة معلومة لدبابة متوسطة . ويمكن ان نتذكر ـ مثلا ـ مدى رمي الهاون من عيار معين ، اذا قورن هذا المدى بالامداء المعروفة جيدا لعيار آخر من الهاونات او المدافع .

ويجب ان نأخذ بعين الاعتبار انه اذا لم يؤد التركيز على هذه المقارنات (الروابط) الى النتيجة المرغوبة ، فيفضل عندئذ ترك الموضوع لمدة ٥ ــ ١٠ دقائق ، ثم العودة اليه بعد ذلك ، حيث تعمل هذه الاستراحة على ازالة التحريض السلبي للعمليات العصبية ، وبالتالي يتوقف تأثير هذا التحريض على استرجاع المعطيات الضرورية .

تعتبر ذاكرة القائد أساسا لتخزين واستخدام الخبرات القتالية السابقة. وتقسم الذاكرة حسب خواص التذكر والاسترجاع الى الانواع التالية :

الذاكرة الحركية ، والذاكرة الحسية ، والذاكرة اللفظية ـ المنطقيــة ، والذاكرة الانفعالية .

ترتبط الذاكرة الحركية بتذكر وحفظ واسترجــاع الحركات والمهارات والمعارف الحركية . واستنادا الى هذه الذاكرة يعمل القائد ـ المهندس بسرعة وبدون أبطاء،او حركات زائدة في الضغط على الازرار ، لنقل الاوامر والايعازات الضرورية الى المرؤوسين . ويستطيع القائد بالاعتماد على الذاكرة الحركية ان يغير مفاتيح المحطة اللاسلكية اثناء العمــل عليها . وبالطبــع فان الحركات والاعمال المنفذة لاتعتبر فقط مجرد تصرفات حركية ، بل ترتبط مع اعضاء الحواس ومع العمليات الذهنيـة المعقدة (كالاحساس ، والادراك ، والصور) .

تتشكل الذاكرة الحركية ، ليس فقط بانشاء وادراك نموذج معين ، بل وفي التحدث عنه ، الامر الذي يحسن عملها . ليست الافعال الحركيـة التي تعمل تحت سيطرة الرؤيا ، والسمع ، والادراك ، أكثر ثباتا من تلك الافعال التي تعتمد على السيطرة الداخلية ، او الفكرية للاحاسيس الحركية .

ففي الحالة الاخيرة تتحرك اليد الى الاعلى والامام . لمسافة محددة لتأتي بالضبط على المفتاح أو الزر المطلوب .

اما الذاكرة الحسية فهي ، تذكر وحفظ واسترجاع النماذج الحسيــة للاشياء والظواهر . تسمح ذاكرة القائد الحسية على حفظ الصور التي رصدها في معارك أو مشاريع سابقة ، وبالتالي فان قيادته للمرؤوسين في المعركة تصبح أفضل من السابق . وتساعده أيضا على ان يتذكر كليا ، ويسترجع بدقــة مارسمه أو حمله على الخريطة .

لذلك يفضل دائما ـ وكلما كان ذلك ممكنـا ـ ان تترافق الاشكال الترسيمية بكلمات مكتوبة .

اما الذاكرة اللفظية ـ المنطقية ، فهي : تذكر وحفظ واسترجاع ماسمع أو قرىء سابقا ، حيث يتم خلال ذلك ، انعكاس وتثبيت الروابط الجوهريــة للاشياء والظواهر . تلعب الذاكرة اللفظية ـ المنطقية دورا هاما وبارزا في اتقان

المعارف . ويؤدي تطورها الى خلق الشروط الجيدة للتذكر والاستخدام اللاحق لمعطيات الموقف القتالي اثناء اتخاذ القرار للمعركة .

ترتبط الذاكرة الانفعاليــة ارتباطا وثيقا بانفعالات الانسان ، وبتذكــر واسترجاع الانفعالات والاحاسيس . لتلك الاشياء التي كانت قد اثارتها (اي يرتبط الشيء بالانفعال الذي يحدثه) .

ونذكر مثلا . ان التذكر الانفعالي لنهر في منطقة الاعمال القتاليه ، يؤدي الى تذكر القتلى والجرحى الذين سقطوا اثناء عبور هذا النهر . كما ان تذكر الفرح الذي رافق الاعمال القتالية الناجحة السابقة ، يذكر القائد أثناء اتخاذه لقرار جديد ـ بالاعمال التي ستنفذ في المعركة المقبلة .

ان مختلف أنواع الذاكرة مترابطة فيما بينها،وبالتالي فان القائد يستخدم عدة أنواع منها اثناء نشاطه الذهني في المعركة . وعموما فــان الذاكرتين ، الحسية ، واللفظية ــ المنطقية ، تاتيان في المرتبــة الاولى للقــائد ، حيث ان تطورهما الى تحديد نوعية التذكر ، والاستخدام اللاحق للمعطيات اثناء اتخاذ القرار للمعركة ، وأثناء خوضها .

ومن الواضح أنه توجد خواص مهنية للذاكرة ، اذا نظر اليها من وجهة نظر مضمون التذكر . وان تذكر المسائل والظواهر التي لها علاقة بالنشــاط العسكري ، يطور ذاكرة القائد ، ويزيد بالتالي من فعالية نشاطه الادراكي . ويمكن زيادة امكانيات الذاكرة من خلال التدريب الخاص المنتظم على تطويرها. وينتج عن ذلك تطور الذاكرة البصرية ، والذاكرة السمعية ، والذاكرة الحركية. ويمكن تذكر معطيات الموقف القتالي بأفضل مايمكن ، اذا استخدم نوع الذاكرة الاقوى لدى الضابط .

يزداد التذكر ثباتا باستخدام التكرار الفكري المنظــم لما نريد تذكــره ومقارنته مع معطيات اخرى معروفة جيدا . ويسهل دائما تذكر الاشياء التي ندركها جيدا .

يتم التذكر بنجاح أكبر اذا توفرت معلومات معينة ، بينما يؤدي نقص هذه المعلومات الى تذكر اسوأ .

ولدى تذكر معطيات كثيرة عن الموقف القتالي ، يجب فرز المعطيات ذات الاهمية الاولى لاتخاذ القرار .

تنخفض فعالية الذاكرة لدى استمرار الجهود الطويلة لعملية التذكر . لذلك ينبغي اجراء استراحة لمدة ١٠ دقائق ، بعد التفكير الشديد لمدة ٤٠ـ٥٠ دقيقـة .

اذا تعذر تذكر بعض المعطيات ، كتلك التي تم الحصول عليها اثناء الاستطلاع الشخصي ، فيفضل عندئذ ان يتم فكريا استرجاع الموقف الذي حصل التذكر فيه ، او تسترجع المشاهد والحقائق (انفجار القذيفة ، تحليق الطائرة) ، التي رافقت حدوث هذه او تلك المعطيات ، حيث تسهم هذه الطريقة في استرجاع مايلزم كليا . وعموما فان ذلك يمكن من زيادة فعالية الذاكرة .

عرفت مؤخرا انواع خاصة من الذاكرة ، بعد ان ادخلت في نظام قيـادة القوات ، آلات مختلفـة معدة للاستخـدام في مجال علم النفس الهندسـي العسكري (١) .

وقد شملت هذه الانواع كلا من الذاكرة القصيرة الامد ، والذاكرة الطويلة الامد ، حيث يفهم من الذاكرة القصيرة الامد ، قدرة الانسان على تذكر واسترجاع حجم محدد من المادة بعد سماعها مرة واحدة ، وخلال زمن قصير ، بينما يفهم من الذاكرة طويلة الامد ، تلك الحالات التي يتطلب التذكر فيها اعادة متكررة اكثر من مرة واحدة .

وعرف نوع آخر من الذاكرة ، هو الذاكـرة العملياتيـة ، التي تعني : الدخول في النشاط الراهن والتوجه لتحقيقه .

ونظرا لتعاظم تيار المعلومات التي ينبغي تذكرها من قبل الانسان ، فقد اجريت مؤخرا ابحاث فعالة تهدف الى ايجاد السبل الناجحة لزيادة امكانيات الذاكرة . ونفذت الابحاث والمحاولات الضرورية ، سواء في الاتحاد السوفييتي

---

(١) ـ « ب . ف . لوموف » : علم النفس الهندسي العسكري ـ اصدار عام ١٩٧٠ .

او في الدول الاخرى،بغية تحسين وتوسيع امكانيات الذاكرة بواسطة التنويم المغناطيسي ـ أي التعلم اثناء النوم ـ حيث يلقن الانسان المعلومات اللازمة عبر سماعات رأسية أثناء التنويم .

لقد استخدمت هذه الطريقة لاول مرة في العشرينات . ويجري حاليا تعلم اللغة الاجنبية في الاتحاد السوفييتي بهذه الطريقة ، التي أعطت نتائج جيدة في اتقان هذه اللغة .

وبالطبع فان الانسان النائم ليلا لايدرك الكثير من المهيجات التي تعيق استيعابه للمعلومات كما يحدث نهارا . ومن هنا جاءت فكرة العمل بالتنويم المغناطيسي . ومع ذلك فثمة اعتراضات هامة على فائدته واستخدامه ، حيث ان النوم معد لراحة الانسان . وبالرغم عما يقال من انعدام الاحساس بالتعب اثناء النوم ، الا ان ذلك لايزال غير معلل ، ولم تثبت صحته بالبرهان .

وبالاضافة الى ذلك ، فان التعلم يفترض كون المتدرب بحالة نشـــاط ، الامر الذي لايتحقق أثناء النوم . وبالتالي فالحديث هنا يتناول التذكر الآلي، الذي لايمكن ان يكون ثابتا . ثم ان نتائج التعليم اثناء النوم لاتزال مجهولة ، ويبدو أن استخدام التنويم المغناطيسي ، لن يلاقي نجاحا في الاعوام القادمة .



ثانيا ـ تصور القائد

يلعب تصور القائد دورا هاما في عملية اتخاذ القرار . والتصور هو : استرجاع نماذج الاشياء والظواهر التي سبق ادراكها . ويساعد تصور القائد على تكملة وتوسيع ماتم استيعابه ، وبالاخذ بعين الاعتبار للنقاط غير المستوعبة ، والضرورية لاتخاذ القرار للمعركة .

يمكن ان يبحث تصور القائد من ثلاثة وجوه :

الاول : وهو نموذج الشيء الذي لايؤثر في الوقت الراهن على اعضاء الحواس .

والثاني : هو عملية استعادة النماذج التي حدثت للقائد خلال تجاربه السابقة .

والثالث : هو المادة الذهنية ـ النشيطة اللازمة لعمل التصور ، والذاكرة، والتفكير .

للتصور عدة انواع ، حيث يمكن لبعضها ان يسترجع ـ بشكل اكثر او اقل دقة ـ ماحدث سابقا . فنستطيع مثلا ان نتصور الوضعيات التي تشكلت معنا خلال المشاريع التكتيكية ، كما اننا نحفظ لمدة طويلة التصورات عن اللحظات السارة في حياتنا ، وعن نجاحنا في تنفيذ المهمة القتالية ، وعن تحقيق النصر في المعركة ضد عدو قوي ، وكذلك نتصور سرورنا لدى الترقية الى رتبة عسكرية اعلى ، ولدى استلامنا للاوسمة والمكافآت .

وثمة تصورات اخرى مرتبطة بالمعالجة الفكرية لما حدث سابقا ، حيث لاتوجد في مضمونها اية علاقة مباشرة بالخبرة الشخصية ، ولا مثيل لها فيما

يحيط بنا . واننا نتصور مثلا طيران صاروخ باليستيكي عابر للقارات ، ومبدأ تصميم الذخيرة النووية .

ومن المعلوم ان التصورات تحوي ملامح النموذج الملموس للشيء الـذي يشكل موضوع التصور . ويتميز التصور عن ظاهرتي الاحساس والادراك ، في انه يحمل طابعا عاما . فنحن نبني تصورنا ـ متعمدين على احساسنا ـ عن المرؤوسين والرفاق والزملاء ، او عن الانسان بصورة عامة .

ان التصورات لاتعكس ـ عادة ـ الاشياء والظواهر بكاملها،وانما تعكس ـ غالبا ـ خواصها المتكررة فقط . حيث يتأثر انتقاء وتحديد هذه الخواص ، بالطابع الشخصي ، والنشاط المهني للانسان .

يختلف تصور كل شخص لشيء ما عن تصور الآخرين ، أي توجد ملامح فردية للتصور . وهكذا فان تصور الضابط للمعركة ـ مثلا ـ يتسم ـ بالاضافة الى المفاهيم العامة لها ـ بملامح خاصة تعكس معاناته الشخصية عنها .

ويلعب التصور دورا بارزا في النشاط الذهني للقائد ، حيث يعي الحقيقة فكريا عندما يستحيل عليه ان يدركها مباشرة .

يمكن ان يكون تصور القائد فرديا (خاصا) وعاما . فالتصور الفردي هو: نموذج لادراك هذا الشيء او تلك الظاهرة ، ونذكر مثالا لذلك ، تصور انفجار القذيفـة .

أما التصور العام فهو : تراكم يعتمد على عدة أشياء متشابهة ومؤثرة . فتصور الدبابة كعربة قتال ، يعتمد علـى ماعرف سابقا مـن دبابات خفيفة ومتوسطة وثقيلة .

يعتبر تصور المعركة ، نتيجة للاشتراك في المعارك والمشاريع التدريبية ، ودراسة خصائص مختلف أنواع المعركة الحديثة . وبالطبع فان هـذا التصور للمعركة ، لايتجمع ـ فقط ـ بنتيجة الخبرة القتالية للقائد . ومع ذلك فان التفكير الابداعي للقائد ، الذي يتبلور خلال الحروب بنتيجة الخبرات القتالية ، يمثل اهمية خاصة في تصوره .

وتقدم كتابات القادة السوفييت عن الحرب العالمية الثانية خبرات غنية، يمكن للقادة الحاليين الاستفادة منها .

يقدم لنا جنرال الجيش « ا . ب . فيديوتسكي » في مذكراته ، مشهدا طريفا حيث يقول : « لقد تسنى لقطعات الفرقة ان تتسرب الى دفاع العدو ، ولكن وحدات المشاة مالبثت ان توقفت بسبب تعرضها لنيران قوية من المنعات والملاجيء المعادية . وعندئذ امر قائد الفرقة ان تقطر الدبابات خلفها قسما من مدفعية الكتائب والالوية . انطلقت الدبابات مسرعة نحو الامام ، تجر وراءها المدافع المقطورة ، وتحمل زمر هذه المدافع عليها . وتقدمت فصائل المشاة خلفها مباشرة ، ثم قطرت المدافع الى مسافة ۲۰۰ ـ ۳۰۰ م من المنعات المعادية ، ثم قفزت الزمر بسرعة عنها وفتحت نيران مدافعها باتجاه المنعات النارية المعادية . بينما تابعت الدبابات تقدمها الى الامام ، موجهة نيرانها الى طلاقات المنعات النارية للعدو ، او مغلقة اياها بالدرع . وسرعان ماانطلقت وحدات المشاة الى أهدافها تحت تغطية الدبابات ، وقذفت الاهداف بالقنابل اليدوية. كان عمل هذه الوحدات ـ كمجموعة اقتحام ـ فعالا للغاية » (۱) .

الا يساعد هذا الحدث على تكوين تصور عن تعاون الصنوف المختلفة للقوات أثناء مهاجمة المواضع المحصنة للعدو ؟ .

يتشكل تصور المعركة لدى الضابط أثناء اشتراكه في المشاريع التدريبية، وفي المناورات الكبرى للقوات ، وبصورة خاصة في المشاريع المشتركة لجيوش البلدان الصديقة ، حيث ينمو خلالها تصور القائد للمعركة المشتركة ، ويزداد كمالا وتنوعا . وكلما كان تصور القائد غنيا وبعيد الآفاق ، كلما أصبح نشاطه الذهني اكثر فعالية ، وبالتالي كلما تنامت قدرته في اتخاذ القرار الافضل في شروط المعركة .

وهكذا فان تطوير تصور القائد عن المعركة المشتركة ، بما يتوافق مع المعركة الحقيقية ، يجب ان يتم خلال التدريب القتالي . والحديث هنا

---

(۱) ـ « ا.ب. فيديونسكي » : (المستنفرون) . طباعة عام ١٩٦٤ . ص ۹۸ .

يتناول ضرورة تكوين تصور واضح لدى كل ضابط ، عما يمكن ان يتعرض له اثناء المعركة الحديثة من صعوبات ، وعن ضرورة التغلب عليها . ويتحقق تكوين هذا التصور بتقريب شروط التدريب الى واقع الشروط القتالية ، سواء على صعيد الظواهر الخارجية أو على صعيد المضمون السيكولوجي لنشاط الضابط. ولا يكفي مثلا ان نبين في المشاريع ، السحابة الاشعاعيـة ، التي تأخذ شكـل الفطر ، بل يجب ان نخلق الشروط المعقدة للعمل تحت تأثير هذه السحابة : كالوتيرة القصوى للهجوم ، وأعمال صد الهجمات المعاكسة للعـدو ، واجتياز الحواجز الهندسيـة وحقول الالغام ، وعبور قطاعات ملوثة من الارض ، ومناطق الانهيارات ، وبؤر الحرائق وغير ذلك ، مما يجب معالجته أثناء المشـاريع . مع الاخذ بعين الاعتبار ، تعليم أماكن العدو ، ووسائط التمثيل ، والمؤشرات الصوتية والضوئية للمعركة الحديثة . ويلعب اتخاذ أجراءات الوقاية من أسلحة التدمير الشامل ، دورا لايقل اهمية عن كل ماذكر أعلاه . وهكذا فان كل هذه المسائل تساعد على تكوين تصور صحيح لدى القائد عن المعركة الحديثـة ، وتؤدي الى زيادة فعالية النشاط الذهني لديه .

يجب أيضا تكوين تصور صحيح لدى الضابط عن السلاح النووي . ويكمن جوهر المشكلة في خلق مفهوم واضح لازيادة فيه ولا نقصان ، عن عوامله المؤثرة . واذا بالغنا في تقدير دور السلاح النووي كواسطـة تدمير شـامل وجماعي ، فسوف تنشأ لدينا افكار عن عدم امكانية الوقاية منه ، وبالتالـي تصبح كافة الدروس والاعمال التدريبية بغير فائدة . اما الاقلال من اهميـة هذا السلاح ، وعدم تقدير العوامل المؤثرة للسلاح النووي بشكل موضوعي ، فسوف يؤدي بدوره الى عدم تقدير اهمية التدريب المتواصل والعنيف من أجل المعركة الحديثة . لذلك يجب تكوين تصورات صحيحة عن المعركة الحديثـة ، وخلق مواقف صعبة اثناء تنفيذ الدروس التكتيكية ، (تراعى فيها الشروط المحلية ، والقواعد النفسية الضرورية). بغية تشكيل صورة حقيقية عن المعركة، واعارة الاهتمام الى كون شروطها الخارجية والنفسية قريبـة مـن الشروط القتالية للمعركة الحديثة. وتراعى أيضا في الفرضيات ضرورة بذل جهود كبيرة

من قبل المتدربين لمعالجتها ، حتى يمكن خلق الثقة لدى المتدربين بامكانية العمل في شروط استخدام السلاح النووي .

ويجب على القائد ــ ايضا ــ ان يراعي في نشاطه الذهني ــ واثناء اتخاذ القرار ــ خلق تصورات عن العدو ، لاتكون اقل اهمية عن تصوراته فيما يتعلق بقواته . ذلك ان تدريب الضابط وتحضيره للمعركة الحديثة ، يحتاج الى تكوين انطباعات وتصورات عميقة ومتنوعة لديه ، عن خصائص مختلف انواع مسارح الاعمال القتالية ، وعن جيوش الأعداء المحتملين ، وتسليحها ، وضرورة معرفة المعطيات الفنية والتكتيكية لهذا التسليح . وعن تكتيك خوض المعركة المشتركة، ونظام تأهيل الجنود والضباط . ومن هنا تنشأ ضرورة تصور الضابط للحالة المعنوية والنفسية لجنود وضباط الجيوش الاجنبية ، ولخصائص سلوكهم في المعركة ، ونقاط الضعف والقوة لديهم . يؤمن التصور عن العدو أكثر الطرق فعالية لتحقيق النصر عليه ، وذلك عبر اتخاذ أفضل القرارات .

يلعب التخيل ــ كعملية نفسية معقدة تعتمد على خبرة القائد ــ دورا كبيرا في نشاطه الذهني ، حيث يمكن ان يعبر عنه بفكرة او نموذج او تصور معين .

يساعد التخيل الانسان في ان يتوقع نشاطه ، حيث يمكنه ان ينشىء الخطط للمستقبل وينفذها ، متميزا بذلك عن غيره من الكائنات الحية . وقد كتب « كارل ماركس » عن ذلك مايلي : « ينفذ العنكبوت عمليات تذكر بحائك النسيج ، وتقوم النحلة ببناء الخلايا بشكل لايرضى عنه أسوأ البنائين ، ولكن اسوأ بناء يعتبر افضل من احسن نحلة ، لانه يخطط عمله منذ البداية في ذهنه . ثم يحصل بعد ذلك على النتيجة التي كانت اصلا فكرة أو تصورا في ذهنه » (١) .

ان خلق أشياء جديدة ، هو التخيل بذاته . يتالف جوهر هذه العملية

---

(١) : مؤلفات « ماركس وانجلتر » ــ مجلد ٢٣ ــ ص ١٨٩ .

الذهنية من ارتباطات مجزأة ومنتقاة سابقا ، يصار الـى جمعها في عنـاصر جديدة متناسقة .

يسمح التخيل المتطور للقائد الذي يتخذ القرار ، بتصـور ديناميكيـة المعركة ، والوضعيات المحتملة ومختلف حالات العمل ، حيـث يحمل علـى الخريطة الشروط الواقعية ، التي سيضطر لتنفيذ المهام القتالية فيها .

يؤثر التخيل المتطور للقائد ايجابيا على نجاح الاعمال القتالية في الشروط المعقدة . ومثال ذلك ، عندما تعمل القوات في المناطق الصحراوية ، حيث لاتتوفر على امتداد عدة كيلو مترات ــ اية هيئات أرضية ، او موارد محلية ، ولا تقدم ــ حتى الخرائط الطبوغرافيةــ اية مساعدة للعمل في مثل هذه الشروط المعقدة . وقد كتب « أ.ت.بلييف » عن ذلك مايلي : « ان التوغل العميق في الصحراء ، اقنعنا بأن الخرائط الطبوغرافية ، لاتتطابق مع الارض فعلا . لقد احتوت هذه الخرائط على بعض الطرقات والمحاور الميدانية ، غير ان الحقيقة اظهرت لنا عدم وجودها على الاطلاق . ولم تظهر لنا سوى طرق القوافل ، حيث وجدنا طريقين متوازيين ، استطعنا ان نميز عليهما آثار مرور الجمال .

وكانت غالبية الطرقات تعود الى القرن السابـع عشر ، عنـدما عبرت القوافل الروسية الاولى صحراء منشوريا . وكنا في اليوم الاول قد فقدنا الثقة في الخرائط ، لاسيما وان الخرائط كانت تبين وجود مدينة (دولونور) في المكان الذي كنا فيه ، الامر الذي أثار دهشتنا ! ؟ »(١)

وفي مثل هذه الشروط المعقدة ، يسمح تخيل القائد بتحديد نقطة الوقوف وأعمال العدو المحتملة ، عبر الاستفادة من بعض العلامات المستقلة .

يستطيع القائد ــ بواسطة التخيل الذي تكمـن في جـذوره الحقيقـة الموضوعية ــ ان يضع خطة المعركة المقبلة ، معتمدا على معارفه الحقيقية عن المعركة ، وآخذا بعين الاعتبار حالة الافراد وعناصر أخرى .

---

(١) ــ « ا . ت . بلييف » : « عبر صحراء الكوبي والهنجان » ــ اصدار عام ١٩٦٥ . ص٥٠

وتخيل القائد هو : عملية خلق فكري لاوضاع وديناميكية المعركة ، ولاعمال العناصر في المعركة ، عبر جمع جديد للتصورات الاولية .

ويمكن للقائد ان يتخيل فكريا ، ديناميكية المعركة في عمق دفاع العدو ، معتمدا على معطيات الاستطلاع المتوفرة عن بنية جهاز دفاع العدو. يدل ذلك على الدور الهام للتخيل في عملية اتخاذ القرار من قبل القائد ، وعلى ضرورة اخذه بعين الاعتبار ، سواء في شروط المعركة او خلال عملية تأهيل الضباط في زمن السلم .

ان تطوير تخيل القائد يعني : تعميق معارفه باستمرار عن المعركة الحديثة، وتوسيع مداركه بشكل عام . ولابد للقائد من الاعتماد على خبرة واسعة في الاشتراك الشخصي في اتخاذ القرارات للمعركة ، وفي التخطيط للاعمال القتالية .

يسهم تعيين القائد — اثناء تنفيذ المشاريع — في وظيفة أعلى من وظيفته الاساسية بمستوى واحد ، على تطوير التخيل لديه . كما أن خلق أوضاع غير محددة ناجمة عن عدم توفر المعلومات عن العدو او انعدامها ، يؤدي — أيضا — الى تطوير تخيل القائد .

يلعب الحدس لدى القائد دورا هاما وخاصا ، في فترة التحضير للمعركة، وأثناء خوضها . ففي التفسيرات الصوفية يتمثل الحدس النفسي بالرؤيا وغريزة الشعور . فقد نجد الحل لمسألة معقدة ، او نتخذ قرارا فوريا يكون الحل الافضل والوحيد احيانا ، الامر الذي يعتبر نتيجة للبحوث والتجارب السابقة للانسان ، والخاضعة للقواعد النفسية العامة ، التي تسود في فترات متقطعة . وعموما فان الافكار والمعارف الخصبة للانسان وخبرته الطويلة ، وبعض الخواص الحركية — العصبية لديه ، تساعد أحيانا في ايجاد الحلول المعتمدة على الحدس .

تدل هذه المسائل على ان النشاط الذهني الفعال للقائد اثناء اتخاذه القرار ، يحتاج الى ذاكرة وتصور على درجة كبيرة من التطور .

يجب الاهتمام في التحضير الطويل للمعركة الحديثة ، بتطوير ذاكرة الضابط .

يؤدي التذكر الافضل ــ في هذه المرحلة ــ الى اقامة ارتباطات موضوعية بين الظواهر والاشياء . ويعتبـر تذكر الضابط عمـلا عفويا ومنطقيا ، دون استثناء حدوث ذلك بشكل ميكانيكي ، وغير ارادي . ويحتاج حفظ المعلومات المتعلقة باتخاذ القرار ، واسترجاعها في الوقت المناسب ، الى جهد كبير .

يمكن تنمية امكانيات الذاكرة ، باجراء بعض التمارين الخاصة لها ، مع المراعاة التامة لخصائص عمليات ترويض الذاكرة . ويتم ذلك بتوسيع وتعميق المعارف العسكرية ، وفي الاستيعاب المنظـم للخبرات المكتسبـة ، في الاعمال التدريبية القريبة جدا من الاعمال القتالية الحقيقية .

يجب أيضا تطوير التصور لدى الضابط ، عبر تراكم المعارف والخبرات القتالية ، والاشتراك الشخصي في تنفيذ المشاريع والمناورات ، وفي الدروس على الاسلحة والاعتدة القتالية ، وتنظيم القوات ، وتكتيك خوض المعركة ، وان تكوين تصورات صحيحة عن المعركة الحديثة ، يمكن ان يتحقق ــ فقط ــ بالاقتراب الاقصى للمواقف المعطاة ــ أثناء الدروس والمشاريع ــ مـن شروط القتال الحقيقي ، وبالعمل النشيط في هذه الشروط .

يلعب تخيل القائد ، وتقسيمه المسألة المعروفة سابقا ، الى عناصر وأجزاء، واعادة جمعها بشكل جديد ، دورا كبيرا وهاما في عملية اتخاذ القرار . وأن تطوير تخيل الضابط يعني ، تعميق معارفه باستمرار عن المعركة الحديثة ، وتجميع خبراته في اتخاذ القرار في شروط قريبة جدا من الشروط القتالية .

واخيرا يمكن القول : أن ذاكرة الضابط وتصوره يرتبطان بشكل وثيـق بالعملية الذهنية العليا المتمثلة بالتفكير .

* * *

الفصل الخامس

التفكير وحديث القائد أثناء اتخاذ القرار

أولا ــ تفكير القائد وتطوير فعاليته

ثانيا ــ حديث القائد أثناء اتخاذ القرار

أولا ــ تفكير القائد وتطوير فعاليته

للتفكير دور هام وكبير في عملية اتخاذ القرار من قبل القائد ، ولا يمكن بدونه تنويع النشاط الذهني للقائد .

فالتفكير المتطور له شأن كبير في تحقيق الاعمال الناجحة في المعركة ، وحول هذه المسألة كتب القائد السوفييتي الشهير « م.ن. توخاتشيفسكي » مايلي :

«لايمكن ان يكون القائد جريئا الا اذا فهم الديناميكية التكتيكية للمعركة(١)» .

وقد اشار جنرال الجيش « س.م. شيتمينكو » في مذكراته الى اهمية حضور الذهن ، والتفكير المتطور للضابط ، بالكلمات التالية :

« لقد تكلم الكثيرون عن الاعمال العبقرية الابداعية للناس سواء في مجال الفن والادب ، دون ان يأتوا على ذكر العسكريين . ان العمل العسكري يتطلب أيضا ابداعا عاليا ، وقوة ادراك متطورة ، وبالتالي فان العسكريين يتعاملون ــ وبدرجة اقوى من الاختصاصيين الآخرين ــ مع عناصر أولية كثيرة جدا ،

---

(١) : « م.ن. توخا تشيفسكي » ــ « مؤلفات مختارة » ــ مجلد ١ ــ طباعة ١٩٦٤ . ص ٣١٣

ويخرجون بنتيجة دراستها وتقديرها بأستنتاجات محددة ، يتم على أساسها اتخاذ القرار الامثل » (١) .

لقد تطور دور النشاط الفكري ــ الذهني للقائد أثناء عملية اتخاذ القرار في شروط المعركة الحديثة ، تطورا كبيرا . وليس من قبيل الصدفة ان ازداد اهتمام الدول الراسمالية ــ في الوقت الحاضر ــ بتطوير تفكير الضابط ، واعارته اهتماما كبيرا . ولهذا الغرض ، فقد جرى اكساب هؤلاء الضباط المهارة في مختلف انماط التفكير ، واجراء دروس خاصة لهم في تطويره (٢) .

يعتبر التفكير أرفع عملية ذهنية . وان عمليتي الاحساس والادراك ــ كما ذكر سابقا ــ تؤمنان اعطاء صورة مباشرة عن الموقف في المعركة . أما التصور فيتيح لنا امكانية استرجاع الماضي . كما ان التفكير يسمح بالتعرف على الغرض والظاهرة دون ان نتعامل معهما مباشرة .

والتفكير هو : المعرفة المباشرة والعامة للحقيقة وميزاتها وعلاقاتها وارتباطاتها الجوهرية . ففي عملية التفكير يستطيع الانسان ، الذي يحمل مهمة ما ، ان يعتمد على معارفه المتوفرة وعلى استنتاجاته منها .

يولد التفكير لدى الانسان من خلال المعرفة الحسية(الاحساس ،والادراك، والتصور) . غير أن التفكير يخرج عن حدوده ، ويتيح لنا ان نعرف مالا ندركه مباشرة ، ونذكر مثلا ان الاحساس لايحيط بالحركة عموما ، فلا نستطيع مثلا أن نشعر بالسرعة البالغة (٣٠٠٠٠٠) كم في الثانية . بينما يستطيع تفكيرنا ان يحيط بهذه السرعة .

يتضح من التعريف ، ان التفكير هو : انعكاس استنتاجي للحقيقة ، حيث يستنتج الرجل أثناء تفكيره ظاهرة موحدة ، استطاع ان يحصل عليها بالادراك

---

(١) : « س.م. شتيمنكو» : (الاركان العامة في سنوات الحرب) ــ الجزء الاول ــ طباعةثانية، عام ١٩٧٥ . ص ١٨٠ ــ ١٨١ .

(٢) ــ انظر المجلة العسكرية الاميركية . عدد شهر تشرين الاول لعام ١٩٧١ .

المباشر ، وبعدها يأخذ الانسان بالقوانين العامة لهذه الظاهرة ، ويطبقها على الظواهر الخاصة لدى بحثه كل واحدة منها .

يستخدم الانسان كلمات عامة ، حيث ترتبط فيما بينها ـ مثلا ـ بما تشير اليه الرموز (ك مش ـ ك د ـ الخ) . وهكذا فان الكلمة تبدل مايخطر للانسان من مدلولات عامة لها ، وخاصة عندما يكون ماتدل عليه موجودا في أشياء مختلفة (كلمة كتيبة بين الرموز المذكورة مثلا) .

تعتبر اللغة الواسطة المباشرة للتعبير عن التفكير ، ويمكن القول بان التفكير هو : العملية التي تعبر عن الحقيقة بالكلمات مباشرة . واللغة هي اداة التعبير عن حقيقة الفكرة .

يرتبط التفكير ـ دائما ـ باللغة ، وعندما لايعبر القائد عن أفكاره بواسطة اللغة ، فانه يفكر بصمت ، حيث يعمل جهاز الكلام لديه في هذه الحالة ، ويكمن الخلاف عندئذ في ان عضلات هذا الجهاز تكون خاملة ، أو متوقفة عن ممارسة نشاطها الى حد ما .

يقوم القائد خلال نشاطه الذهني وتفكيره ، بمعالجة الحقائق المختلفة المستقلة مكونا منها صورة متكاملة للمعركة . فالتفكير لايساعد القائد ـ فقط ـ على معرفة كل مايحيط به ، بل ويكشف له جوهر وارتباط وقواعد كل مايحدث في الواقع .

ففي شروط الموقف القتالي ، ينبغي ـ بصورة خاصة ـ تأمين الفعالية العالية للنشاط الفكري للقائد ، ويتحقق هذا بالتنظيم المناسب لعملية النشاط الفكري ، وباستخدام العمليات الاساسية للتفكير ، المتمثلة بالتحليل والتركيب.

يتطلب التحليل الفكري ، تقسيم الكل الى أجزاء ، او الفرز الكلي لبعض الخواص والعلامات المستقلة . فعند تقدير العدو ـ مثلا ـ يتم فرز ودراسة وتحليل قوامه ونظام دفاعه ، وبنية ترتيبه القتالي ، والتجهيز الهندسي لمواقعه، وجهاز نيرانه ، وغير ذلك . أما عند تحليل اقتحام مانع مائي ، فيصار عندئذ الى دراسة بعض المسائل العامة ككل ، كطبيعة المانع المائي ، والاعمال المحتملة

للعدو ، ودرجة تامين وسائط العبور ، ومهارة العناصر في اجتياز الموانع المائية الخ . وان النشاط الذهني الاكثر فعالية لدى القائد تمكنه أثناء التحليل من فرز المسائل الواجب معالجتها بشكل كامل ، ودراسة كل منها بدقة .

بعد اجراء هذا التحليل الفكري الضروري للتعرف العميق على ظاهرة ما ، تظهر – أيضا – ضرورة اعادة الربط الفكري للمسائل الجزئية وجمعها في مسألة واحدة ، كما كانت سابقا .

ويستخدم التركيب لهذا الغرض ، بغية دراسة هذه المسألة ككل في مستوى أعلى . وان تقسيم الكل الى أجزاء وتحليل كل جزء منها ، وتركيبها من جديد ، يسمح للقائد بالتعرف العميق على الموقف وتقديره ، والخروج منه بالاستنتاجات الملائمة .

ان التحليل والتركيب مرتبطان فيما بينهما ، ويمثلان طرفين متلازمين لعملية ذهنية واحدة . يمكن للقائد ان يستخدم – بالاضافة لهما ، وخلال ممارسته للنشاط الذهني في المعركة – بعض العمليات الذهنية الرئيسية الاخرى : كالمقارنة ، والتجريد ، والتعميم ، والانتظام ، والتخصيص .

يتم اللجوء للمقارنة خلال عملية اتخاذ القرار ، لمطابقة مختلف الظواهر والاشياء ، بغية كشف أوجه التشابه او الاختلاف فيما بينها ، وبالتالي لفهمها فهما عميقا . تساعد المقارنة على اجراء التحليل والتركيب ، ونذكر مثلا ، أن مقارنة أماكن توضع الوسائط النارية المعادية ، مع البنية العادية لدفاعه (أي العدو) ، يساعد على كشف فكرة دفاعه . وان مقارنة مختلف قطاعات الارض في أماكن توضع الصديق ، وفي أماكن دفاع العدو (مع مراعاة عوامل أخرى) ، يسمح بالتحديد الصحيح لاتجاه الضربة الرئيسية ، وبالتالي بانتقاء افضل بنية لترتيب القتال ، ولتسلسل تنفيذ المهمة القتالية الخ .

تفيد المقارنة أيضا ، في اكتشاف الاشياء الجديدة في تكتيك تنفيذ المعركة ، التي يخوضها العدو ، والنماذج الجديدة من عتاده القتالي .

وتكون دراسة الانظمة الجديدة اكثر فائدة ، اذا ماقورنت بمثيلاتها السابقة .

يمكن القائد اثناء اتخاذه القرار ، ان يحدد مبدئيا النواحي والظواهر والعوامل الثانوية (غير الجوهرية) التي لن تؤثر على المهمة القتالية ، حيث يفهم من ذلك التركيز على مايحتاجه فعلا ، واهمال مالايحتاجه ، بغية تحقيق تقدير هادف للموقف القتالي . ونذكر مثلا ، ان القائد يهمل ـ اثناء دراسته لمكان عبور مانع مائي ـ طول النهر ، ووجود السمك فيه ، ونقاطا اخرى ، لاتؤثر بشكل جوهري على تنفيذ المهمة القتالية .

يؤدي هذا الاستنتاج ـ كما هو الامر في التعميم ـ الى تحديد مسائل عامة في الاشياء والظواهر وتوحيدها . اما التعميم فيتم على اساس الدلائل الجوهرية والعامة . ونذكر مثلا ، اننا نستطيع أن نحدد تنظيم زمن الهجمات المعاكسة ، وطرق فتح النار وغيرها ، على ضوء تشابه أو اختلاف الظواهر (جمع ظاهرة) .

ولا يقل التخصيص اهمية عن التعميم ، باعتباره اختبارا وتنظيما له . وبالتالي فان النشاط الذهني للقائد أثناء اتخاذ القرار ، يفترض تنظيم التفكير بما يتلاءم مع قواعد معينة . ولهذا يجب على القائد ان يستخدم أقصى العمليات الذهنية ، بغية التفهم العميق للموقف القتالي . وان استخدام العمليات الذهنية كالتحليل والتركيب ، والمقارنة، والتعميم، والاستنتاج ، والتخصيص ، والانتظام، يساعد على الدراسة العميقة للموقف القتالي .

تنفذ كافة العمليات الذهنية للقائد بشكل ، مفاهيم ، وأحكام واستنتاجات .

والفهم : اعلى درجة تعكس حالة العالم الموضوعي ، والخواص الجوهرية والعامة للاشياء والظواهر . ويعتبر تصور الضابط أساس الشعور بالمفاهيم. فالنشاط الذهني الناجح يتطلب من القائد ان تكون لديه مفاهيم صحيحة عن

المعركة ، مستمدة من الانظمة والقواعد النافذة . واذا لم يتحدد مفهوم واحد لمصطلح « ترتيب ماقبل القتال » ، فقد يصعب على القادة ان يفهموا بعضهم اثناء اتخاذ القرار ، الامر الذي يعقد مسائل التعاون في المعركة ، او يؤدي الى نتائج سلبية سيئة .

واذا كان قادة وحدات المشاة والمدفعية يفهمون مصطلح (رمي التركيز المتتابع) بشكل مختلف ، فانهم سيفكرون بشكل مختلف ايضا ، مما يؤدي الى الفشل في المعركة .

يعتبر **الرأي** (الحكم) أحد صيغ التفكير لدى القائد ، وهو يقوم اما على تأكيد او نفي احدى وضعيات الموقف القتالي ، او امكانيات العتاد القتالي ، وقد يكون الحكم صحيحا أو خاطئا ، وعاما او خاصا ، وموحدا وقطعيا أو شرطيا .

يمكن للقائد ان يصحح أثناء استيعابه للموقف القتالي ، هذا او ذاك الرأي (الحكم) عن قواته أو عن العدو . والاحكام (الآراء) تسبق عادة عملية اتخاذ القرار في هذه المسألة أو تلك . وسنوضح هذه الامور بالمثال التالي :

استنادا لخبرة الاعمال القتالية التي خاضتها القوات السوفييتية في منشوريا ، خلال الحرب الوطنية العظمى ، فقد كتب جنرال الجيش « ا . آ . بلييف » مايلي :

((ليس صحيحا ان نقدر العدو حسب نسبة القوى والوسائط المجردة فقط ، ولا بد ان تؤخذ بعين الاعتبار الحالة المعنوية ــ النفسية لقواته . وقد كانت الروح المعنوية غير عالية في الفرقتين الصديقتين ، السابعة والثالثة . ومع ذلك لم تحاول التشكيلات المعادية ان تستغل هذه الناحية أثناء هجومنا . بل اخذت تبحث عن مخرج لها من الحالة الصعبة التي وقعت فيها . ان هذه القيادة ستفكر حتما لدى بدء هجومنا ، بكيفية اتقاء ضرباتنا على مجنبتها ، ولن تفكر مطلقا بتوجيه ضربة على مجنبتنا الضعيفة . واستطعت ان استنتج من هذه الافكار ، انه لافائدة من اضاعة الوقت في سحق العدو في منطقة ((شانتو)) . بل يجب تنفيذ الهجوم الحاسم على امتداد محور كالفانسك(١))).

تؤثر الاحكام الخاطئة ، التي تظهر احيانا ـ اثناء عملية اتخاذ القرار من قبل القائد ـ تأثيرا خطيرا على سير الاعمال القتالية ، وقد تنشأ هذه الاحكام عن الاخطاء المرتكبة في تحليل الموقف القتالي .

اما استنتاج القائد فهو : استخراج رأي جديد من فكرة سابقة ، او من عدة افكار اخرى. ويعتبر الاستقراء والاستدلال الشكلين الاساسيين للاستنتاج. ولعل من الاهمية بمكان ان يستخدما في عملية اعداد القائد لقرار المعركة .

يسمى استنتاج الضابط المنفذ من الخاص الى العام بالاستنتاج الاستقرائي . ونذكر مثلا ، ان تحليل طبيعة دفاع العدو ، واماكن توضع وسائطه النارية ، وجهاز نيرانه ، يمكن القائد ان يستنتج الطابع البؤري (نقاط الاستناد) لدفاع العدو .

واما الاستنتاج الاستدلالي ، فان القائد ينتقل من العام الى الخاص . واذا علم هذا القائد ـ مثلا ـ ان مجموعة قتالية معادية تدافع امام فوجه ، فانه يستطيع انطلاقا من بنية الدفاع ، التي اتخذها العدو ، ان يستنتج مايتوفر لدى هذا العدو من وسائط نارية ، واين تتوضع هذه الوسائط .

يمكن للقائد ـ ايضا ـ ان يجري استنتاجات على اساس التشابه الموجودة في الظواهر والاشياء .

يمكن ايضا ـ وحسب مضمون وطرق حل المهام ، وخصائص النشاط الذهني لتفكير القائد ـ ان يكون هذا التفكير حسيا ـ منظورا او مجردا ـ منطقيا .

يستعمل التفكير الحسي في الحالات التي تكون فيها المهمة قد اسندت للضابط بصورة حسية وواقعية ، وحيث يستخدم وسائط حسية ـ ايضا ـ لتنفيذ هذه المهمة . ونذكر مثلا ان التفكير الحسي لرامي المدفع ، يتمثل بتوجيه مدفعه . بعد ان يكون قد اختار نقطة التسديد على الدبابة المعادية . وان تفكير سائق عربة القتال ، عند اكتشافه لعطل ما في عربته ، يتمثل بالعمل على اصلاح هذه العطل . وكذلك يكون تفكير القائد عند اختياره لمحاور تحرك ارتال فوجه .

اما التفكير **المجازي** فهو : ذلك النوع من التفكير الذي يعتمد على تصور نماذج الاشياء والظواهر . وهو تفكير القائد الذي يعتمد فيه على الصورة التي يتذكرها عن المعركة السابقة . وهو يشبه تفكير ذلك الانسان الذي شاهد لاول مرة المشهد البانورامي لمعركة « بارادين » المشهورة ، بين قوات نابليون الفرنسية ، والقوات الروسية في عام ١٨١٢ . وعموما فان القائد لايمكنه الاكتفاء بهذا النوع من التفكير لانه لاينفذ عميقا الى جوهر الظاهرة .

واما التفكير **المنطقي ـ التجريدي** فهو : التفكير الذي يعكس العلاقات والارتباطات التي يمكن ان تكتشف بواسطة الانواع الاخرى للتفكير . ويستطيع الضابط بواسطة هذا النوع من التفكير ، ان يعرف سرعة حركة القذيفة ، ومسارها (محركها) ، وقوانين تناثرها أثناء الرمي . وعلى القائد ان يفكر ـ أثناء اتخاذه للقرار ـ بكل مايؤثر على عمله أثناء المعركة .

تتطور كافة أنواع التفكير لدى القائد ، اثناء نشاطه العملي ، وتؤثر خبرته المهنية على هذا التطور .

يتضح مما ذكر ، ان تفكير القائد يظهر خلال نشاطه العملي بأشكال وعمليات مختلفة . ويتضمن الجدول رقم (٢) بنية عملية التفكير المتصلة المنظمة :

الجدول رقم ـ ٢ ـ

عملية التفكير	شكل التفكير	نوع التفكير
ـ التحليل .	ـ الفهم .	ـ الحسي .
ـ التركيب .	ـ الحكم .	ـ المجازي .
ـ المقارنة .	ـ الاستنتاج .	ـ المنطقي ـ التجريدي
ـ التجريد .	ـ استقرائي .	
ـ التعميم .	ـ استدلالي .	
ـ الانتظام (التنظيم) .		
ـ التخصيص .		

ان تحسين وتطوير كافة عمليات واشكال ، وانواع التفكير ـ اثناء التدريب ـ تعتبران شرطين هامين لفعالية النشاط الذهني للقائد ، عند اتخاذ القرار في المعركة .

يدل تحليل تفكير الضباط ، اثناء اتخاذهم لقرار المعركة ، على ان بعض القادة لايستخدمون ـ كليا ـ مختلف اشكال العمليات الذهنية وامكانياتها ، خاصة بعض انواع التفكير ، كالاستنتاج الاستدلالي . ويبدو انه لم تتحقق حتى الآن الاعمال الهادفة الى تطوير امكانيات التفكير في الدروس الجماعية عن كيفية اعداد القرار ، حيث يفكر الضباط الحاضرون بحالة اتخاذ القرار من قبلهم ، دون أن يعيروا الانتباه اللازم لما يفعله الآخرون . ولذلك فان تحليل مضامين المقترحات والقرارات ، وخاصة بما يتعلق بتحليل مختلف انواع عمليات واشكال ، وانواع التفكير عموما ، وتفكير القائد بشكل خاص ، يؤدي الى زيادة جوهرية في فعالية التفكير والوصول به الى الحالة المثالية .

ان النشاط الذهني للقائد في المعركة ، يتطلب خلق مزايا معينة لديه ، وخاصة في تفكيره . وتتمثل هذه المزايا في المرونة الفكرية ، وفي قدرة الضابط في تبديل طرق حل المهمة الموضوعة الى شروط جديدة . وبالتالي لايجاد طرق جديدة لحلها .

ان مرونة التفكير هي : الابتعاد كليا عن الشكلية او النمطية ، والقدرة على حل مسألة واحدة من وجهات نظر مختلفة . وترتبط مرونة التفكير لدى القائد بقدرته الابداعية ، اثناء حل المهام العملية .

ان الخمول هو الصفة المناقضة لمرونة التفكير . واذا كان خمول التفكير ثابتا ، ويظهر في مختلف مجالات النشاط ، فالامر يعود الى عيب في الجملة العصبية المركزية ، يترك تأثيره على نشاط العمليات العصبية عموما .

تعتبر الاستقلالية ـ ايضا ـ احدى الصفات الهامة لمرونة التفكير ، والاستقلالية هي : القدرة على ملاحظة المهام التي تظهر في المعركة ، وايجاد الحلول المناسبة لها ، وهي ايضا القدرة على اتخاذ القرار دون الخوف من

المسؤولية ، والعمل حسب القناعات ، دون التأثير بالعوامل الجانبية او الداخلية .

واما عمق التفكير فهو احد الصفات الهامة للتفكير ، والذي يكون ضروريا للقائد — وتتجلى هذه الصفة في القدرة على كشف جوهر الظاهرة ، وفرز ماهو رئيسي عما هو ثانوي .

ان عمق التفكير هو صفة للضابط الذي لايقبل بالمعلومات السطحية ، بل يسعى دائما الى فهم مايحيط به ، ويظهر فضولا تجاه ذلك . وعموما فان عمق التفكير يسمح للضابط بالتحليل الصحيح للاحداث المعقدة ولظروف الموقف القتالي ، وبالتنبؤ بتطورها اللاحق والتقدير لحقيقتها ، واتخاذ القرارات الملائمة بما يتعلق بها ، وللتغلب على الصعوبات التي تنشأ عنها .

وثمة صفات اخرى هامة للتفكير ، نذكر منها : رجاحة العقل وهي : القدرة الفكرية على استيعاب مجموعة كبيرة من الاشياء والظواهر ، والمحافظة عليها ، واخضاعها للمراقبة أثناء عملية النشاط ، وسرعة التفكير الضرورية للقائد ، بغية اتخاذ قرار نموذجي في أقصر وقت ممكن .

ولا يقل التفكير الموجه اهمية عن الصفات الاخرى في النشاط الذهني للقائد ، حيث يقدم للقائد امكانية تركيز افكاره على النقاط الرئيسية ، وعدم الاهتمام بالنقاط ذات الاهمية الثانوية . يجب توفر كل هذه الصفات لدى القائد للتحقيق الناجح لنشاطه الذهني في الموقف القتالي ، ولتسهيل العمل المعقد الذي يتطلبه اتخاذ القرار للمعركة .

يسمح التفكير المتطور للقائد ، ان يفكر اثناء عملية اتخاذ القرار ، بالعدو المحتمل ، ويتوقع الاعمال المحتملة لهذا العدو في المعركة . ويخمن أيضا اين يمكن ان يركز العدو الجهود الرئيسية لقواته المهاجمة ، واين يتعذر تحقيق هذا التركيز ، الامر الذي يؤثر غالبا على درجة نجاح تنفيذ المهمة القتالية .

ففي عام ١٩٤٣ كان النقيب « غ.ا. رادشينكو » قائد الكتيبة التي تخوض المعركة للاستيلاء على قرية (كوشيلوفا) . قد فهم جيدا اين يتوقع

العدو اتجاه الضربة الرئيسية للقوات الصديقة المهاجمة . فامتنع عن الدخول معه بمعركة جبهية ، واغتنم فرصة حلول الظلام ليوجه جهوده الرئيسية للالتفاف حول نقطة الاستناد المعادية ، ويمثل بقسم من قواه ــ فقط ــ هجوما جبهيا على العدو . وسرعان ماظهرت القوى الرئيسية للكتيبة في مؤخرة العدو، موجهة له ضربة من هذا الاتجاه ، بعد ان سلكت ارضا صعبة المرور . وبالتالي فقد دمر العدو ، الذي لم يكن يتوقع الهجوم من الخلف . ولم تتكبد الكتيبة المهاجمة اية خسائر تذكر .

ان خلق التفكير لدى القائد يحتاج الى مزيد من الخبرات عن المعركة ، وتنويع كبير للشروط التي يترتب عليه أن ينفذ المهام فيها . ويجب عليه ايضا ، ان يعتمد على القواعد النفسية للتفكير ، وان يصبح ذا مهارات جيدة في التفكير بالمواقف القتالية ، وان يستخدم الى اقصى حد مختلف عمليات وأشكال وانماط التفكير .

وعندما يكون التفكير متطورا ، لايتردد الانسان في انتقاء العملية الفكرية المناسبة للحالة الراهنة . وبالتالي فهو يركز على مضمون وجوهر الظاهرة نفسها ، الامر الذي يعتبر هاما لنشاطه الذهني .

يجب على القائد أن يهتم بتطوير تفكير المرؤوسين . وعليه ايضا ان يحدد ــ اثناء عرض المذكرات من قبلهم ــ عمليات ، واشكال ، وأنماط التفكير التي استخدمت لدى استيعابهم للمسالة المطروحة ، او للمهمة القتالية المسندة . فاذا لاحظ القائد أن أحد المرؤوسين لم يستخدم بشكل كاف عمليات،وأشكال، وانواع التفكير ، فانه يطلب اليه الاجابة على أسئلة معينة ، الامر الذي يجعله مضطرا لاستخدام تلك العمليات والاشكال المتعلقة بالتفكير الصحيح .

ينبغي على القائد في الشروط الحديثة ، ان يتقن التفكير الفوري ، الذي يسمح له خلال فترة قصيرة جدا ، ان يحسب العوامل الهامة التي يتطلبها تحقيق النصر على العدو .

ان التحضير الدقيق للمعركة ، والاستخدام ذا الفعالية العالية للعتاد القتالي ، يتطلب تحسين عملية وعي وادراك للموقف القتالي ، واتخاذ القرار من قبل القائد .

ونظرا لضرورة نمذجة النشاط الذهني للقائد في عملية اتخاذه للقرار ، فانه يجب اعارة الانتباه الى الاسس النفسية لهذا النشاط ، حيث يتطلب ذلك ضرورة توقع المواقف القتالية الحقيقية ، وطرق خوض الاعمال القتالية من قبل العدو . وحول ذلك كتب مارشال الاتحاد السوفييتي « آ . آ . غريتشكو » مايلي :

((يجب على مدراء الدروس والمشاريع ان يعرفوا بعمق العمل العسكري، وعلم التربية وعلم النفس العسكريين ، وان يتقنوا المواقف القتالية الحقيقية، ويجعلوا المواقف التدريبية قريبة منها ماأمكن)) (١) .

ان توقع الاعمال القتالية ، يفترض ان يكون تفكير الضابط متطورا ، لدرجة يستطيع معها ان يكتشف الطرق والقواعد الجديدة ، التي يمكن ان يستخدمها العدو في أعماله القتالية . فقد تنشأ في المعركة ضرورة اتخاذ القرار في وضع لاتتوفر فيه المعلومات الكافية عن العدو ، أو أنها لاتتوفر نهائيا . وفي هذه الحالة يجب على القائد ان يسعى لاتخاذ قرار يبني مضمونه على المعلومات التي يعرفها مسبقا عن العدو ، معتمدا ايضا على تقدير أعمال هذا العدو ، التي يفترض أنه لايعرفها،الامر الذي يسهم في تحقيق نجاح القوات الصديقة ، ويوقع العدو نفسه في حيرة .

ومن المعلوم انه ينبغي ان يتخلل عملية التفكير الأبداعي استراحة قصيرة ، وخاصة إذا كان القائد قد أجهد ذهنه في التفكير بكافة الحالات المحتملة لخوض المعركة ، دون ان يتمكن من ايجاد القرار اللازم في الشروط الراهنة .

لايصبح التفكير الابداعي للقائد ممكنا ، الا اذا نظم نشاطه الذهني على أساس المعطيات الراهنة لعلم النفس ، وكان هذا التنظيم متوافقا مع الاسس النفسية التي يستخدمها الضباط بمبادهة واستقلالية . وقد اشار مارشال الاتحاد السوفييتي « آ . آ . غريتشكو » الى ذلك بقوله :

---

(١) ــ « آ . آ . غريتشكو » : (القوات المسلحة للدولة السوفييتية) اصدار عام ١٩٧٥ ــ ص ٣٠٩ .

((ينبغي على القادة ان يكونوا اوصياء على مرؤوسيهم في المشاريع التدريبية ، بل يجب ان يشجعوهم على الاستقلالية والمبادهة في العمل ، ففي مثل هذه الشروط ــ فقط ــ يتطور عند هؤلاء الضباط التفكير التكتيكي ــ العملياتي ، والابداع ، والسعي الى استخدام مختلف الطرق الفعالة ، التي تساعدهم على تنفيذ المهام القتالية)) (١) .

تسهم المعارف المهنية العميقة ، ومعرفة العدو ، والقوات الصديقة ، في تطوير التفكير الفعال للضابط ، ويجب ان تشمل هذه المعرفة تنظيم وتسليح قوات العدو ، والقوات الصديقة ، وامكانياتها النارية ، وامكانياتها في تنفيذ المناورة وغير ذلك . ويجب على القائد ايضا ، ان يأخذ بعين الاعتبار ،الخصائص النفسية للنشاط الذهني ، وطرق نمذجته وزيادة فعاليته .

يتطلب التفكير الابداعي للقائد ثقافة ذات مستوى عال ، وسعة اطلاع في مختلف المجالات ، وفضولا وسعيا لتحسين معارفه .

يعمل التفكير الابداعي للقائد بارتباط وثيق مع العمليات النفسية ، سواء أكانت ذهنية ، او انفعالية ، أو ارادية . وبالتالي فان تطوير هذا التفكير يتطلب ــ في الوقت ذاته ــ تطوير الادراك والانتباه والذاكرة والتصور ، وغير ذلك من العمليات الذهنية الاخرى ، وخاصة مايتعلق منها بالاحاسيس الارادية . يرتبط النشاط الفكري للقائد ــ عند اتخاذ القرار ــ ارتباطا وثيقا بالدوافع الاجتماعية والجماعية ، والوضعية ، ودوافع الاثارة وغيرها .

وان القائد الذي يتخذ قرارا نموذجيا جديدا ، لايتأثر فقط بالحالة الراهنة ، التي يوجد فيها فحسب ، بل يتاثر ايضا بمسؤولية تجاه وطنه وشعبه وحزبه ، ويسعى بالتالي لتحقيق النصر على العدو ، تحدوه الرغبة في ان يكون عمله مميزا ومقدرا من الآخرين .

ينبغي ــ ايضا ــ اثناء التحضير للمعركة ، ان يعطي الاهمية اللازمة للتأثيرات الاجتماعية على المقاتلين ، وان تراعى الدوافع الاخرى ، التي تتعلق

---

(١) ــ « آ . آ . فريتشكو » . نفس المصدر السابق ــ ص ٣٠٤ .

بالعقيدة ، والايمان بالوطن والشعب والحزب ، وأن يثار الاحساس بقدسية الارض والواجب نحو حمايتها .

يمكن ان يطور تفكير القائد أثناء السلم ، بمنح المكافآت والثناءات والتشجيع ، على القرارات النموذجية التي يتخذها خلال زمن محدود ، لان ذلك يقوي الدافع لديه في السعي لاتخاذ القرارات النموذجية في المستقبل .

تساعد الدروس المنفذة مع الضباط – أثناء السلم – على تطوير التفكير الابداعي لديهم ، حيث تعالج فيها مسائل التفكير النفسي ، واستخدام مختلف عمليات وأشكال ، وانواع التفكير ، في عملية النشاط الذهني . وان استخدام هذه المعارف في الدروس التكتيكية ، يسهم في رفع فعالية النشاط الذهني للضابط ، وفي نمذجة هذا النشاط في شروط المعركة الحديثة .

وهكذا فان الدروس والمشاريع ، والمناورات ، المنفذة مع الضباط في حقول التدريب ، تسهم في تطوير تفكيرهم ونشاطهم الذهني ، لانها تؤهلهم تأهيلا جيدا لخوض الاعمال القتالية ، في شروط المعركة الحديثة . وان التدريب في مثل هذه الشروط ، يمكن القائد من اتخاذ القرار الاولي وتطبيقه ، وتنظيم أعمال مرؤوسيه ، في مختلف الشروط المعقدة ، ومن اتخاذ القرارات في مجرى المعركة ، وتدقيق المهام للمرؤوسين حسب المواقف الراهنة .

* * *

ثانياً ـ حديث القائد أثناء اتخاذ القرار

يلعب حديث القائد دورا هاما في عملية اتخاذ القرار من قبله . والحديث شكل من اشكال اعلام الناس واخبارهم ، وأداته هي اللغة التي يعبر بها عن العملية الذهنية لنشاط القائد . وترتبط اللغة والحديث ـ بشكل وثيق ـ بالذاكرة والتفكير . وكلاهما يتيحان امكانية التعبير عن الافكار والرغبات .

ان اللغة هي الحقيقة المباشرة للتعبير عن الفكرة . ولا يجوز اطلاقا أن نخلط بين الحديث والتفكير ، لان هذا الاخير : هو عملية انعكاسية. أما الحديث: فهو عملية اعلام واخبار ، كأن ينقل الناس أفكارهم ورغباتهم الى الآخرين ، لاغنائهم بخبراتهم وتجاربهم ، وتوسيع دائرة معارفهم الشخصية .

تتصف اللغة بنظام قواعدي،وبعدد لاحصر له من الكلمات. فاذا حدث خلل بالقواعد ، او باستخدام الكلمات ، أو في اللفظ ، يصبح التفاهم بين الناس صعبا ، فنحن مثلا ، نستمع الحديث الاجنبي ، ولكننا لانستطيع ان نفهمه . وبالتالي يجب على القائد ان يعير انتباها لما يتكلم عنه ، وان يعبر عن افكاره بشكل دقيق . وان الصياغة السيئة للمقترحات تدل عادة على عدم فهم المتكلم لها ، لانه لايمكن التعبير عن الافكار بدقة ووضوح ، مالم يكن هذا المتكلم متفهما لجوهرها .كما ان عدم دقة القائد في التعبير الواضح عن فكرته ، يمكن ان يؤدي الى وقوع اعمال خاطئة في التنفيذ .

نذكر مثلا ان النقيب « ب . ب . بيتوخوف » قائد السرية ، أمر قادة فصائله ان يستعدوا لتنفيذ الرمايات المحددة لفصائلهم . وعندما حضرت احدى الفصائل الى حقل الرمي ، تبين ان عناصرها غير مستعدين للبدء في تنفيذ التمرين ، لان قائد الفصيلة فهم من الامر ، ان التمرين سينفذ لرماة البنادق

فقط ، وليس لسائر اسلحــة الفصيلــة ، الامر الذي يدل علــى عدم الدقة والوضوح في أمر قائد لمرؤوسيه من قادة الفصائل .

ومن جهة اخرى ، فقد دل تحليل الوثائق القتالية لمرحلة الحرب العالمية الثانية ، على اكتشاف بعض الاخطاء في هذه الحرب . وكانت بعض الوثائق المتماثلة تناقض بعضها من حيث صياغة الجمل والتراكيب الواردة فيها ، ولا تحتوي الميزات التي تناسب الموقف القتالي المتشكل . وتبين ايضا ، ان بعض التقارير المرفوعة الى القائد الاقدم ، كانت تحوي معطيات لامعنى ولا لزوم لها، كما كانت تقارير اخرى خالية من تقدير القوات الصديقة ، وقوات العدو . ومن الطبيعي ان يكون هذا النوع من التقارير قد اعاق عمل اركانات المستوى الاعلــى .

يبدو بالتأكيد ان الوثائق القتالية ، حتى في الشروط الراهنة ، لن تخلو ايضا من الاخطاء التي ستؤدي الى آثار سلبية كبيرة . غير ان المتطلبات الخاصة يجب ان تتوفر في أمر القتال ، حيث يجب ان يكون الامر مختصرا ، ويحتوي ــ بنفس الوقت ــ كافة المعطيات الاساسية التي تسمح للمرؤوس أن يفهم المهمة المسندة اليه ، وينظم التعاون والقيادة بصورة صحيحة .

يجب أيضا ان يخلو امر القتال من التكرار ، ويحمل طابع الامر .

وكلما كانت تعليماته مصاغة بدقة ووضوح اكثر ، كلما سهل فهمها بصورة كاملة وواضحة من قبل المرؤوسين. فاختصار مضمون الامر ودقته ووضوحه ــ الى جانب المظهر الخارجي الهادىء الذي يبدو به القائد ــ يدخل الــى نفوس المرؤوسين ، الثقة في التنفيذ الناجح للمهمة .

.ففي سنوات الحرب الوطنية العظمى ، وخلال المعــارك ، كان القــادة السوفييت يظهرون القدوة الحسنة لمرؤوسيهم ، ويستطيعون بالكلمة مساعدة المقاتلين في التغلب على الخوف والاضطراب ، واحتمال الصبر لتحقيق النصر على العدو . وفي عام ١٩٤١ لاحظ الجنرال « ك . ك . روكوسوفسكي » ــ وكان عندئذ قائدا لاحد الفيالق ــ رجلا متقدما في السن،بين المقاتلين المنسحبين،

ولم يكن يحمل أية رتبة تميزه عن الجنود . ولم يلبث الجنرال ان عرف انه كان ضابطا ، وفيما بعد كتب « ك.ك. روكوسوفسكي » عنه مايلي :

« لقد أدهشني منظره وإهماله ، فتكلمت معه باختصار شديد قائلا له : كيف استطعت ــ للحظة واحدة ــ ان تفقد كرامتك وشرفك كقائد ؟ تأثر بالتأنيب عميقا ، وبدأ ينفذ أمري فورا ، حيث جمع كافة الجنود الموجودين في الغابة ، وشكل منهم وحدة مقاتلة ، واستطاع ان يقاتل بشكل مرض » (١) .

ينبغي ان يكون حديث القائد منسقا ومتتابعا (متسلسلا) ومنطقيا . (فاذا كانت الفكرة تقفز من مادة الى أخرى بشكل عشوائي ، ولا توضح المعنى الرئيسي أو تتجاوزه ، فلا يمكن الاستماع لصاحبها . ويجب ان يكون الحديث متسلسلا ، يتم الانتقال فيه من فكرة الى فكرة تالية ترتبط بها ، بينما ترتبط الفكرة الثالثة بالتي قبلها أيضا ، وهكذا بحيث يكون الانتقال طبيعيا من فكرة الى أخرى » (٢) .

وثمة اهمية خاصة لحديث القائد ، تكمن في السرد المتسلسل لهذه او تلك المسألة ، على ان يتم انتقاء العبارات والنبرات المناسبة ، واخيرا يجب على القائد ان يتكلم بحماس عن البطولة ، وبمرح عن الضعف ، وبتهكم عن الجبن والخيانة .

يتطلب النشاط العسكري من القائد ان يسرد جوهر العمل سردا كاملا ، مع مراعاة الدقة في التعبير عن أفكاره ، وان يراعي وتيرة معتدلة في الحديث ويربط بين المحتوى والكلمات ، والا يستخدم الحركات بكثرة .

يضطر القائد لان يتكلم أمام مرؤوسيه، سواء في المحاضرات او الاجتماعات، او في الظروف القتالية ، أو لدى اعطاء أوامر القتال . فماذا يجب أن يراعي القائد عندما يتحدث مع المرؤوسين ؟

---

(١) ــ « ك . ك . روكوسوفسكي » ــ واجب الجندي ــ اصدار عام ١٩٧٢ ــ ص ٢٠

(٢) ــ « ٢ . ف . كوني » ــ فن الخطابة ــ اصدار عام ١٩٧٣ ص ١٧٨ .

ففي المحاضرة ـ مثلا ـ لايكتفي القائد بسرد مضمون المسألة الدراسية، بل يجب عليه ان يظهر ارتباطها ، وأسباب هذا الارتباط مع النقاط الاخرى ، ويثبت بالبرهان خطأ بعض الوضعيات . ويجب ايضا ان يستخدم الوثائق والبراهين المنطقية في اثبات وجهة نظره ، بحيث يستطيع ان يوقظ ـ في حديثه ـ فكر المقاتلين ، ويدفع بهم الى العمل النشيط . وعندما يتحدث القائد في الاجتماعات ، بهدف التعبئة النفسية للمقاتلين ، من اجل التنفيذ الناجح للمهام ، يجب ان يستخدم المشاعر الانفعالية للتأثير عليهم (ملامح الوجه ، وحركة الايدي ، ونغمة الصوت ونبراته ، والتوقفات البسيطة) . ونذكر مثلا ، أن حديث القائد لجنوده قبل المعركة ، يجب ان يبعث روح الحماس والحمية في نفوسهم ، ويعبر عن القناعة في تحقيق النصر على العدو .

يجب ان يكون كلام القائد ـ أثناء اعطائه لامر القتال ـ ذا نبرة خاصة ويتصف بالحزم ، والاختصار ، والدقة ، والتسلسل الصارم .

يمكن للقائد خلال استماعه للمرؤوسين ـ اثناء عملية اتخاذ القرار ـ ان يحدد مدى استيعابهم للمهمة المسندة ، وان يفهم حالتهم النفسية ، ويتخذ الاجراءات اللازمة ، حيث لايتم ذلك عبر مضمون المقترحات المقدمة فحسب ، بل وعلى ضوء النبرات الصوتية ، والطريقة التي تمت فيها صياغة هذه المقترحات .

يضطر القائد الى اعداد بعض الوثائق ، وبالتالي فانه يعبر عن كلامه بنص مكتوب . ويجب أن يراعي في النص المكتوب ، انتقاء الكلمات والتعابير التي تنقل افكاره بشكل واضح . وعليه ان يراجع ماكتبه بغية تحسين مضمونه وشكله واسلوبه عند الضرورة . يجب أيضا أن يكتب النص في الوثائق بشكل أنيق[1] .

قد يتساءل البعض عن المتطلبات اللازمة لتطوير حديث القائد ، وهل تفضل القراءة عموما بصوت عال أم بشكل صامت ؟ يجب هنا الاخذ بعين

---

(١) ـ كان الكاتب الروسي الكبير « تشيخوف » يرفض الرد على الرسائل المكتوبة بخط سيء .

الاعتبار ، ان القراءة بصـوت عال ، تجعل النطق عند الانسان اكثر نشاطا ، وبالتالي تمكن من تذكر الكلمات بشكل افضل ، ولكنها تجعل الفهم اكثر صعوبة، بسبب عدم التمكن من متابعة الفكرة . وبالمقابل فان القراءة الصامتة ، تعمق الفهم ، ولكنها لاتساعد على النطق الصحيح ، او على تذكر الكلمات الجديدة .

يجب على القائد ان يعمل بانتظام في تحضير كلامه ، ولا يسمح مطلقـا باهمال هذه الناحية ، لان الانطباع الاول عن القائد ، يؤخذ من خلال حديثه .

يحقق الكلام وحدة فكرية لدى المقاتلين ، ويؤمن تبادلا في الراي والفهم ، والجهود والتعاون بينهم . وبالتالي فلا بد ان يحقق كلام القائد بعض المتطلبات الاساسية ، وان يكون منطقيا ومعبرا ونموذجيا ، ومختصرا ودقيقا ، وانفعاليا وخاليا من الاخطاء اللغوية والقواعدية .

يجب على القائد الا يكتفي بكونه جيدا في الكلام ، بل يجب ان يعلم ضباطه المرؤوسين ، اللغة السليمة ، والقدرة على التعبير عن افكارهم بشكل مختصر وواضح ودقيق ومعبر .

ويجب على القائد أيضـا ان يراعي ــ في الشروط القتاليـة ــ ضرورة التعبير عن أفكاره واستنتاجاته وقراراته بشكل مختصر ، ويراعي التقيـد بقواعد اللغة ، حتى لايصعب فهمه من قبل مرؤوسيه ، وخاصة لدى اسناده الامر القتالي .

تساعد قراءة الكتب والمراجع العسكرية والادبية والفلسفية والفنية على زيادة رصيد الكلمات لدى القائد . كما ان المراقبة الذاتية للقائد ــ على نفسه أثناء القراءة ــ تمكنه من تحسين قدرته الكلامية .

يهدف تطوير وتحسين كلام القائد الى الصياغـة الدقيقـة والواضحة والمختصرة ، لافكاره التي يريد نقلها لضباطه ، كما ان الكلام غير المتطور للقائد يفقده احترام المرؤوسين . ونذكر مثلا ، ان النقيب « أ » ارتكب أثناء عرضه لقرار المعركة ــ في احدى المجموعـات التدريبية للضبـاط ــ والذي استمر ٢٨ دقيقة ، عدة اخطاء ، كالتوقفات المستمرة ، وعدم الدقة ، والتكرار . وكان لابد من تقدير مايمكن ان يحدث في المعركة نتيجة لهذا القرار المتردد .

ينبغي دائما على القائد ، ان ينطق الكلمات والعبارات بشكل صحيح ، مع مراعاة اللفظ الدقيق . وان ارتكابه للاخطاء النحوية يوحي للمستمعين بضعف ثقافته العامة ، وعدم معرفته لقواعد لغته الام .

يمكن للقائد ان يحسن كلامه بادخاله بعض النبرات الصوتية ، والتفاوت في قوة الصوت . وقد كتب عالم التربية السوفييتي الشهير «أ. س. مكارينكو» عن ذلك مايلي :

((لقد جعلت من نفسي استاذا حقيقيا ، عندما تعلمت ان اقول عبارة ((تعال الى هنا)) باكثر من ١٥ — ٢٠ نبرة صوتية مختلفة . واذا استطعت ان اتحكم بقوة صوتي ب ٢٠ طريقة ، مستخدما تعابير القامة والوجه والصوت . وعندئذ اصبحت لا اخشى الا يفهمني احد))(١) :

تدل المسائل السابقة التي بحثت في هذا الفصل ، على اهمية نمذجة عملية اتخاذ القرار من قبل القائد ، وعلى ضرورة تركيز الانتباه في تطوير القدرة الفكرية ، والكلامية لديه . وان الاخذ بعين الاعتبار للقواعد النفسية لتفكير القائد ، تسمح بنمذجة عملية اتخاذ القرار من قبله . وكذلك فان الاخذ بهذه النقاط ، يساعد على تقوية قدرة القائد الكلامية ، التي يتطلب تطويرها مراعاة القواعد النفسية للنشاط الكلامي والفكري .

---

(١) — « آ . س . مكارينكو » — مجلد — اصدار عام ١٩٥٨ — ص ٢٦٩ .

الفصل السادس

قرار القائد، هو النموذج الفكري للمعركة المقبلة

أولا — اتخاذ القرار، أحد أهم عمليات القيادة في المعركة

ينفذ النشاط الذهني للقائد اثناء قيادة القوات . وتتالف القيادة بدورها من مجموعة عمليات مترابطة فيما بينها ، وتشمل مايلي :

١ — جمع ومعالجة وارسال المعلومات في مرحلة تحضير الاعمال القتالية ، واثناء تنفيذها .

٢ — اتخاذ (تدقيق) القرار للمعركة .

٣ — تخطيط الاعمال القتالية (تدقيق الخطط المعدة مسبقا خلال سير المعركة) .

٤ — تنظيم الاعمال القتالية (تنظيم التعاون والتأمين الشامل للمعركة ، والمحافظة على نظام أعمال القوات في مجرى المعركة ، واستعادته في حال حدوث خلل فيه ، أثناء سير الاعمال القتالية ، او تدقيقه تبعا لتبدلات الموقف) .

تكون هذه العمليات مترابطة ، وتنفذ من قبل نفس أعضاء القيادة ، منذ لحظة تلقي المهمة وحتى تنفيذها ، وليس فقط خلال فترة التحضير للمعركة ، بل وفي مجرى الاعمال القتالية ، وبالضبط حتى تنفيذ المهمة المسندة . وفي

الشروط الحديثة التي تخاض فيها الاعمال القتالية بصورة مستمرة ، وبدون انقطاعات أو توقفات طويلة ، يحدث تراكم لعمليات القيادة ، ويترتب بالتالي تنفيذها بالتوازي . ثم أن كل عملية منها تتطلب باستمرار تنظيما خاصا ، واساليبا أو طرقا خاصة لعمل القائد وضباط الاركان ، ورؤساء صنوف القوات والمصالح ، مما يترك تأثيرا خاصا على مضمون نشاطهم الذهني .

ان قرار القائد يوجه كافة عمليات القيادة ، كما أن كل عملية منها تتطلب أن تنفذ حسب اقتراح القائد أو أركانه او اعضاء قيادته ، عبر مجموعة من الاجراءات أو الاعمال (الوظائف ـ المهام) سواء أثناء تحضير الاعمال القتالية او اثناء خوضها . وغالبا مايحدث ان ينفذ اجراء مستقل ، باعتباره جزءا من عملية القيادة ، أو يحتاج ذلك الى تنظيم خاص وطرق معينة ، يقوم بها القائد أو اعضاء قيادته . لذلك لابد عند تحليل النشاط الذهني للقائد ، وتحديد طرق زيادة فعاليته ، من دراسة مضمون كل عملية قيادية ، بالاضافة الى تدقيق مضمون كل اجراء قيادي كبير في قيادته للقوات على المستوى الراهن (نفس مستوى القائد الذي تدرس اجراءاته القيادية) .

يشتمل جمع ومعالجة وارسال المعلومات على كل نشاط القائد والاركان واعضاء القيادة الآخرين ، أثناء تحضير المعركة (العملية) وتنفيذها ، والذي يرتبط (النشاط) بتلقي معطيات الموقف ، ودراستها وتعميمها وتحليلها ، واعطاء الاوامر والتعليمات للمرؤوسين ، وعرضها على القائد الاقدم ، وعلى قيادته ، وتعميم هذه المعطيات على القوات المتعاونة ، سواء بوسائط الاتصال، أو بالاتصال الشخصي مع العناصر القيادية المسؤولة .

تتالف هذه العملية من قسمين اساسيين هامين هما :

أولا ـ جمع ومعالجة وارسال معطيات الموقف من اجل اتخاذ القرار لخوض الاعمال القتالية .

ثانيا ـ ايصال المهام القتالية للمنفذين .

واذا لم يحصل القائد على معلومات صحيحة عن الموقف المتشكل ، فانه لايستطيع ان يتخذ القرار الامثل للمعركة . وبالمقابل فان اتخاذ القرار الافضل

من قبل القائد لايمكن أن يعتبر عاملا منظما لاعمال الوحدات ، مالم يترافق هذا القرار باسناد المهام القتالية للمرؤوسين . وهكذا يمكن الجزم بان جمع ومعالجة وارسال المعطيات يشكل أهم عمليات القيادة ، لانه يؤمن المعطيات اللازمة لقرار القائد، ولنشاطه الذهني سواء في مرحلة تحضير الاعمال القتالية، أو أثناء تنفيذها ، وحتى انتهاء هذا التنفيذ .

بدات احدى القطعات في احد المشاريع ، بعد تنفيذها للمسير ، بتحضير المعركة . ويمكن فهم قلق قائد هذه القطعة ، اذا علمنا ان أركانه لم تستطع الحصول على معلومات موثوقة عن العدو ، وعن حالة الوحدات الصديقة . واذا حاول رئيس الاركان أن يصحح الوضع ، ويحصل على المعطيات اللازمة لتقدير (العدو) من كافة النواحي . ولكن هذه المعطيات وصلت اليه متأخرة، لان ضباط أركان هذه القطعة لم يهتموا في الحصول المستمر على المعلومات، ولم يطلبوا من مرؤوسيهم رفع التقارير في حينها . وقد ادى ذلك الى اتخاذ قائد القطعة قرارا سيئا لدخول المعركة . وعندما طلب اليها ان تكرر عملها مع تجنب الاخطاء السابقة ، أمكن تحقيق الغرض من المشروع ونفذت المهمة بنجاح .

تدل الخبرة على ان القادة الذين ينفذون أصعب وأعقد المهام في المعركة، هم أولئك الذين يقودون ضباطهم بمهارة ، ويستطيعون تحقيق تناسق عال في عمل قياداتهم ، وخاصة في جمع ومعالجة وارسال المعطيات عن الموقف . ولا تتحقق هذه المسألة الا بالجهود المشتركة ، التي يبذلها القادة وأركاناتهم ، في تحضير المعطيات اللازمة لاتخاذ القرار ، والتي يتم على أساسها التنبؤ الصحيح لتطوير الاعمال القتالية ، والقيادة المرنة والمستمرة للمرؤوسين .

يبقى تنظيم وتحسين نظام المعلومات أحد الوظائف الرئيسية للاركان ، وأهم أقسام عملية قيادة القوات . حيث أن الزيادة أو النقصان في المعلومات يخفضان من فعالية القيادة ، ومن التبرير العلمي لقراراتها ، وذلك بالرغم من أن المحاولات التي يبذلها كل القادة للحصول على أكبر حجم ممكن من المعلومات ، تعتبر أمرا طبيعيا . وغالبا مايتم تجاهل الاختصاص في عمل الضباط ، الهادف الى جمع المعلومات التي تهم القادة ، لاسيما وأن بعض

المسؤولين في القيادة يحصلون احيانا على نفس المعطيات . وغالبا ماتطلب الاركانات المعلومات عن العدو من ضباط صنوف القوات ، بينما تطلب المعلومات عن الموقف الأشعاعي من كافة المسالح تقريبا . تؤدي هذه الطريقة الازدواجية المتوازية لجمع المعلومات ، الى اعاقة العمل المخطط ، لان القادة يحتاجون زمنا طويلا لتنفيذها ، كما انها تؤدي الى زيادة العبء على خطوط واقنية الاتصال . وتكون النتيجة ، ان المعطيات الضرورية لاتخاذ قرار نموذجي ، تصل فعلا خلال زمن محدود جدا ، ولا تتصف بالدقة ، لان الوقت المتوفر استهلك من اجل معطيات اخرى غير هامة .

يعتبر **اتخاذ قرار المعركة** ، عملية هامة وحاسمة بالنسبة لقيادةالقوات. ويعلل ذلك بان القرار المتخذ يعتبر أساسا لقيادة القوات . وبناء على هذا القرار المتخذ ، تقوم الوحدات والقطعات بالاستعداد لخوض الاعمال القتالية المقبلة ، وبتنفيذ كافة التدابير المتعلقة بالقيادة أثناء المعركة . وان فعالية تنفيذ المهمة المسندة ، تعتمد الى حد كبير على صحة القرار المتخذ .

ان عملية اتخاذ القرار لقيادة القوات في المعركة ، على غاية من الاهمية والتعقيد ، اذ تحتاج الى نشاط ذهني كبير يبذله القائد ، بجهد يزيد عما تتطلبه العمليات الاخرى لقيادة القوات ، ويتضمن هذا النشاط اظهار القدرات الابداعية ، والحسمية ، وقوة الارادة والمهارة العسكرية . تكمن الخاصة الرئيسية لقرار الاعمال القتالية ، في أنه ينفذ دائما بالجهود المتضافرة والموحدة لعدد كبير من الوحدات والقطعات المرؤوسة ، بعد الجهد التنظيمي الذي يبذله القادة في اتخاذ هذا القرار .

ولما كان القرار يتخذ لمدة طويلة ، لذلك يجب تدقيقه على ضوء التبدلات في الموقف . وقد لايكون التدقيق مطلوبا اثناء سير الاعمال القتالية فحسب ، بل وحتى أثناء تحضير القوات لتنفيذ المهام المسندة لها ايضا .

نورد فيما يلي بعض الامثلة من خبرات المشاريع المنفذة في الاعوام الاخيرة ، وخاصة عن عملية اتخاذ القرار من قبل القائد .

كانت احدى كتائب المشاة المحمولة بقيادة النقيب « كوبينكو » تهاجم بنجاح في عمق دفاع (العدو) ، وعند وصولها الى منطقة جبلية ، تغير الموقف تغيرا حادا .

وكان قائد دورية الاستطلاع القتالية ، الذي كان يتقدم الكتيبة على مسافة (٥ كم) ، ، قد اعلم قائد الكتيبة ، انه يرى رتلا (معاديا) مؤلفا من (١٢) دبابة و (٣٠) ناقلة جنود مدرعة ، وقد عبر ممرا جبليا ، ويتحرك لملاقاة الكتيبة . وفي نفس الوقت كان (العدو) قد وجه ضربة نووية لاركان الكتيبة ، فأخرجها من المعركة .

وبالتالي فقد انقطع الاتصال مع القائد الاقدم . وعندما اتصل قائد الكتيبة شخصيا مع الجار الايمن ، علم بأن (العدو) قد اوقفه بنيرانه القوية، وهو يخوض حاليا معركة صعبة مع دبابات ومشاة (العدو) . وتعقد الموقف اكثر بسبب هبوب عاصفة ثلجية وهبوط الليل .

وعلى ضوء هذا الموقف المتشكل قرر النقيب « كوبينكو » ان يحتل خطا ملائما ، وان يوجه — من الثبات — نيرانه القوية لتدمير احتياط العدو القائم بالهجوم المعاكس ، كان يمكن لهذا القرار ان يكون صحيحا ، لو حدث مثل هذا الموقف على ارض سهلية ذات جبهة مستمرة . ولكنه — اي القرار — كان سلبيا بالنسبة للموقف المتشكل . ولذلك رفض القائد الاقدم ان يصادق عليه. واراد أن يبين للضابط الحديث ، انه يمكن العمل في مثل هذا الموقف بحسمية وجراة اكبر ، ويحقق النصر على (العدو) خلال مهلة قصيرة وبأقل خسائر ممكنة . ساعد مدير المشروع قائد الكتيبة وطلب اليه ان يقوم مرة ثانية بتحليل الموقف ، واجراء الحساب الصحيح للوقت ليتمكن من اتخاذ قرار جريء ، ويمكن تعليله بالرغم من عامل المخاطرة ويؤمن نجاح الكتيبة .

استطاع قائد الكتيبة بواسطة الاعمال التظاهرية لسرية مشاة معززة بناقلات مدرعة من سريتين اخريين ، ان يضلل (العدو) ويجبره على الفتح المبكر على خط غير ملائم له . وبينما كان (العدو) يقوم بالتحرك لتحضير هجومه على اتجاه الاعمال التظاهرية الكاذبة ، كانت القوى الرئيسية للكتيبة،

وهي سريتان ـ مفرزتان من المشاة المحمولة ، قد استطاعت ان تنفذ مناورة لتفاف سيرا على الاقدام ، وان تقطع مسافة (٦) كم خلال ساعة ونصف ، مستفيدة من العاصفة الثلجية والظلام ، ومتقدمة بواسطة السمت ، حتى وصلت الى مجنبة (العدو) القائم بالهجوم المعاكس وهاجمته فجأة ودمرته.

مثل آخر : في أحد الدروس الذي كانت تنفذه سرية مشاة محمولة ، واثناء هجومها في عمق دفاع (العدو) تعرضت لمقاومـــة نارية عنيفة . قرر قائد السرية النقيب « ف . كالاشينكوف » أن يلتف علـــى نقطة الاستنـــاد (المعادية) من اليسار ويهاجمها من المجنبة ، ليدمر قواها المدافعة ، ثم أعطى المهام القتالية الى مرؤوسيه ، وامر بتنفيذها فورا . اندفعت الفصائل الــى الامام مستفيدة من الشروط الملائمة للارض . وفجأة اعترض طريقها مسيل يبلغ عرضه خمسة امتار ، وكان لابد من عبوره بأقصر زمن ممكن .

وهنا تباينت آراء قادة الفصائل حول هـــذا العبور . اما الملازم الاول « آ . شارلوف » قائد الفصيلة الاولـــى ، فقد أمر الفصيلة بالالتفاف حول المسيل من اليسار ، وتقدم المقاتلون الى الامام ، ولم تمض بضع دقائق حتى وقعوا تحت تأثير نيران قوية (للعدو) ، ومتكبدين خسائر كبيرة مما اضطرهم الى الانسحاب . وقرر قائد الفصيلة الثانية الملازم الاول « ن ـ زاميروف » أن يعبر المسيل ، واستخدم المعاول لتجهيز مكانين للنزول الـــى المسيـــل والخروج منه . ولكن ذلك لم يكن سهلا ، واستغرق زمنا طويلا ، مما أدى الى تأخير كبير في تنفيذ المهمة .

استطاع قائد الفصيلة الثالثة ، الملازم الاول « ن . موسين » ان يعمل بنجاح أكبر من زميليه ، حيث استخدم الاخشاب والمواد الموجودة على مقربة من أحد المباني المهدمة ، واقام جسرا فوق المسيل ، عبر عليـــه المقاتلون ، ووصلوا الى الخط الملائم في الزمن المحدد لهم .

---

(١) ـ مجلة (الرسيل العسكري) العدد (٦) لعام ١٩٧٢ . الصفحات (١٥ ـ ١٦) .

مثال ثالث : عندما كان العقيد « ي . بوليانين » ينفذ درسا منهجيا مع الضباط بموضوع : (فصيلة المشاة المحمولة في حراسة المسير) حيث كانت هذه الفصيلة تنفذ مهمتها بشكل حقيقي . ومثل العدو . وشكل الموقف التالي : اصطدمت عربة الدورية على مشارف احدى القرى بمجموعة استطلاع (معادية) واشتبكت معها في القتال . وفي هذه الاثناء وصل رهط الحراسة الامامي الى ممر جبلي يبعد عن القرية ٥٠٠ م . اراد مدير الدرس ان يعقد الموقف . فأمر بتنفيذ انفجارات تمثل قصف طيران (العدو) ثم أعطى الفرضية الآتية : تخرب الطريق الموجود في الممر الجبلي ، ويتعذر على الناقلات المدرعة ان تتحرك عليه . وفي نفس الوقت كان الضباط قد حصلوا على معطيات عن تحرك رتل من مشاة (العدو) تعززه الدبابات ، ويبلغ عمقه (٥٠٠) م ،باتجاه القرية المذكورة ، ويبعد عنها حوالي عشرة كيلو مترات .

قرر الملازم الاول « س . كريموف » أن يلتف حول الطريق من اليمين ، مستخدما آلياته على طريق ميداني ، ويحتل القرية المذكورة .

أما الملازم الاول « ب . سليفانوف » الذي قدر الموقف المتشكل ، فقد قرر : ان يسرع ويعبر الممر الجبلي مندفعا نحو القرية ليحتلها قبل وصول (العدو) اليها .

صادق العقيد « بوليافين » على قرار الملازم الاول « ب . سليفانوف » لانه كان أفضل قرار بالنسبة للموقف المتشكل . وكان قائد الفصيلة قد راعى اثناء اتخاذه القرار ، سرعة تحرك العدو البالغة ٢٠ ــ ٢٥ كم/سا ، حيث يمكنه الوصول الى القرية خلال (٢٥ــ٣٠) دقيقة ، بينما يستغرق حول المانع على الناقلات المدرعة ، حوالي ساعة واحدة . أما العبور على الاقدام في الممر نفسه، فيجعل الوصول الى عربة الدورية ممكنا خلال (١٠ ــ ١٥) دقيقة .
وكان القرار المتخذ قد اعتمد على تحليل عميق للموقف المتشكل وعلى حسابات دقيقة .

يعتبر **تخطيط الاعمال القتالية** ، أحد الاعمال الهامة التي يمارسها ضباط الاركان ، ورؤساء صنوف القوات والفروع في مستوى واحد من مستويات

القيادة (دون اشراك المسؤولين في المستويات الادنى) ، حيث تحدد تفاصيل وتسلسل وطرائق تنفيذ المهام المسندة للمرؤوسين ، بما يتلاءم وقرار القائد، وبالتالي يدقق نظام وأساليب قيادة القوات . يتحدد في التخطيط بصورة مفصلة نظام وطرق عمل كل وحدة في المعركة المقبلة من ناحية ، وتعد الوثائق القتالية ، التي تؤمن للقائد قيادة القوات في كل عمق الاعمال القتالية من ناحية ثانية . ينفذ التخطيط تحت اشراف القائد ، وعلى اساس قراره للمعركة .

تخطط ــ عادة ــ أعمال القوات حتى عمق المهمة المباشرة فقط ، ويخطط للمهمة التالية في نهاية تنفيذ الاعمال القتالية للمهمة المباشرة . ويجب ان تدقق كافة الخطط التي تم اعدادها من قبل ، لدى تنفيذ المهام المتتالية . وكلما حدث تبدل في الموقف القتالي ، يعيد القائد النظر في قراره المتخذ مرفقا فيه مايلزم .

يعتبر تخطيط الاعمال القتالية كنوع مستقل من اعمال قيادة القوات ، من مستوى لواء (فوج) وما فوق . أما في المستويات التكتيكية الدنيا ، حيث لايعتبر تخطط الاعمال القتالية ذا اهمية كبيرة ، فانه لايفصل عن تنظيم الاعمال القتالية . ولا تتم في مستوى الجماعية والفصيلة والسرية ، وحتى في الكتيبة، سوى أعمال (تنظيم المعركة) ، وبالتالي فلا يدخل تخطيط الاعمال القتالية فيها ضمن عملية قيادة القوات .

اما **تنظيم الاعمال القتالية** ، فيعتبر عملا يمارسه القائد وأركانه مع قادة وهيئات قيادات المستويات الادنى أو القوات المتعاونة ، ويكون هذا العمل موجها للتنفيذ الحقيقي للقرار ، وللعناصر الاساسية في الخطة . ويمكن ان تحتوي الخطة على اربعة أقسام رئيسية هي :

١ ــ تنظيم تعاون القوات أثناء تنفيذ المهام الوسيطة الاكثر تعقيدا .

٢ ــ تنظيم التأمين الشامل .

٣ ــ تنظيم العمل السياسي .

٤ ــ تنظيم القيادة .

ويجب أن يؤمن تنظيم الاعمال القتالية التطابق الصارم مع فكرة القائد الاقدم ، ومع قرارات وخطط كافة قادة المستويات الادنى ، وتنسيق أعمال القوات المرؤوسة والقوات المتعاونة .

ينبغي على القائد والاركان وهيئات القيادة الاخرى ـ لدى تنفيذ قواتهم للمهمة المسندة ـ ان يحافظوا على نظام أعمال القوات ، الذي حدد سابقا ، قبل بداية المعركة أو العملية ، وان يوجهوا أعمال القوات بما يتلاءم مع القرار المتخذ والخطط المعدة لذلك . واذا حدث خلل في هذا النظام ، فيجب على القوات ان تتخذ فورا الاجراءات اللازمة لتصحيح هذا الخلل ، اذا كان ذلك يؤدي الى النجاح في المعركة او العملية . أما اذا حصلت اعمال خاطئة اثناء تنفيذ المرؤوسين لمهامهم ، فيصار الى تدقيقها واجراء مايلزم من التصحيح فيها ، بما يتلاءم مع قرار القائد الاقدم ، والخطط المعدة مسبقا .

تعتبر كافة عمليات القيادة التي اشرنا اليها ، الاطارات التي ينفذ عبرها نشاط القائد الذهني ، الموجه لتحقيق النصر . وان الفهم لجوهر عمليات وطرق القيادة ، يعتبر شرطا هاما من النشاط الذهني الفعال في المعركة .

تبحث طرق قيادة القوات التي تنفذ قرار القائد من الوجهتين التاليتين:

الاولى : بصفتها تمثل مجموعة الطرق الموجهة ، التي تستخدمها هيئات القيادة في التأثير على القوات المرؤوسة .

والثانية : بصفتها تمثل مجموعة القواعد التي يستخدمها المسؤولون وهيئات القيادة ، لدى تنفيذهم التدابير التي تدخل في مضمون عمليات قيادة القوات .

وبالتالي يمكن أن نقسم طرق قيادة القوات اصطلاحيا الى المجموعتين الآتيتين :

الاولى : الطرق المباشرة للتأثير على القوات .

الثانية : طرق تنفيذ عمليات القيادة .

يدخل في المجموعة الاولى مايلي : طرق التأثير المعنوي (كشرح الاهداف السياسية السامية ، والقدوة الشخصية) . وطرق التأثير القانوني (كالاوامر، والارغام ، والمكافأة والعقوبة) . وطرق التأثير التنظيمية (كتحديد تسلسل تنفيذ المهمة ، ومهل تنفيذها) وغير ذلك .

أما المجموعة الثانية ، وهي التي ترتبط ارتباطا دقيقا بالنشاط الذهني للقائد ، فيدخل فيها مايلي :

ـ طرق جمع المعلومات وتعميمها ، وتحليلها (التقارير العاجلة وغير العاجلة ، والجمع الدوري للمعطيات ومقارنتها وتصنيفها ، وتقسيمها حسب نوعيتها وأزمنة استلامها) .

ـ طرق تفهم المهمة وتقدير الموقف وانضاج القرار (كالطرق الديالكتيكية، والنفسية والمنطقية ، والاحصائية ، والتمذجة الخ) .

ـ طرق التخطيط (المتوازية والتسلسلية الخ) .

ـ طرق ايصال المهام (أوامر شفهية أو كتابية ، أو تعليمات قتال ، أو ايعازات أو اشارات الخ) .

ـ طرق تنظيم التعاون والتأمين (على الارض ، على الخريطة ، قبل او بعد اتخاذ القرار من قبل المرؤوسين) .

ـ طرق تنظيم وتنفيذ النشاط العملي للمسؤولين في هيئات القيادة .

تعالج طرق قيادة القوات ، في الشروط الحقيقية للموقف ، أثناء عملية النشاط الذهني للقائد ، وتتحدد هذه الطرق حسب مستوى التدريب والخبرة القتالية والعسكرية للكادر القيادي ، وحالة القاعدة الفنية للقيادة . ولا تعتبر هذه الطرق ثابتة أو محددة ، بل تكون عرضة للتبدل كلما تغير طابع قيادة القوات ومتطلباتها .

وعموما ، يمكن لكل من اجراءات القيادة في الموقف القتالي الحقيقي ، ان يتضمن محتوى خاصا ، يعكس الظروف الراهنة ، التي يتم فيها تحضير

وتنفيذ المعركة . ولذلك يمكن ان يكون مضمون هذا او ذاك الاجراء القيادي مختلفا حسب نوع الاعمال التي تخوضها القوات ، كأن تنفذ الهجوم أو تتمسك بالدفاع ، وتعمل في شروط استخدام العدو للسلاح النووي ، أو لوسائط التدمير العادية . وهل تخوض اعمالها القتالية في بداية الحرب او في مرحلة متأخرة منها ؟ .

تحتل عمليات قيادة القوات الآنفة الذكر مكانة هامة في فترة تحضير الاعمال القتالية ، وأثنائها ايضا . ويحدث غالبا ان تتكرر تدابير كل عملية من عمليات القيادة عدة مرات ، وبأحجام ومضامين مختلفة الى حد ما ، وذلك منذ استلام المهمة وحتى انتهاء تنفيذها .

وهكذا فان جميع عمليات قيادة القوات ، تلعب دورا هاما في سيكولوجية قرار القائد ، نظرا للارتباط والتأثير المتبادلين فيما بينها .

* * *

ثانيا ـ النموذج الفكري للمعركة ، كنتيجة للنشاط الذهني للقائد

يعتبر قرار القائد ، الاساس في قيادة القوات . لذلك فالقرار الصحيح والنموذجي ، هو أحد الشروط الهامة للنجاح في المعركة الحديثة . ويفهم من هذا القرار انه يؤمن تنفيذ المهمة القتالية المسندة **في اقصر وقت ، وبالقوى والوسائط المتوفرة ، ومع اقل حجم ممكن من الخسائر والاستهلاك المادي .**

وعموما فان القرار يتضمن مايلي :

١ ـ تحديد التجميع الرئيسي للعدو الواجب تدميره في المعركة المقبلة ، وتحديد طرق وتسلسل تدميره .

٢ ـ انتقاء الاتجاه الذي تركز عليه الجهود الاساسية ، من اجل تدمير العدو بالقوى والوسائط المتوفرة .

٣ ـ تحديد التجميع الافضل للقوى والوسائط الصديقة ، وتحديد طبيعة المناورة الواجب تنفيذها في مجرى المعركة .

٤ ـ تحديد المهام القتالية للقوات المرؤوسة ونظام التعاون فيما بينها .

٥ ـ اعداد المسائل والتدابير الاساسية اللازمة لتأمين الاعمال القتالية المقبلة من كافة النواحي ، وكذلك اعداد مسائل تنظيم القيادة .

وبعبارة اخرى ، يجب ان يتضمن قرار القائد « كافة المعطيات اللازمة للقادة المرؤوسين من اجل الفهم الدقيق للاهداف ، ومهام القوات ، والقوى والوسائط ، وتأمينها وطرق ونظام اعمالها » (١) .

---

(١) ـ « س.م. شتيمينكو » ـ الاركان العامة في سنوات الحرب ـ اصدار عام ١٩٧٢ ص٤٥٨ .

يسبق اتخاذ القرار تفهم المهمة القتالية المسندة من قبل القائد الاقدم، وتقدير الموقف ، حيث يعتبر هذان العملان عنصرين أساسيين للنشاط الذهني للقائد .

ففي **تفهم المهمة** ، يجب على القائد ان يفهم دور ومكان وحدته ، أثناء تنفيذ المهمة العامة من قبل القطعة (التشكيل) ، ويعرف بدقة المطلوب من وحدته ، وما هي النتائج الواجب تحقيقها ومتى ؟ وعمليا فان اتخاذ القرار يبدأ من لحظة تفهم المهمة ، والبحث عن أفضل الاساليب والطرق التي تؤمن تنفيذها . ويستمر تفهم المهمة اثناء اعداد القرار ، حيث تدقق كافة الاعمال المخططة في هذه المهمة ، والتي يجب ان تحققها الوحدة اثناء تنفيذ المهمة .

ينفذ **تقدير الموقف** ، بغية تحديد تأثير الشروط الراهنة التي تنظم وتخاض فيها المعركة .

وكشف واستخدام العوامل التي تساعد على تنفيذها ، وكذلك كشف وتحييد (اضعاف) العوامل التي تجعل تحقيق هدف المعركة صعبا .

وأما عن الصعوبات في تقدير الموقف في شروط المعركة الحديثة ، فقد كتب مارشال الاتحاد السوفييتي « آ . آ . غريتشكو » مايلي : « يجب ان نأخذ بعين الاعتبار ، أن استخدام وسائط التدمير القوية والبعيدة المدى في الحرب الحديثة ، وجاهزيتها الفنية العالية ، وسرعة تأثيرها ، يسمح للاطراف المتحاربة ، ليس بتدمير الاهداف والاغراض المنفردة خلال زمن قصير فحسب، بل وباصابة كافة عناصر بنية الترتيب القتالي للوحدة والقطعة ، ومقرات السيطرة ، وعقد الاتصال ، وأن تخرج من المعركة قواعد المؤخرة ، وتخرب قطاعات كبيرة من طرق المواصلات ، محدثة مناطق ملوثة واسعة ، وحرائق كبيرة ، وانهيارات وفيضانات ، الامر الذي يؤدي الى تغيير سريع ومفاجىء في الموقف »(١) .

---

(١) ـ « آ . آ . غريتشكو » ـ (القوات المسلحة للدولة السوفييتية) ـ طبعة ثانية اصدار عام ١٩٧٥ ـ ص ٢٦٣ .

يشمل تقدير الموقف مايلي : تقدير العدو ، والصديق ، والارض ، والشروط المناخية والجوية ، وغيرها مما يؤثر على تنفيذ المهمة القتالية .

يبحث مضمون تفهم المهمة وتقدير الموقف ، بشكل مستقل ، في التدريب الاولي لقادة المستقبل في المدارس العسكرية وأثناء تحسين معلوماتهم في الاكاديميات ، وخلال التأهيل القيادي في القوات ، وفي المراجع التدريبية .

ولدى شرح نظام تقدير الموقف ، يجري تقدير العدو ، والصديق ، والارض ... الخ .

ويكون هذا صحيحا من وجهة النظر التعليمية ، ومع ذلك فان الشروط الواقعية للاعمال القتالية تتطلب أن تنفذ هذه العمليات المجزأة بوقت واحد ، حيث تتجلى الخاصة الرئيسية للنشاط الذهني للقائد في المعركة . فما ان ينتهي القائد من تفهم المهمة ، حتى يبدأ بتقدير العدو ، محددا نقاط ضعفه وقوته ، والارض التي سيعمل عليها ، والنوايا والطرق المتوقعة لاعماله . ويقوم أثناء ذلك بالمقارنة بين امكانيات العدو والصديق ، ويحدد اتجاه تركيز الجهود الرئيسية ، وأغراض العدو التي تجب تدميرها ، والقوى والوسائط اللازمة لذلك .

وفي تقديره للارض ، فان القائد يتنبأ عن اتجاه الضربات المحتملة للعدو، ويحدد مبدئيا حالات التراتيب القتالية للقوات الصديقة .
يحدث كل ذلك في آن واحد ، حيث تكون كافة عناصر الموقف القتالي مرتبطة مع بعضها ، وتبحث كلها لمجموعة واحدة ، ومن حيث تأثيرها على تنفيذ المهمة القتالية ، كما يحدد نظام وطبيعة أعمال كافة القوى والوسائط الصديقة ، مع مراعاة الاعمال المحتملة للعدو ، وتقدر النتائج المتوقعة لهذه الاعمال ، ومهل تحقيقها والخسائر المحتملة . ثم تعاد هذه العملية الذهنية لحالة أخرى من حالات البنية القتالية وأعمال القوات الصديقة ، على أن يراعى ثانية انعكاس كل ذلك تنفيذ المهمة القتالية المسندة ، وعلى النتائج المحتملة للاعمال القتالية . وتستخدم أثناء ذلك كافة العمليات الذهنية التي أتينا على ذكرها سابقا ، كالادراك والتصور والذاكرة والتفكير وغيرها .

يجب أن تراعى – بالنسبة لكل حالة من حالات الترتيب القتالي والاعمال القتالية – التبدلات المحتملة للشروط الواقعية للموقف القتالي اثناء خوض المعركة ، ومدى تاثير هذه التبدلات على مجراها ونتيجتها ، وهـذا مايفسر الفرض من خلق النموذج الديناميكي الفكري للمعركة المقبلة ، والذي يعتبر قمة النشاط الذهني للقائد .

وان هذا النموذج الذي يضع الحلول المهمة القتالية ، والموقف القتالي المتشكل ، يؤمن بدوره تحقيق افضل استخدام ممكن للقوى والوسـائط ، وتدميرا كاملا للعدو ، وهو يمثل القرار النموذجي الذي يجـب أن يسـعـى لتحقيقه في عملية النشاط الذهني .

وهكذا ، فان القرار يعتبر نموذجا فريدا من نوعه للاعمال القتالية المقبلة؛ الامر الذي يجب الا يغيب عن ذهن القائد .

ولانشاء هذا النموذج بشكل صحيح لابد من معرفة المبادىء المنهجيـة للنظرية المادية الدياليكتيكية ، وسنبحث في هذا المجال بعض مبادئها المتعلقة بتقدير الموقف واتخاذ القرار .

١ – مبدا الموضوعية :

يتلخص جوهر هذا المبدا بما يلي : يعتبر القرار صحيحا اذا كان يعكس الموقف المتشكل ، بشكل موضوعي ودقيق .

يساعد القرار الموضوعي والدقيق في التنظيم الجيد للاستطلاع ، وفي ضبط الحجم اللازم من المعلومات مع المرؤوسين ، وبين القطعات والوحدات، وفي الرصد الشخصي للقائد في حقل المعركة ، وفي اختيار صحة المعطيـات عن الموقف ومطابقتها ، وكذلك في استخدام الطرق الكمية للاحاطة بالموقف وتقديره . وكلما كانت المعلومات مؤكدة ، كلما اصبحت عناصر الموقف القتالي، والارتباط فيما بينها اكثر سهولة ، وذات شكل رياضي صارم ، وبالتالي فان المعطيات الموضوعية تشكل ضرورة للقائد في اتخاذه للقرار الانسب في الشروط الراهنة ، وبالاضافة الى ذلك ، فان مبدا الموضوعية يتطلب استخداما واسع النطاق لكافة الاساليب المنطقية للمعرفة .

يستند قرار القائد الى كشف القوانين الموضوعية للمعركة نفسها ، ولكنه مع ذلك يبقى فرديا . « وان وجود مبادىء واحدة لقيادة القوات ، وخاضعة بشكل حازم لقوانين العلم والفن العسكريين ؛ لايجعل القادة يتخذون قرارات متماثلة ؛ الامر الذي يفسر يتنوع وعدم تكرار المواقف لكل معركة وعملية ؛ كما ان لكل قائد اسلوبه الخاص وطريقته المتميزة في قيادة القوى والوسائط الموضوعة بأمرته »(١) .

٢ ـ مبدأ التحليل الشامل :

يرتبط هذا المبدا ارتباطا وثيقا بمبدأ الموضوعية .

ولا ينحصر جوهره في تقدير بعض عوامل (جوانب) الموقف فحسب ، بل يتعداها للاخذ بكافة العوامل ، مع استخدام مختلف الطرق النوعية والكمية . ذلك لان التقدير الشامل للموقف يساعد القائد على اختيار افضل حالة للقرار .

« وعلينا ان ناخذ بعين الاعتبار بأن كثرة المعلومات عن الموقف يمكن ان « تضيق الخناق » على القائد أو رئيس الاركان ، اللذين تنقصهما الخبرة . لذلك فان اتقان تحليل الموقف بصورة سريعة ، وفرز المعلومات الرئيسية المهمة ، يعتبران من المزايا الاساسية لعمل كافة مستويات القيادة والاركانات »(٢) .

٣ ـ مبدا التطور :

يعني هذا المبدأ ، ان تقدير موقف معين ، يتطلب من القائد ان يأخذ بالاعتبار ، اتجاهات تطور هذا الموقف ، على اساس التوقع العلمي .

ويستند التوقع العلمي بدوره ، على معرفة القائد لقوانين الاعمال

---

(١) ـ « س.م شتيمينكو » ـ(الاركان العامة في سنوات الحرب)ـ اصدار عام١٩٧٢ص٥٨) .

(٢) ـ « آ . آ . غريتشكو » (القوات المسلحة للدولة السوفييتية) ـ طبعة ثانية ـ اصدار عام ١٩٧٥ . ص ٢٦٥ .

القتالية . وعلى مرونة تفكيره . وقدرته على تدقيق او تغيير خطة الاعمال القتالية في الوقت المناسب . وهنا لابد من تبيان دور المعرفة الحسية والمعرفة المنطقية ، في عملية صنع القرار . وان مانلاحظه في هذا المجال ـ دون الدخول في التفاصيل ـ يتمثل في اهمية المعرفة الحسية . وبالرغم من عدم تمكنهـا من تحقيق نتيجة رئيسية او تحديد الارتباط السببي لعناصر الموقف القتالي، وجعله يبدو كعملية ذات قوانين معينة . علما ان هذا العمل لايمكن ان يتم الا على اساس التفكير المنطقي .

تكون الطرق والاساليب المنطقية التي يستخدمها القائد ـ في عملية تقدير الموقف واتخاذ القرار ـ متنوعة جدا ، ونذكر منها العمليات الذهنية ، كالتحليل والتركيب ، والتجريد والتعميم ، بالاضافة الى اشكال التفكير كالاستنتـاج الاستقرائي والاستدلالي .

ولكن هذه العمليات والاشكال لاتحقق الهدف المنشود الا اذا استخدمها القائد معتمدا على معرفة نظرية الفن العسكري ، وجوهر قوانين الصراع المسلح .

ولا بد للقائد ان يدعم ذلك بخبرته وذكائه وحدسه ، واستخدامه للطرق الرياضية والوسائط التقنية .

٤ ـ مبدأ العلاقات الجدلية المتبادلة :

يعني هذا المبدأ : ان القرار الصحيح لايمكن ان يتم الوصول اليه الا من موقع الارتباط المتبادل الجدلي ، والتعليل السببي لعمليات وظواهر الصراع المسلح ، ولاشكال وطرق قيادة القوات وعلى اساس الاقتراب المنتظم لتقدير نتائج النشاط الذهني للقائد في عملية اعداده القرار . وان المسألة المطروحة ، تظهر عادة القائد ككل ، ولا تقف امامه كتفاصيل ، بقدر ماتحتاج هي لامكانياته في الاحاطة بها بشكل عام ، وايجاد الحلول المناسبة لها .

وهكذا فان التفكير الابداعي للقائد في عمليـة اتخاذ القرار عـن الاعمال القتالية ، يحمل طابعا منتظما ونموذجيا ، ويحتاج بالتالي الى تطوير في هـذا الاتجاه ، عبر عملية التدريب والتثقيف الذاتي . ولا يجوز لنا ـ في هذه الحالة ـ

الا ان ناخذ بعين الاعتبار أن امكانيات اتخاذ القرار تختلف من شخص لآخر ، حيث يمثل هذا العمل صعوبة كبيرة للبعض ، بينما يستطيع بعض آخر ان يناقش ويحدد الايجابيات والسلبيات دون جهد يذكر .

وثمة فئة ثالثة من الناس ، تحاول الهروب من اتخاذ القرار ، او تطويل الوقت اللازم لاتخاذه . ومع ذلك ، فان سبق العدو في الاعمال القتالية يتطلب من القائد ، ان يفكر بدقة وبسرعة ، ويتخذ القرار بدون تأخير ، (وخاصة على المستوى التكتيكي) ، لان الابطاء في عملية اتخاذ القرار ، تجعله عديم الفائدة في قيادة القوات ، كما ان القرار المتاخر يفقد قيمته في ظروف الموقف السريعة التبدل .

وهكذا فان القرار النموذجي للحالة الراهنة لايظل صالحا اذا تطلب اعداده وقتا طويلا ، وبالتالي فان القرار الذي يتخذ في الوقت المناسب يكون افضل ــ بالرغم من عيوبه ــ من القرار النموذجي الخالي من العيوب ، والذي احتاج اتخاذه لزمن طويل .

ان الاستقلالية القائد (ضابط الاركان) في التفكير أهمية كبيرة في عملية اتخاذ القرار . وثمة أشخاص يحاولون دائما ان يحصلوا على استشارات وتعليمات ، ويطلبون المزيد من الاستفسارات الاضافية ، او يحاولون القاء مسؤولية اتخاذ القرار على عاتق غيرهم . وتعتبر الاستقلالية في التفكير واتخاذ القرار ، أهم صفة يجب ان يتمتع بها كادر القيادة والاركان . وهي تسمح بايجاد القرار المناسب ، حتى في تلك الحالات التي يعمل فيها الضابط معتمدا على نفسه ، ومع عدم توفر امكانية تلقي أية معلومات اضافية ، أو أوامر عما يجب عليه ان يفعله .

أما الجانب الآخر لاستقلالية القائد (ضابط الاركان) في التفكير ، فيتمثل بعدم اعتماده على النمطية ، واستخدام النماذج المعروفة سابقا . ذلك ان المعرفة والخبرة تشكلان أساس التفكير ، ويجب ان تظلا قاعدة صلبة له ، مع الابتعاد عن محاولة استخدام مايحفظ في الذاكرة من قوالب جامدة .

وفيما يلي سوف نستعرض بعض الامثلة المأخوذة من خبرة المشاريع التي نفذتها مجموعة القوات المركزية ، والتي كتب عنها العميد « ا. توكييف » مايلي:

كانت كتيبة الرائد « فاروبييف » الموجودة في تماس مباشر مع العدو ، قد انهت استعداداتها للمعركة ، حيث خطط لها ان تبدأ الهجوم في صباح اليوم التالي .

استطاع قائد الكتيبة ــ بواسطة استطلاعه المنظم جيدا ــ ان يكشف تجمع (العدو) وتخطيط حده الامامي ، واماكن نقاط استناده ، واماكن توضع وسائطه النارية ، وحواجز الالغام . وتمكن ايضا ان يحدد ــ في قراءته للصور الجوية ــ مرابض المدفعية ، ومقرات السيطرة ، بالاضافة الى آماكن توضع الاحتياطات (المعادية) . وبالتالي فقد استطاع ان يحدد اتجاه هجماتها المعاكسة المحتملة .

ومع حلول الظلام امر الرائد « فاروبييف » بوضع مخافر رصد اضافية وتعزيز الحراسة ، دافعا دوريتين الى المجنبات ، ثم زاد عدد الوسائط النارية المناوبة ، وحدد نظام استخدام اجهزة الرؤيا الليلية .

وفي منتصف الليل ، فتحت مدفعية (العدو) نيرانها فجاة . وكانت الضربة النارية موجهة للنسق الاول . الذي يجهز نفسه للهجوم. وفجاة ظهرت الدبابات المهاجمة تتبعها المشاة المحمولة .

سمح الرائد « فاروبييف » لقوات العدو بالتقدم الى مسافة قريبة ، ثم امر بفتح النار عليها ، فتباطات حركة هذه القوات ، ثم بدات تنسحب تحت تغطية نارية الى مواضع انطلاقها .

دفع قائد الكتيبة دورية استطلاع قتالية بغرض تحديد وضع « العدو ». وسرعان ما ابلغت هذه الدورية عن فتح العدو لنيران كثيفة عليها من بنادقه ورشاشاته ، وعن سماعها لاصوات محركات دبابات وناقلات مدرعة في عمق دفاع العدو .

حلل قائد الكتيبة هذه المعلومات واستنتج منها التالي : نظرا لفشل

« العدو » في هجومه ، فانه يتمسك الآن بمواضعه السابقة ، مضى الجزء المتبقي من الليل بهدوء . وفي الصباح الباكر انطلقت الدبابات في الهجوم وتبعتها المشاة ، باشارة من الرائد قائد الكتيبة . وتبين للمهاجمين ان الخندق الاول للعدو لم يكن محتلا ؛ وبالتالي فقد نفذت رمايات المدفعية الصديقة على مكان خال .

كان خطأ الرائد « فاروبييف » ناجما عن عدم تحليله العميق لما بين يديه من معلومات عن العدو » . لقد قدر الموقف واتخذ قرار الهجوم ، دون أن يعير اهمية للهجوم الليلي ، الذي نفذه العدو ، او يفكر بالسبب الذي جعل هذا العدو لايستمر في هجومه ، وينسحب لدى اصطدامه بمقاومة نارية عادية . وصل بهذه السرعة الى الخندق الاول دون مقاومة نارية تذكر . لو قام هذا الضابط بتحليل هذه المعطيات تحليلا دقيقا ، لاستنتج ان العدو يبيت أمرا ما .

أما المقدم « سكاتشكوف » فقد عمل بطريقة أخرى ، عندما كان يتقدم على مجنبة المدافعين . فقد حلل معطيات الاستطلاع واستطاع ان يكشف فكرة « العدو » ويحدد الزمن التقريبي لهجومه ، حيث قرر عندئذ ان يسبق العدو في هجومه ، ويفرض عليه حالة خوض المعركة .

كان هذا الضابط قد طلب الى قائده الاقدم ، في الليلة التي سبقت الهجوم المتوقع للعدو ، ان يسمح له بسحب الكتيبة الى عمق القطيع الدفاعي ، مع ترك بعض الهياكل المموهة على الحد الامامي ، وبغية اخفاء سحب القوى الرئيسية للكتيبة الى العمق ، فقد لجأ قائد الكتيبة الى تمثيل الهجوم الليلي .

وقد كان كل ذلك ممكنا ، لان هذا الضابط اعتمد في نشاطه الذهني على التوقع ، مع الاستفادة من المعرفة العميقة لطبيعة المعركة المشتركة الحديثة ، وعلى التحليل الشامل لكافة عناصر الموقف ، والعوامل الاخرى التي تؤثر عليه .

ثم أوجد المقدم « سكاتشكوف » في ذهنه نموذجا فكريا عن ديناميكية المعركة المقبلة ، وكان هذا النموذج قريبا من الواقع واكثر مرونة وحيوية .

من النموذج الروتيني غير المرن ، الـذي اوجده الرائد « فاروبييف » وادى الى الفشل .

وهكذا فان قرار القائد ، يعتبر النتيجة الحقيقية لنشاطه الذهني الفعال، الذي يستخدم فيه كافة العمليات النفسية ، التي تتطلب بدورها معطيات اولية تشمل مايلي : المهمة القتالية التي يجب تنفيذها في المعركة الراهنة . والموقف الذي يسبق المعركة ، بما فيه قوام وامكانيات القوات الصديقة وقوات العدو، ومعرفة القائد الاسس ومبادىء تنظيم وتنفيذ المعركة المشتركـة الحديثة ، وخبرة القائد وبداهته .

واستنادا لهذه المعطيات الاولية ، يجب علـى القائد ان يحقق النموذج الفكري للمعركة المقبلة ، اي انه يتصور كيف ستكون المعركة المقبلة ، وما هي القوى والسائط الصديقة والمعادية ، ومتى ، واين ، وبأي ترتيب قتالي ستبدا المواجهة مع العدو ؟ وكيفية تطور الاعمال ، وكيف ستتبدل الامكانيات القتالية، ونسبة القوى والوسائط اثناء ديناميكية المعركة ، وما هي الطـرق المناسبـة لخلق التفوق على العدو ، والمحافظة عليه ، وكيف يتم سبق العدو في الاعمال القتالية ، وأين ينبغي تركيز الجهود الرئيسية ، وكيفية تغذيتها اثناء المعركة ، وكيفية توزيع واستخدام القوى والوسائط الصديقة توزيعا صحيحا في الزمان والمكان ، وكيفية تنظيم التعاون والمحافظة عليه ، والتمســك بالخطوط المحتلة الخ . ولكي يستطيع القائد ان يخلق هذا النموذج ، يجب ان يكون لديه حجم معين من المهارات والامكانيات العلمية ، وان يتقن استخدام الطرق والوسائط التي تزيد من فعالية نشاطه الذهني .

وهنا يلعب التوقع دورا هاما في عملية اتخاذ القرار . كما ان التفكـير الموجه ، والقدرة الابداعية ، ومهارات خلق نموذج المعركة المقبلة ، تسمح للقائد بالاقتراب الكافي من واقع هذه المعركة .

الفصل السابع

تنبؤ القائد في المعركة

اولا ـ التنبؤ في قرار القائد .

ثانيا ـ تطوير القدرة على التنبؤ .

ثالثا ـ التنبؤ ، مهارة ام ذكاء ؟

أولا ـ التنبؤ في قرار القائد

المعركة : عملية معقدة ثنائية الاطراف،يحاول كل طرف فيها تدمير الطرف المعادي الآخر ، او تكبيده خسائر فادحة ، ليجبره على العدول عن تنفيذ المهمة المسندة . ففي ديناميكية الاعمال القتالية للطرفين،يتكون أمامهما موقف معقد، سريع التبدل ، يكتنفه الغموض . ولهذا السبب يجب على القائد الا يكتفي فقط في اتخاذ القرار المعلل ، المناسب ، لهذا الموقف أو ذاك ، ودراسة عناصره وتحليلها تحليلا دقيقا ، بل وتوقع تطوير سير الاعمال القتالية اللاحقة . وتوقع القائد معناه : قدرته على التنبؤ عن الاعمال التي تساعده في كشف فكرة العدو المقبلة ، ووضع خطة مضادة لتنفيذ المعركة ، واجبار العدو على العمل فيظروف غير ملائمة له .

« فالقادة العسكريون البارزون يتميزون دائما بنظرتهم الفاحصة للمستقبل ، فيكشفون ستارة الزمن ، حتى يتمكنوا ـ قدر الامكان ـ ان يتنبأوا

بالحوادث المقبلة ، وبالمخاطر والمفاجات العسكرية التي تنتظر جيوشهم في الحروب ، والمواقع والمعارك المقبلة . ذلك ان الحياة نفسها — لاحب الفضول— تتطلب هذه الضرورة العسكرية ، وكل قرار عن العملية والموقعة والمعركة يجب ان يعتمد على التوقع . وبالتالي فكلما استطاع القائد العسكري ان يتنبأ بصورة دقيقة ، عن تطور احداث الموقعة والمعركة المقبلتين ، كلما كان قراره المتخذ افضل ، وكلما حقق نصرا باقل خسائر من القوات »(١) .

يستند تنبؤ القائد في المعركة على التحليل العميق لكافة معطيات الموقف، التي تدرس عبر ترابطها الوثيق مع بعضها ، وعلى المعرفة العميقة لتنظيم وامكانيات القوات الصديقة وقوات العدو ، وعلى فهم نظرية المعركة المشتركة. وقد أكد مارشال الاتحاد السوفييتي « ا.خ. بغراميان » هذه الفكرة بقوله التالي : « لقد قلت ولا أزال أؤكد ، أن فكر القائد لايشحذ في ذهنه فحسب ، بل يبرز كسلاح فعال في العملية والمعركة . وقد كان هذا الاعتقاد سائدا في الماضي ، ولا زال كذلك في الوقت الحاضر ، لذلك فان قرار القائد اليوم وغدا يجب ان يتخذ على أساس التنبؤ العلمي ، مع استخدام الآلات الحاسبة وغيرها من العتاد التقني الحديث »(٢) .

وهكذا فان فكر القائد الذي يتحسس الاحداث ويتوقع مجرياتها،ويشكل نموذجا للاعمال القتالية المقبلة ، هو الاداة الهامة للتنبؤ . اما الفكر ، فهو نتاج التفكير الذي يتمثل — بدوره — بعملية موضوعية تحدث في وسط مادي هو عقل الانسان .

ولا تتحدد نتائج التفكير بالخواص الطبيعية لهذا العقل البشري فحسب، بل بتدريبه وتجاربه وقدرته على تحليل معطيات الموقف الموضوعي، وبممارسته في استثمار هذه المعطيات فيما بعد ، حيث نحصل بالتالي على ثمرة التوقع .

لقد كتب جنرال الجيش « س.م.شتمينكو » في مذكراته عن التنبؤ

---

(١) — « ت . ت . غريتشكو » — نفس المصدر السابق .
(٢) — مجلة الاسبوع . عام ١٩٧٤ من ٦ — ١٢ أيار . العدد ١٩ . ص ٢ .

قائلا : « يستطيع القادة العسكريون الذين يملكون موهبة التوقع ، ان يعملوا بسرعة في اعداد القرار واتخاذه . وغالبا مايحصل ان يلاقي هذا او ذاك القائد صعوبات كبيرة في اتخاذ القرار ، حيث يجد نفسه امام حالات متعددة لهـذا القرار نأ يستقر رايه على واحدة منها . بينما نجد قائدا آخر ، يحدد في هذا الموقف حالة واحدة ، ويهمل الحالات الاخرى . ان ذلك يعود ـ بالطبع ـ الى تمتع هذا الاخير بنظر أبعد من الاول »(١) .

تدل خبرة الحروب الماضية ، ان توقع القائد يعتمد على قدراته ومواهبه ومهارته ، وتدريبه العملي . ويجب ان نختبر كل خبرة يكتسبها القائد في أعمال التوقع ، حسب الشروط المماثلة التي جرت فيها . حيث يمكن بالتالي تحسين نوعية التوقع في المرة القادمة . وان تراكم خبرات النشاط الذهني للقائد في المعركة ، واثناء تنفيذ المشاريع ، يخلق مهارة لديه في توقع تطور سير الاعمال القتالية ، ويساعده في اتخاذ القرار الافضل في الشروط الراهنة ، وفي تنفيذ هذا القرار بثقة .

وهكذا فان التوقع لايمنح للانسان جاهزا من الطبيعة ، بل يجب على الانسان ان يكتسبه ويحسنه دائما بالمعرفة ودراسة المسائل النظرية والعملية للمعركة المشتركة .

يتطلب كشف فكرة العدو ، معرفة تنظيمه ، وتسليحه وعتاده ، ومعدلاته التكتيكية ـ العملياتية ، ووجهات نظره في خوض الاعمال القتالية ، وامكانياته في استخدام مختلف وسائط التدمير ، وكذلك معرفة نقاط ضعفه وقوته .

لايمكن توقع نتائج اعمال الوحدات الصديقة ، الا بمعرفة استكمالها ودرجة تامينها ، وحالتها القتالية ـ المعنوية ، والميزات الفنية ـ التكتيكية لتسليحها وعتادها القتالي الخ .

« كان التوقع دائما مسالة غير سهلة ، وهو صعب بشكل خاص في الظروف الحديثة التي تتطور فيها العمليات بسرعة ، وتجري على مساحات كبيرة جدا ،

---

(١) ـ « س . م . شتيمكنو » ـ نفس المصدر السابق . ص ٤٩٢ .

مع أستخدام أحدث أنواع الاسلحة والعتاد القتالي . يزداد التوقع صعوبة عندما تكون المعلومات عن العدو غامضة ، وخاصة عن خطط عملياته ، وعن الحوادث العرضية (التي تحدث صدفة ومرارا في الحرب) وعن أعماله المفاجئة »(١) .

تساعد المعرفة الدقيقة للارض ، في توقع تأثيرها على تنفيذ المهمة القتالية ، وما يمكن ان يحدث من تبدلات أثناء سير المعركة ، وخاصة بعد توجيه الضربات النووية ، وعلى تقدير الطبيعة المحتملة لاعمال العدو ، بغية تحديد اشكال المناورة المفضلة ، التي يجب ان تنفذها الوحدات الصديقة .

ان المهارة في سرعة تقدير الموقف الاشعاعي والكيميائي وتوقع تبدلاته ، تتيح الامكانية المسبقة للصديق ان يتخذ الاجراءات اللازمة الموجهة لاضعاف الآثار السلبية لاستخدام أسلحة التدمير الشامل .

وهكذا ترتسم أمام القائد ، صورة المعركة المقبلة ، وهو لايزال في مرحلة تفهم المهمة وتقدير الموقف ، ثم يعتمد هذه أو تلك الحالة من القرار ، استنادا الى توقعاته على نتائج المعركة . بيد أن مارشال الاتحاد السوفييتي «آ.آ.غريتشكو» عندما يحلل هذه المسائل ، فانه يعير اهتمامه الاساسي للتنبؤ العسكري ــ العلمي ، مشيرا الى مايلي :

« تحمل مسائل التنبؤ العسكري العلمي في ذاتها طابع البحث العلمي القائم على استخدام الاساليب المتقدمة، من أجل اتخاذ القرار وتخطيط العملية والمعركة . فاعداد القرار من قبل قائد الجيش او القائد الادنى عن العملية او المعركة وتخطيطهما ، يبقى مسألة مركزية ، تعالجها قيادة القوات المسلحة، وقيادة المستوى الادنى . وان جميع هذه التدابير تبقى مرتبطة بالتوقع ، وتبنى عليه ، وتنبع منه في آن معا . وفي الشروط المعاصرة يجب ان يكون التعليل العلمي للقرارات ولخطط العمليات والمعارك ، مبنيا على التحليل العميق والشامل لكافة معطيات الموقف ، وعلى دقة الحسابات التكتيكية ــ العملياتية

(١) ــ « آ . آ . غريتشكو » ــ نفس المصدر السابق . ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦ .

والاستراتيجية ، ومعرفة قوانين وأسس الحرب . وبالتالي فان التنبؤ العلمي، واتخاذ القرار ، والتخطيط القتالي ، تعتبر جميعها كوحدة متكاملة متصلة وكشرط ضروري للقيادة الناجحة في مختلف المستويات))(١) .

يقدم التوقع العلمي مساعدة كبيرة للقادة والاركان في حل هذه المهام، وفي كشف الاتجاهات الاساسية لتحسين طرق اتخاذ القرارات ، وتخطيط العملية والمعركة، وتطوير طرق اجراءات الحسابات التكتيكية ـ العملياتية ، وتقدير الامكانيات القتالية للاطراف المتحاربة ، وتحليل ديناميكية الاعمال القتالية ، وتحديد مدى تأثير العامل النفسي والمعنوي على تحقيق النجاح في العملية والمعركة . وهكذا فان تقدير الموقف التكتيكي ـ العملياتي ، والحسابات التكتيكية ـ العملياتية اللازمة لاتخاذ القرار للعملية او المعركة ، هو عملية تنبؤ قائمة بذاتها »(١) .

ان التوقع الصحيح للاعمال المحتملة للعدو ، والذي يعتمد على كشف فكرة اعماله ، يؤمن اتخاذ التدابير المضادة ، وتنفيذ الاعمال الناجحة للقوات الصديقة ، بغية سحق هذا العدو .

يجب على القائد اذ يتوقع تطور الاعمال القتالية ، ان يوصل ماتوقعه الى القادة المرؤوسين ، وان يصوره لهم كنموذج فكري للمعركة ، ويقدم لهم هذا النموذج قبل تنظيم التعاون حيث يطابقه مع واقع الارض ، ويدققه لدى حدوث تبدل في الموقف القتالي .

تنفذ الاعمال القتالية في الشروط الحديثة ، على جبهة اوسع وعمق اكبر مما كان يحصل في الحروب السابقة ، وبالتالي فقد لاتتاح للقائد امكانية الرصد الشخصي للتراتيب القتالية لوحداته ووحدات العدو على كامل الجبهة .

ثم ان التوقع الصحيح واتخاذ القرار ، يتطلبان ضرورة وجود تصور اوضح ودقيق للوضع في ميدان المعركة ، وليس امام الوحدات الصديقة فحسب ، بل امام الجوار أيضا . لذلك فان للمعلومات التي يرسلها المرؤوسون

---

(١) ـ « آ . آ . غريتشكو » ـ نفس المصدر السابق . ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(١) ـ « آ . آ . غريتشكو » ـ نفس المصدر السابق . ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

ـ للقائد الاقدم ـ اهمية كبيرة . ويجب ان تكون هذه المعلومات صحيحة وحينية ، لان التقارير والاعلامات التي تصل متأخرة الى القائد ، تفقد قيمتها ، كما أن المعلومات غير الموثوقة ، قد تسبب اتخاذ قرار خاطيء .

يجب تدقيق القرار في مجرى المعركة ، على ضوء التبدلات التي ستطرأ على الموقف المتشكل ، في المستقبل القريب ، مما يتطلب من القائد تنفيذ المناورة بالقوى والوسائط . وان تنفيذ هذه المناورة يتطلب أيضا توقعا سليما، يجريه القائد لتطور الحوادث ، واتخاذا سريعا للقرارات ، وتوجيها جيدا على الارض ، وتدريبا عاليا للوحدات ، مع المحافظة على الاتصال الثابت والمستمر فيما بينها . يعتمد نجاح المناورة على التنظيم الدقيق والآني للاستطلاع ، وعلى تأمين التعاون المتبادل بين القوات وقيادتها في المعركة ، وعلى الاستخدام الماهر لشروط الارض .

يعتبر التوقع جزءا لاينفصل ، ونتيجة للنشاط الذهني للقائد في المعركة، وهو يعتمد على التأهيل المهني للقائد ، ويرتبط بنشاط القائد الاعلى والمرؤوسين معا .

يساعد التوقع على كشف فكرة أعمال العدو ، وبالتالي فانه يحدد الاعمال المثالية للوحدات الصديقة . ثم ان كشف فكرة العدو يمكننا من توقع تطور سير الاعمال القتالية المقبلة . ويجب على القائد في كل الحالات ان يظهر اقصى مالديه من ابداع ، وان يتحاشى العمل الروتيني ، وعموما فقد يحصل اثناء تنفيذ المشاريع التكتيكية ، ان يقوم بعض القادة بتقدير الموقف ، واجراء الاستنتاجات عن الاعمال المحتملة للعدو ، معتمدين في ذلك على بداهتهم التي لاعلاقة لها بالتوقع .

* * *

ثانيا ــ تطوير القدرة على التنبؤ

ان الحسابات الحقيقية ، والدراسة العميقة للموقف ــ القائمة جميعها على معرفة القوانين الموضوعية للصراع المسلح ــ تفيد القائد في ان يتوقع تطور الاعمال القتالية . فكلما استطاع القائد ان يتوقع الحالات المحتملة لاعمال العدو ، والتي يمكن ان تحدث في مجرى المعركة ، كلما كان مؤهلا للتلاؤم الفوري مع التبدلات الحادة التي تطرأ على الموقف ، وبالتالي يستطيع ان يقود القوات بنجاح أثناء ديناميكية المعركة . وتتأكد هذه المعاني بالاعمال الناجحة التي قام بها المقدم « جورافلوف » عندما صد الهجوم المعاكس لاحتياطات « العدو » . فعندما دمرت كتيبته القوى الحية والوسائط النارية الموجودة على الحد الامامي « للعدو » ، طورت هجومها بنجاح في عمق الدفاع ، وعندها دفع « العدو » باحتياطاته وانتقل الى الهجوم المعاكس . وبالرغم من تحقيق المفاجاة ، فانه لم يستطع ان يحقق اي نجاح . لان المقدم « جورافلوف » قائد الكتيبة ، كان خلال تنظيم الهجوم قد توقع قيام « العدو » بهجوم معاكس في هذه المنطقة ، ووجه وحداته لصد هذا الهجوم المعاكس المحتمل . وكان ايضا ــ خلال الهجوم ــ قد دفع وسائط (م/د) التي في الكتيبة الى المجنبة المهددة، واسند المهام اللازمة للمدفعية الداعمة . وعندما بدأ « العدو » هجومه المعاكس ، لم يحتج الامر الا الى ان يدقق قائد الكتيبة المهام لوحداته المرؤوسة.

لم يحقق « العدو » اي نجاح في هجومه المعاكس ، فانسحب الى احد المرتفعات المسيطرة ، واحتل الدفاع هناك ، وكانت طبيعة الارض تسمح له بتنفيذ مناورة مستورة لاختياطاته .

ولكي يستطيع قائد الكتيبة احتلال هذا المرتفع ، قرر ان يزج سرية النسق الثاني في المعركة ، من اجل تحقيق هذا الهدف . وعندما اصبحت

فصائلها مستعدة للترجل ومهاجمة « العدو » المدافع ، تلقى قائد الكتيبة معلومات جديدة عن « العدو » ، أرسلتها له دورية الاستطلاع القتالية ،يتلخص مضمونها بوجود فرجة جنوب المرتفع لم يشغلها « العدو ». وكان الاستطلاع ـ أيضا ـ قد نفذ من خلال هذه الفرجة الى العمق ، وكشف تحرك حتى سرية مشاة « معادية » قادمة باتجاه المرتفع .

تشكلت القناعة لدى قائد الكتيبة ، من أن « العدو » المدافع اخذ يقدم احتياطاته من العمق بهدف التمسك بالخط المحتل . وكانت فكرة هذا الضابط متمثلة بمهاجمة المرتفع من الجبهة ، ولكنه ما ان قدر جيدا حتى أقلع عن تنفيذها ، وأمر بدفع سرية النسق الثاني الى مؤخرة نقطة الاستناد ، لملاقاة احتياطات « العدو » المتقدمة من العمق بغية سحقها مستفيدا من التغطية النارية الكثيفة لوحدات الكتيبة المهاجمة .

وبالرغم من تعديل المهمة ، فقد نفذت المناورة تنفيذا دقيقا وسريا ، وظهر جنود سرية النسق الثاني فجأة « للعدو » خلف نقطة استناده ، وهوجمت احتياطاته من الحركة ، فاضطرت الى الانسحاب . لقد أثر القتال في مؤخرة « العدو » على اضعاف مقاومته من الجبهة ، وعندئذ اغتنمت الوحدات المهاجمة الفرصة الملائمة واندفعت الى الامام بحزم وثبات ، واحتلت خطا ملائما لها .

يرجع سبب نجاح المعركة في هذه المرحلة ، الى اعتماد المقدم«جورافلوف» على المبادىء الجدلية للمعركة المشتركة وقوانين تطورها ، وكان بنفس الوقت قد امتنع عن العمل وفق قراره المتخذ سابقا . مبررا ذلك بتكيفه الصحيح مع الموقف المتشكل ، القائم على اساس توقعه السليم لطبيعة أعمال العدو المحتملة .

تأكدت كل هذه الامور في الكثير من الامثلة الواقعية ، التي حصلت خلال سنوات الحرب الوطنية العظمى .

مثال آخر : كانت سرية الملازم الاول « روغوتشوف » قد تلقت مهمة احتلال « المقبرة » الواقعة على أطراف قرية « التدام » . حاولت احتلالها في

المرة الاولى فلم تفلح ، بسبب نيران الرشاشات والبنادق الكثيفة التي اطلقها الهتلريون على السرية من خلف الحجارة الكبيرة ، التي اختبأوا وراءها . ولم تنجح السرية في محاولة الهجوم المتكررة ، وعندئذ تبين لقائد السرية سبب فشل الهجوم : كان الهتلريون خلال فترة التمهيد الناري ، يختبئون في ملاجئهم ، ثم يخرجون منها عندما يتم نقل نيران المدفعية الى العمق ، ويفتحون النيران الكثيفة من وراء الحجارة الكبيرة ، ومن الطلاقات المفتوحة عبر جدار السور الذي يحيط بنقطة استنادهم . وازداد الوضع سوءا ، لاسيما وان موقع انطلاق السرية . لايبعد سوى ٥٠٠ م عن حدود مقبرة القرية المذكورة ، وبالتالي فلم يكن الهجوم مفاجئا بالنسبة للعدو .

عندما اكتشف الملازم الاول « روغوتشوف » طبيعة عمل العدو ، قرر ان يغير طريقة الهجوم .

فتحت المدافع والهاونات نيرانها من جديد باتجاه المقبرة ، فاختبأ الهتلريون في الملاجىء ، وعندها استغل قائد السرية هذه الفرصة السانحة ، ودفع فصائله الى الامام . وحينما توقفت نيران المدفعية ، كانت السرية قد عبرت المسافة التي تفصلها عن الهتلريين ، واقتحمت المقبرة . لقد كان الهجوم مفاجئا للهتلريين ، بحيث لم يتوفر لهم الوقت لاحتلال مساند الرمي . فقتل كثيرون منهم واستسلم الباقون للاسر(١) .

تزداد قدرة القائد على التوقع ، ومهارته في خلف طراز (نموذج) فكري يماثل المعركة المقبلة من خلال تطوير وتحسين معارفه النظرية المكتسبة في الدروس النظرية ، وبصورة خاصة في المشاريع التكتيكية .

ففي الوقت الراهن يتزايد الاهتمام في كثير من المناطق العسكرية ، الى تعليم القادة والضباط والاركانات طرائق تقدير الموقف ، والتوقع العلمي ، والسرعة والدقة ، والاختصار في العمل ، والاستخدام المتقن لمختلف أنواع الوسائط الفنية للقيادة ، وتأهيلهم ايضا على كيفية شرح أفكارهم باختصار

---

(١) ـ مجلة الزميل العسكري السوفييتية ـ العدد الثامن ـ عام ١٩٧٣ ـ ص١٥ـ١٨ـ١٩ .

ووضوح اثناء اعطاء الاوامر والتعليمات . وتطبق هذه القاعدة خلال الدروس المنفذة مع القادة على مختلف مستوياتهم ، حيث تسجل نصوص مختلف الوثائق والاوامر بآلات التسجيل . ثم يستمع قادة الكتائب والسرايا والفصائل في قاعات التدريب المنهجي الى تسجيلات أوامر وتعليمات القتال ، والمذكرات عن الموقف لمختلف انواع المعركة . ويمكنهم ايضا ان يتمرنوا ــ في هذه القاعات ــ على اجراء مختلف الحسابات ، واعداد الوثائق واسناد المهام للمرؤوسين ، واعطاء الاوامر والتعليمات والايعازات .

لايكون نشاط لقائد ــ كمنظم للمعركة ــ ناجحا ، الا اذا اقترن بالعمل المقائدي الرفيع ، وبالمعارف المهنية العميقة . فالقائد الذي يعرف جيدا تنظيم وتسليح وتكتيك اعمال القوات الصديقة وقوات العدو ، ومعدلاتها التكتيكية ــ العملياتية ، هو الذي يستطيع ان يفهم طبيعة المعركة الحديثة ، وينظم هذه المعركة تنظيما صحيحا ، ويقود وحدته بكل ثقة وحزم .

تشكل الانظمة والمراجع العسكرية ــ التي تحدد طرق تنظيم وتنفيذ الاعمال القتالية ــ القاعدة الاساسية للتدريب النظري ــ العسكري للقائد . ويجد القائد فيها كل المعلومات الضرورية عن تنظيم المعركة وتنفيذها . لذا فان المعرفة العميقة لهذه الوثائق ، تعتبر شرطا ضروريا لمهارة القائد .

وتجدر الاشارة هنا الى ان معرفة القائد للانظمة والمراجع العسكرية ليست كافية ، مالم يتقن هذا القائد استخدامها العملي بشكل مبدع ، وانطلاقا من الموقف الحقيقي المتشكل .

يكتسب القائد هذه المهارة ايضا ، اثناء قيادته العملية للوحدة ، ومع عدم الاقلال من أهمية دور التمارين الجماعية المنفذة على الارض ، والتمارين الخاصة المتعلقة بقيادة الوحدات (القطعات) ، مع استخدام وسائط الاتصال الفنية العضوية ، فلا بد من الاشارة الى أن مهارة القائد تكتسب ــ بالدرجة الاولى ــ في الدروس والمشاريع التكتيكية ، على ان اشتراك القائد فيها ، يتيح له امكانيات كبيرة لزيادة مهارته القتالية ، وتطوير توقعه القيادي . وتكسبه المشاريع التكتيكية ، خبرة عملية ومهارة عالية في تنظيم وتنفيذ المعركة، وتخلق

لديه القدرة على سرعة التكيف والتلاؤم مع التبدلات التي تطرأ علـى الموقف، وعلى تنفيذ الاستطلاع باستمرار ، وعلى صقــل أساليب قيادته للــوحدات في المعركة .

يقدر بعض القادة ــ ومن الناحية النظرية فقط ــ أهمية التقدم التقني العاصف في العمل العسكري ، ولكنهم يستخدمون في التدريب العملي لضباطهم المرؤوسين ، وجهات نظر قديمة ، وبالتالي فانهم يرتكبــون اخطاء تبسيط واضعاف المعلومات والمواقف التي يتم تدريبها .

كانت احدى الوحدات ــ مثلا ــ تعالج ــ في أحد المشاريــع موضوعــا تكتيكيا عن « هجوم سرية المشاة ليلا من التماس المباشر مع العدو » . كان الموقف سهلا وبدائيا في هذا المشروع . ولم تكن توجد سوى نقطــة استناد واحدة في كل عمق هجوم السرية . ولم يوضع القادة في الظروف التي تضطرهم لاتخاذ قرار في زمن قصير ، او لتفكير المبدع ، أو لتوقع تطور سـير الاعمال القتالية المقبلة ، أو لاظهار المبادهة . وذلك بالرغم من وجود كافة الإمكانيات لدى مدير المشروع لخلق نموذج صحيح للمعركة في المشروع . ولم يكن الامر يحتاج الا الى استخدام مختلف وسائط التمثيل ، والمتفجرات والسطــول الدخانية ، وشهب الاشارة ، والشهب الضوئية ، والخلائط المحرقة ،والطلقات الخلبية ، والالغام التدريبية ، والتسجيلات لاصوات المعركة تساعد هــذه المسائل ايجابيا في تنمية الصفات القتالية ــ المعنوية لدى المقاتلين ، وتفيــد الضباط في صقل مهاراتهم القيادية في المواقف المعقدة .

ففي المعركة الحديثة ، يزداد باستمرار حجم المهام المنفذة ، بينما ينقص الزمن المخصص لمعالجتها . لذلك تلقى على عاتق قادة الوحدات ، مهمة البحث عن اشكال جديدة لتنظيم وتنفيــذ الاعمال القتاليــة . وقد تقيد الضــابط « غ . لوتشنيف » بهذا المبدأ ، في تعليم مرؤوسيه . فكان يسعى باستمرار الى تشكيل موقف معقد ، يمثل فيه الاعمال الفعالة والمعقدة للعدو في الدروس والمشاريع ، وبالتالي فقد كان يضطر مرؤوسيه لتطوير نشاطهم الذهني ، ومتابعــة تطــور الحوادث باستمرار ، وتقدير المعطيــات التــي يحصلــون

عليها ، وتعليل الاستنتاجات ، واتخاذ افضل القرارات . وكان يطلب الى القادة المرؤوسين ان يظهروا ابداعهم ومهارتهم في اختيار انسب الطرق لتدمير العدو ، وان يعملوا على تنفيذ الاعمال الجريئة ، والمستقلة في المواقف المعقدة للمعركة الحديثة . وكان يخصص للمتدربين اقل مايمكن مـن الوقت لاتخاذ القرارات .

يرتبط تطور مهارات الضباط ـ كمنظمين للمعركة ـ بمدى قدرة القادة والاركانات المشرفين على تنظيم التدريب في تشكيل المواقف المعقدة ، القريبة مامـن الموقف القتـالي ، وجعل العدو في هـذه المواقف قويا عـددا وعتادا وتسليحا .

يمكن تقديم بعض الامثلة عن القادة الطليعيين الذين ينظمون المشاريـع التكتيكية ، حيث يسعون لاعطاء ضباطهم تصورا كاملا عـن الاعمال المحتملة للعدو . ويسترعي الانتباه في هـذا المجال ماتم في المشروع التكتيكي لسريـة الملازم الاول « يو . ديريبي » .

كانت السرية تعمل كرهط حراسة أمامي . وفي احدى مراحل المشروع، تلقى قائد السرية مهمة ، الاندفاع الحاسم الى الامام وسبق العدو في احتلال مرتفع ما . قدر قائد السرية الموقف واتخذ القرار ، ثم أعطى تعليمات مختصرة لمرؤوسيه ، اندفعت السرية بحزم الى الامام ، وكانت على وشك ان تنفذ المهمة، عندما مثلت رمايات طيران (العدو) على رتلها ، مما اضطرها لازالة آثار هذا الهجوم الجوي (المعادي) ، ثم قامت بعبور اقسومات مخربة من الطريق ، وبالتالي فقد أضاعت وقتا اكثر من اللازم ، مما أتاح للعدو سبقها في احتلال المرتفـع .

لم ينجح هجوم السرية الذي نفذ من الحركة على العدو . وعندئذ أمر قائد السرية فصيلة الدبابات الملحقة على السرية ان تثبت (العدو) المدافع من الجبهة . وخلال ذلك استفاد قائد السرية من الشروط الملائمة للارض ، وتقدم بالسرية بشكل مستور الى مجنبة نقطة الاستناد التي يدافع (العدو) عنها ، وهاجمها من الحركة بالتعاون مع فصيلة الدبابات ، ونجح في احتلال المرتفع.

وبرغم الخسائر الكبيرة التي وقعت في جانب (العدو) فلم يتخل عن النقطة. وسرعان ماقامت طائراته القاذفة ـ المقاتلة بقصفها قصفا جويا شديدا . ثم تقدمت قواتنا الرئيسية وانتشرت مستأنفة الهجوم من الحركة . وهنا ظهرت مهارة قائد السرية على أشدها في تنظيم وتنفيد المعركة في الظروف المعقدة . وبالرغم من عدم توفر الوقت اللازم له (بضع دقائق فقط) وعن الخسائر التي الحقها به قصف طيران (العدو) ، فقد اعتمد هذا القائد على توقعه لسير الاعمال القتالية المقبلة (للعدو) وقدر امكانيات سريته ، واستطاع تنظيم جهاز النيران ، واسناد المهمة لسرية المدفعية الملحقة عليه ، وصد هجوم القوى المتفوقة (للعدو) والتمسك بالمرتفع حتى وصول القوى الرئيسية الصديقة اليه .

لقد اكتسب اللازم الاول (ديريبي) وضباطه في هذا المشروع ، خبرة عملية جيدة في التنبؤ المستمر لتطور الاعمال القتالية في شروط التبدلات الحادة للموقف ، وكذلك في قيادة الوحدات في المعركة . لم تكن ثمة توقفات في المشروع ، واستمر المنفذون في العمل تحت تأثير (العدو) ، كما وتطلب الموقف المتشكل ، القيام بأعمال حاسمة وحيوية من قبلهم .

وهنا تجدر الاشارة الى ان تشكيل موقف معقد ، وقريب من شروط الموقف القتالي الحقيقي ، ليس كل شيء ، بل ان الاهم من ذلك يتمثل بتعليم القائد ، كيف يعمل في هذا الموقف ، وكيف يتخذ القرارات النموذجية المعللة وينفذها بنشاط .

ومع الاسف فان معظم الضباط لايعملون بهذا الشكل . وتذكر مثلا ماحدث في أحد المشاريع ، عندما اندفعت سرية الملازم الاول « ا. كوتشكوف » بعد تدميرها للقوى الحية والوسائط النارية في نقطة استناد (العدو) الواقعة على حده الامامي ، في عمق دفاع هذا (العدو) .

وسرعان ماتعرضت هذه السرية لهجوم معاكس على مجنبتها . وكان يترتب على قائد السرية في هذا الوقت الحرج ، ان يقدر الموقف من الحركة ، ويتخذ قرارا جديدا ، ويوصله الى المرؤوسين ، ولكنه اضطرب وارتعش ، ولم يستخدم مبادهته . كان اللوم يقع على مدير المشروع ، الذي لم يساعد

قائد السرية في الموقف المتشكل باعطائه فرضية أخرى تخرجه من المأزق الذي وقع فيه .

لقد اشار مارشال الاتحاد السوفييتي « آ . آ . غريتشكو » في احد مؤلفانه الى ذلك بقوله :

« من المهم جدا ان يتم تشكيل مواقف تعليمية جديدة للقوات التي تنفذ المشاريع .

ويجب السعي أيضا لان يكون كل درس ميدانيا ، وكل طلقة بحرية او جوية ، وكافة المشاريع التكتيكية ، ومشاريع القيادة والاركان ، منفذة في شروط معقدة وقريبة جدا من الواقع القتالي . ففي مثل هذه الشروط فقط يمكن أن يتطور ـ لدى مختلف القادة ـ التفكير الابداعي والتكتيكي ـ العملياتي، والمبادهة ، والسعي لاستخدام اكثر الطرق فعالية أثناء تنفيذ المهام القتالية . وان الموقف الديناميكي المعقد ، يساعد على تنمية الروح الهجومية العالية ، والصفات القتالية ـ المعنوية لدى المقاتلين ، والى تقوية الصلابة النفسية لديهم ... »(١) .

يعتبر التوقع (التنبؤ) ـ كنتيجة للنشاط الذهني المعقد والمتعدد الجوانب للقائد ـ ضرورة للتأمين الجيد للمعلومات . لذلك ينبغي ان يركز الانتباه في كل مشروع على مسائل تنظيم وجمع وتعميم وتحليل معطيات الموقف ، لان نوعية التوقع تعتمد على مدى كمال المعلومات والحصول عليها في الوقت المناسب (دون تأخير) .

ان تدريب القادة على كيفية تشكيل طراز « نموذج » فكري للاعمال القتالية المقبلة ، يحتاج الى استخدام اشكال مرئية للنمذجة ، سواء على الخريطة او بتمثيل منطقة الاعمال القتالية المقبلة على صندوق رمل مثلا . وقد دلت الخبرة ان هذه الطريقة تفيد في تنمية التفكير الحسي لدى القادة ،

---

(١) ـ « آ . آ . غريتشكو » ـ (من أجل حماية السلم وبناء الشيوعية) . طبعة عام ١٩٧١ ص ٧٧ .

وتصقل مهارتهم في القدرة على توقع الاعمال المحتملة للعدو والصديق في هذه او تلك الحالة لطبيعة الارض .

ولكن بعض الضباط يرون ان الوقت لايسمح في هذه الحالة بتنظيم المعركة ، كما لاتتوفر الامكانيات لانشاء نموذج هيكلي للارض . ونحن نخالف هذا الراي ونعتبر خاطئا تماما ، وليس اسهل من انشاء صندوق رمل لاستخدامه في الاستطلاع الشخصي ، او لاعطاء الاوامر القتالية وتنظيم التعاون ، وعندئذ تكون اعمال المرؤوسين مستندة الى تصور حقيقي للارض، ويصبح باستطاعتهم ادراك نظام التعاون والقيادة بصورة افضل ، وخاصة بما يتعلق بقيادة النيران . وقد حدث ذلك مرارا وعلى مختلف المستويات في الحرب العالمية الثانية .

يعمل صندوق الرمل عادة على الارض نفسها وبمقياس $\frac{1}{10000}$ ، حيث تمثل عليه التضاريس والهيئات الارضية والاغراض المحلية ، وخطوط الفصل ، وتوضع الوحدات (القطعات) ومهامها ، ويحتاج ذلك الى المواد التالية : التراب والرمل والاعشاب ، والكرتون والورق وغير ذلك .

تحدد على هذا الصندوق منطقة الاعمال القتالية للواء (الفوج) ، بحيث يكون عرضها مساويا لجبهة هجوم اللواء ، اما عمقها فيشمل المسافة من خط الفتح لارتال السرايا الى خط المهمة المباشرة . تحمل ايضا في هذه المنطقة المهام القتالية للفصائل والسرايا والكتائب ، وكل مايتعلق بتنفيذ المعركة لوحدات الدبابات والوحدات الميكانيكية . وهكذا فان هذا الصندوق يسهل عملية تنظيم المعركة بصورة صحيحة عندما لايمكن اجراء هذا التنظيم بطرق اخرى ، كما يساعد قادة الوحدات (القطعات) على تفهم مهامهم بشكل مرئي ، وعلى تنسيق مسائل تنظيم التعاون بشكل ادق .

ثالثا ـ التنبؤ مهارة أم ذكاء ؟

للاجابة على هذا السؤال يجب أن نفهم أن ((**المعطيات التي حصلنا عليها بنتيجة التنبؤ ، تشكل القاعدة العلمية لكل قرار ، وتعتبر أساسا للقيادة الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية . فالقيادة على الصعيد العملياتي تعني : القيادة مع التوقع العميق الجذور**))(١) .

ويتطلب ذلك معرفة الموقف وكشف الارتباطات المتبادلة القانونية في تطور عناصره .

من الواضح انه لايمكن الاعتماد على جمع معلومات كاملة عن الموقف ، او الاعتماد أيضا على ان النموذج الفكري للمعركة المقبلة ـ والذي تم انشاؤه على أساس توقع تطوره ـ سوف يتطابق بشكل كامل مع الاعمال القتالية الحقيقية . وكان « نابليون » :

((**يعتبر أن التوقع يكون جيدا ، اذا حدث ثلثاه فعلا ، ونفذ الثلث الاخير صدفة . واما من يزعم بانه يستطيع توقع كل شيء في الحرب ، فسيكون من الافضل له الا يحارب مطلقا**))(٢) .

لذلك يجب في التنبؤ عن تطور أحداث المعركة ، عدم نسيان مختلف الحوادث العرضية ، التي يستحيل التنبؤ بها ، والتي يكون من الملائم ان ننتظر حدوثها ، ومن الضروري أن نحضر قواتنا لرد الفعل السريع حيالها ، وأن نعمل على تحييد تأثيرها السلبي . ينبغي أيضا الا ننسى ، أن الصدفة هي اظهار الضرورة ، وأنها تخضع لحساب معين وتقدير احتمالي .

---

(١) ـ « آ . آ . غريتشكو » ـ (القوات المسلحة للدولة السوفييتية) ـ طبعة ثانية . اصدار عام ١٩٧٥ ـ ص ٧٧ .

(٢) ـ « غ . ليير » ـ(مسائل جذرية) ـ(رسوم عسكرية . طباعة ١٨٠٧ . ص١٣٥ـ١٣٦ .

فالعرضية وعدم التوقع مفهومان مختلفان ، ويجب على القائد ان يتوقع الآثار المحتملة للحوادث العرضية في المعركة ، حتى لاتكون هـذه الآثار غير منتظرة بالنسبة له .

يجب أيضا أن نراعي ان العدو سيقوم بأعمال واجراءات فعلة ، تهدف الى عدم كشف أو توقع أعماله المحتملة ، فيحاول دائما ان يضلل الصديق نسبيا عن نواياه الحقيقية . لذلك يجب أن ينفذ التنبؤ على أساس المعطيات الموثوقة والمؤكدة فقط .

ومن جهة أخرى يجب اعارة الانتباه اللازم الى الاجراءات المؤديةالىتضليل العدو،وللتأثير الايجابي على النشاط الذهني لقادته،وعلى سيكولوجيةاتخاذهم لقرارات المعركة .

تقدم الحرب الوطنية العظمى عددا كبيرا من الامثلة على ذلـك . ونذكر منها مثلا ماجاء في كتاب مارشال الاتحاد السوفييتي « آ . آ. غريتشكو » ، المعروف بـ « ملحمة القفقاس » ، عن تدابير التمويه العملياتي في مرحلة تحضير الهجوم لجبهة « القفقاس » في شهر كانون الاول من عام ١٩٤٢ : « لقد أنشىء في مجموعة قوات الشمال ، حد أمامي كاذب للدفاع ، يمر في سلسلة جبـال (تيرسك) ، حيث تعرض لعدة ضربات جوية معادية . وبغية تضليل العدو عن تحشد قواتنا الرئيسية ، فقد حشد (٧٠) هيكلا لدبابات خشبية في منطقة محطة (كربول) .

وكان قد تم شحن هذه الهياكل من محطتي(جروزني)و(سيرنوفودسك) . كما كان العمل ينشط في مطار كاذب ، في منطقة (جروزني) ، حيث وضعت طائرات هيكلية وعربات امداد للوقود ، وبالتالي فقد خدع العدو ، وقام بتوجيه ضربات جوية عنيفة على منطقة المطار وما يحيط بها .

أما في مجموعة قوات البحر الاسود ، فقد قامت كتيبة الهندسة الثامنة في ليلة ١٣ كانون الاول ، باجراء تمثيل لاماكن توضع قواتنا الصديقة ، في منطقة المرتفعات الجنوبية ـ الغربيـة لتلول (الاخوين) . أشعـل النقابون الحرائق والنيران ، وأحدثوا مايشبه ضجيج المحركات والآليات . فلم يلبـث

العدو أن قام بقصف المنطقة لمدة خمسة أيام متواصلة بقنابل الطائرات وبقذائف المدفعية والهاونات »(١) .

وتم أيضا خداع العدو وتضليله في عملية (كييف) الهجومية (تشرين الثاني عام ١٩٤٣) . ولعل أهم مافي هذه العملية ، أنه تمت اعادة تجميع القوات بشكل مستور ، وخاصة بالنسبة للجيش الثالث المدرع ، الذي انتقل من (بدكرين) الى رأس جسر (لوتيج) على اتجاه الضربة الرئيسية للجبهة (الاوكرانية) الاولى . فقد أصدرت قيادة الجبهة امرا كاذبا ، يقضي بالانتقال الى الدفاع ، واتخذت اجراء متعمدا بايصال بعض نسخ هذا الامر الى العدو . وتبين فيما بعد ، ان القوات الهتلرية قد صدقت فعلا ماجاء فيه .

ومن المعلوم أن نجاح عملية (لفوف ـ ساندومير) كان قد تحقق بتمثيل تحشد جيش وفيلق مدرعين ، على الجناح الايسر لاتجاه(ستانيسلاف)الثانوي، في نطاق أعمال جيش الفرسان الاول ، وكذلك بتحشد جيش دبابات آخر في نطاق أعمال الجيش الثامن عشر .

وتم تضليل العدو بنقل حمولات كاذبة من الدبابات على الخط الحديدي، وبتمثيل مناطق نزول تشكيلات مدرعة وتنفيذها للمسير من هذه المناطق الى مناطق التحشد ، كما جرى أيضا تمثيل مناطق تحشد وتجميع القوى فيها ، بحيث توحي بأنها قواعد الانطلاق للهجوم ، وجرى ترويج اخبار كاذبة بين السكان المحليين عن هذا الهجوم الوهمي . شكلت في الجيوش مجموعات عملياتية بهدف تنظيم وقيادة أعمال كافة الوسائط المخصصة لهذه الاغراض ، وادخل فيها ممثلون عن صنوف القوات وفروع التوجيه السياسي . كانت القيادة العامة تمارس قيادتها على قادة الجيوش ورؤساء أركاناتهم . وهكذا خدع العدو الذي لم يجر اي تعديل في تحشدات قواته امام جبهة جيش الفرسان الاول والجيش الثامن عشر ، وعمد الى جلب فرقة دبابات وفرقة مشاة هنغاريتين الى الجبهة .

---

(١) ـ « آ . آ . غريتشكو » ـ (ملحمة القفقاس) ـ طبعة ثانية . اصدار عام ١٩٧٣ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

ان دراسة الخبرات الفنية للحرب الوطنية العظمى ، وتحسين المعارف المهنية والمهارات اثناء تنفيذ المشاريع التكتيكية ، تفيد القائد على التطور المستمر لقدراته الذهنية .

وقد لاحظ « م . ف . فردنزي » انه : « يجب على القائد ان يتقن جيداً استخدام طرق التفكير وفن تحليل الظواهر . حيث تتمثل هذه الطرق بانه لايوجد في الطبيعة اشياء مطلقة وجامدة ، ولكن كل شيء يتغير . وبالتالي فان كافة الطرق والوسائط ستجد مكانا لاستخدامها في موقف معين . وان فن القائد يكمن في ايجاد الطريقة والوسيلة المناسبتين للوصول الى افضل النتائج في موقف وزمن معينين »(١) .

لقد برهنت خبرة الحرب الوطنية العظمى ، أن قيادة القوات الحازمة والثابتة والمستمرة ، لاتقوم الا على أساس التوقع العلمي ، والتحليل العميق والشامل للموقف ، والقدرة على تقدير الامكانيات القتالية للقوات الصديقة وقوات العدو .

وهكذا فالتنبؤ (التوقع) هو نتيجة الاقتران الجدلي لذكاء (موهبة) القائد ومهارته ، مع نشاطه الذهني المبدع .

فما هي اذن موهبة القائد ؟ ان الموهبة (الذكاء) هي : التوافق التام لقدرات الانسان الذي يتميز فيه نشاطه بالاصالة والحداثة والاتقان والاهمية الاجتماعية . فاذا امعنا النظر في خبرات الحرب يمكن القول : ان هذا التعريف ينطبق على اغلب القادة الكبار من السوفييت وغيرهم ، حيث أدخلوا تعديلات هامة على التكتيك ، واستطاعوا أن يستخدموا امكانيات عتادهم الحربي حتى نهاية القتال ، وتميزوا ايضا بالشعور المرهف في التوقع والالهام ، وبالعناد والارادة القوية ، وبالحسمية في تنفيذ المهام المسندة . وعموما فان موهبة القائد هي : قدرته في احراز النصر على العدو بأقل ثمن من الدم . ويخطىء من يقول : بأن العبقرية تولد في الانسان بشكل عفوي .

(١) ـ « م . ف . فردنزي » ـ (المؤلفات المختارة) ـ اصدار عام ١٩٥٠ ـ ص ١٩٠ .

فالعمل العسكري — في وقتنا الراهن — يتطلب دائما عملا مستمرا ، وثقافة متطورة . وان معرفة القائد الضعيفة بعمله العسكري وبالسلاح الحديث ، وعدم توفر امكانيات قتالية لديه ، لايمكن أن تعوض بأية موهبة طبيعية ، أو اية خبرة سابقة لديه . لذلك يجب على كل قائد ان يعمل باستمرار على زيادة وتطوير وتجديد معارفه ، ولهذا لايقولون عبثا : أن العبقرية هي العمل . وهنا يلعب التدريب المهني للقادة دورا كبيرا ، حيث تتلخص مهمة هذا التدريب في جعل القادة على مستوى منجزات العلم والتكنيك العسكريين، مع اتقان الاساليب والطرق الحديثة لفن العمليات والتكتيك . ويجب أن تثار خلال الدروس والمشاريع ، طرق الاقتراب الصحيحة الى الحلول ، عبر الامثلة الواقعية المقنعة ، مع التنويه بمساوىء الاساليب الروتينية ، ومحاسن التجديد والابداع في القرارات .

تتطلب المعركة المشتركة الحديثة — من كافة القادة — قناعة فكرية عميقة ، وقدرات تنظيمية عالية ، وتفكير متطور ، ومعارف عسكرية عميقة.

وقد كتب القائد السوفييتي الشهير « م . ا . كالينين » مايلي :

((أن المعرفة العميقة للعمل العسكري ، تفتح الطريق لتحقيق الابداع العسكري في ميادين الصراع . وأن من يعتقد بقدرته على استخدام الذكاء وحدة الذهن اللذين وهبتهما له الطبيعة ، عوضا عن معرفة ودراسة العمل العسكري ، سيجد نفسه خاسرا تماما في زمن الحرب))(١) .

لذلك يجب على كل قائد ان يطور مواهبه القيادية ، ويحسن معارفه التكتيكية — العملياتية ، ويعرف الانظمة والمراجع العسكرية ، وتنظيم طرق أعمال القوات الصديقة وقوات العدو .

وينبغي عليه أيضا ، أن يوفر الشروط المناسبة للتطوير المستمر لمعلومات ضباطه وقدراتهم الابداعية . ولا يمكن ((**تربية الانسان على الجراة والشجاعة، مالم يوضع في ظروف تضطره الى اظهار الجراة والشجاعة ...))(٢) .**

---

(١) — جريدة (النجم الاحمر) — ٧ حزيران عام ١٩٤٦ .

(٢) — « آ . س . مكارينكو » — مجلد رقم ٥ — اصدار عام ١٩٥٨ — ص ٤٢٤ .

وينطبق هذا القول ايضا على تربية الارادة والحسمية ، وعلى تطوير التفكير الابداعي للضباط وتحسين معارفهم . ولهذا السبب يجب ان تخلق مواقف معقدة في المشاريع التكتيكية ، تضع القادة في ظروف متوترة جدا ، حيث ينبغي عليهم خلالها اتخاذ قرارات حاسمة خلال دقائق محدودة ، والقبول بعامل المجاذفة شريطة ان تكون القرارات معللة ومعتمدة على التوقع العلمي الصحيح لسير الاعمال القتالية .

وهكذا فان التنبؤ (التوقع) يعتبر أهم عناصر قرار القائد من الناحية النفسية ويتحقق تكوين التوقع وتطوره في عملية النشاط الذهني للضابط . وهو يرتبط بشكل وثيق مع الهام القائد وتفكيره الابداعي .

* * *

الفصل الثامن

القائد والإيحاء «الإلهام»

أولا ـ النشاط الايحائي للقائد أثناء اتخاذ القرار

لقد اهتمت البشرية منذ العصور القديمة بطرق اتخاذ القرار الصحيح ، وخاصة في الموقف الجديد ، وفي كيفية حدوث عملية الابداع ، التي يمكن بواسطتها التوصل الى طريقة جديدة ومفيدة ، لاستخدام القوى والوسائط ، بغية تحقيق الهدف المحدد في شروط معينة .

كان قدماء اليونانيين يجسدون في نماذج الآلهة ، قوى الطبيعة الجبارة، وغير المفهومة لهم ، وبالتالي يؤلهون القوى الابداعية في الانسان . ويرون ان آلهة الابداع والشعر والادب ، تمنح النجاح للعلماء والفنانين ، وكانت صلاة هؤلاء الآلهة ، تعتبر السلاح الاساسي للتحكم بالابداع . ومهما يكن من أمر ، فان أرخميدس كان أول من استخدم كلمة الالهام ، عندما صرخ فجأة ـ كما جاء في الاسطورة المشهورة عنه ـ « يفريكا » أي « وجدتها » : وبمعنى آخر « جاء الالهام » دون ان يعرف لمن يعود في هذا الالهام .

ونحن لانزال نعيد نفس الكلمة عندما تأتينا الفكرة المناسبة ، التي تكون غالبا قد انتظرناها طويلا .

وفي محاولة لفهم آلية ادراك الجديد ، الذي كان قبلا مجهولا ، فقد صاغ (سقراط) وتلامذته قواعد البحث والتعليم ، التي يتم بموجبها كشف الحقيقة على ضوء مناقشة المسائل المطروحة . وأطلق على المناقشة فيما بعد كلمة « الايحاء » لتمييزها عن الكلمة اليونانية « ايجاد من وجد » ، حيث ان الايحاء يشير الى « فن ايجاد الحقيقة » . وهو نظام القواعد المنطقية والمنهجية للبحث النظري . أو هو طريقة التدريب التي تسهم في تطوير الفطنة والفعالية .

أصبح مفهوم (الايحاء) يعني فيما بعد : « فن الاختيار وأسلوب اكتشاف الجديد » .

اما في الوقت الحاضر ، فان فن الايحاء يهتم بدراسة الجديد ، الذي كان مجهولا في السابق ، وبحل المهام التي لاتحتاج الى مسائل ومعارف ومهارات مستوعبة بصورة جيدة فحسب ، بل تدخل فيها التكهن والحدس والتخمين ، والتخيل والتأمل . وبعبارة أخرى ، أصبح الايحاء يدرس الطرق والقواعد والاساليب المستخدمة في عملية النشاط الابداعي .

كان الفيلسوف والعالم الفرنسي الشهير ((ديكارت)) ـ واضع الهندسة التحليلية ، ومؤلف العديد من الكتب العلمية التي اهمها : (قواعد السيطرة على العقل ـ والنقاش ، كطريقة من طرق التوجيه الجيد للعقل وكشف الحقائق في العلوم) ـ قد كتب مايلي : ((من الافضل الا نفكر في اكتشاف الحقائق أبدا ، اذا لم نعتمد طريقة معينة في اكتشافها ، ويجب الا يخامرنا الشك بان العمل بغير نظام ، والاخذ بفلسفة الاشياء البسيطة ، يؤديان الى تعكير الضوء الطبيعي واعماء العقل))(١) .

يمكن للطرق الايحائية ، المستخدمة في حل المهام ، ان تتعارض مع اللفاريتميات ، وخاصة بالنسبة لدقة تسلسل الاعمال التي تضمن ايجاد

(١) ـ « أ . م . روزيت » ـ (ماهي الايحائية)ـ(منسك) ـ اصدار عام ١٩٦٩ ـ ص ٢٥ .

القرارات (الحلول) ، اذا اعتمدت على الاسس اللوغاريتمية في كافة المراحل. تستخدم الطرق الايحائية غالبا ، عندما يكون اللوغاريتم مجهولا ، الامر الذي يعتبر احد مزاياها الايجابية . ويمكن ايضا أن تستخدم هذه الطرق حتى مع وجود اللوغاريتميات لدينا ، لان استخدامها قد يؤدي الى حل المسألة المطلوبة بشكل اسرع .

يرتبط تطور الطرق الايحائية على مر العصور — وبصورة اساسية — بكل من علم النفس ، وعلم التربية . ففي السنوات العشر الاخيرة ، بدا أن علم (السيبرنيتيك) يعتمد على الطرق الايحائية ، كما ظهر اتجاه جديد فيه ، عرف بالبرمجة الايحائية . وقد تطور الاهتمام بالايحاء في وقتنا الحاضر ضمن حدود ضيقة . وعموما فان هذه الطرق لم تأخذ مكانها في مجالات العلم لاسباب سنتعرض لها الآن .

لقد اعتبرت الثورة العلمية — التقنية الحديثة ، أن مسألة القيادة النموذجية ، هي نشاط انساني موجه . ووضعت في خدمة الانسان كافة منجزات علم (السيبرنيتيك) والاعتدة الحاسبة الالكترونية المعقدة . فقد كتب الاكاديمي ((ف . م . غلوشكوف)) مايلي : ((**أن حجوم الانتاج الصناعي الحديث ، هي من الضخامة بحيث تعجز كافة النشاطات الانسانية الجماعية عن الاحاطة بها ، وخاصة بتفاصيلها وحالاتها الممكنة ، وانتقاء الافضل منها خلال زمن معقول**))(١) .

ثم يورد الاكاديمي المذكور مثالا يوضح فيه فكرته السابقة فيقول : ((ان فرز حالات تخصيص (٣٠) مؤسسة استهلاكية لمصنعين ينتجان (٢٠و١٠) وحدات انتاجية (اصطلاحية) بالتتالي يحتاج الى (١٠) سنوات ، اذا تم الفرز بسرعة حالة واحدة في الدقيقة الواحدة .

اما اذا اصبح عدد المؤسسات (٥٠) مؤسسة ، وبانتاج المصنعين (٣٠ و ٢٠) عوضا عن (٢٠ و ١٠) وحدات انتاجية اصطلاحية ، فان الزمن اللازم يصبح مائة مليون سنة . أما اذا استخدمنا الآلات الحاسبة الالكترونية،

---

(١) — ((ا . م . روزيت)) — نفس المصدر السابق — ص ٩٦ .

فلا يحتاج ذلك الا لزمن قصير . وقد نحتاج أحيانا الى زمـن أطول حتى بواسطة هذه الآلات » .

فهل نحتاج دائما لفرز كامـل للحالات حتى نجد أفضل قرار أو أقرب قرار الى الصحة ؟ وكيف يتخذ الانسان القرار ؟ وهل يقوم هذا الانسـان بفرز جميع الحالات ؟

لقـد استطاعت الطـرق الايحائية ، الاجابة علـى هـذه التسـاؤلات السيبرنيتيكية . كما امكن ايجاد مثل هذه الاجوبة في لعبة الشطرنج ، حيث يتمثل جوهر هذه اللعبة ، في ان اللاعب يجد أمامه أوضاعا متغيرة باستمرار. اما عدد الوضعيات وحالات اللعب ، فيمكن الحكم عليها مـن عدد القطـع الشطرنجية التي تتحرك على (٦٤ مربعا) ، حيث تصـل الحالات الممكنـة لتحريك هـذه القطـع الـى $(١٠)^{١٢٠}$: أي عشرة مرفوعـة الـى القوة مائة وعشرين . ولذلك فان الشطرنج يعتبر من أفضل النماذج الرائعة للنشـاط الايحائي للانسان ، وللنشاط الابداعي للقائد في عملية تقدير الموقف واتخاذ القـرار .

لقد انجزت تجارب كثيرة (كالتسجيل السينمائي لحركة عيون الانسان في اللحظة التي يحلل فيها أوضاع رقعة الشطرنج) ، حيث سمحت هـذه التجارب في الحكم على المظاهر الخارجية للعمليات الذهنية للاعب الشطرنج . وتبين بنتيجة ذلك ، أن لاعب الشطرنج لايفكر بكافة الحالات الممكنة ، التـي يمكنه العمل فيها ، بل يأخذ بضعا منها فقط لتساعده على الحركة التالية .

وفي هذه الحالة لايعتبر تصنيف الحالات شكلا واحدا للعملية الذهنيـة في لعبة الشطرنج . وبالاضافة الى ذلك ، فان نشوء هذه او تلك المجموعة من الحالات ، يعود الى نشاط سابق يتعلق بجمع المعلومات عن عناصر الاوضـاع الشطرنجية . ثم ان لاعب الشطرنج ، قد يصرف النظر احيانا عن بعض قطع الشطرنج ، التي تعتبر بحد ذاتها محور اهتمامه ، الذي يتركز على ارتباطاتها بالوضع الراهن على الرقعة . وكما ان نفس النوطة الموسيقية تعطي ــ حسب استخدامها المختلف ــ اصواتا موسيقية مختلفة ، كذلك فان كل وضعية لقطع

الشطرنج تعتبر حالة مميزة يجب على اللاعب ان يدركها . وبنفس الشكل ، فان الاوضاع المختلفة لنفس القوات في حقل المعركة ، تشكل بالنسبة للقائد مشهدا وطابعا خاصين للمعركة .

ان استراتيجية النشاط المعلوماتي للاعب الشطرنج ، تتركز عند تحليله الوضع المعقد ، في تحديد القطع التي تهمه ، وانتقاء تلك القطع التي لها علاقة بالوضع الراهن ، وتحديد الارتباطات فيما بينها . وهذا هو النشاط الذي يؤمن تشكيل عدد قليل من الحالات الحقيقية للقرار ، واهمال العدد الكبير الباقي من الحالات المحتملة .

كان « م . م . بوتيفنيك » وهو دكتور في العلوم التقنية ، واستاذ كبير في لعبة الشطرنج ، قد كتب ـ بعد اجراء الابحاث الهامة ، التي استمرت لسنوات عديدة مسالة استخدام الآلات الحاسبة الالكترونية في لعبة الشطرنج ـ مايلي :

« لايستطيع لاعب الشطرنج ، وهو يجري حساباته ، ان يراقب رقعة الشطرنج بمربعاتها البالغة (٦٤) ، وانما يستطيع ان يشاهد ضمن حقل نظره من (٨) الى (١٦) مربعا فقط ، ولا يعير انتباهه لبعض القطع . ولا تشترك في الحساب عادة الا (٣ ـ ٦) قطع من اصل (٢٥ ـ ٣٠) قطعة . وهكذا فان اللاعب يحلل اثناء اللعب حركة عدد محدود من القطع ، على مساحة محدودة من الرقعة ، اي انه يحلل فقط حركة القطع التي تشترك مباشرة في الصدام ، وفي تلك المربعات التي يحتمل حدوث الصدام فيها »(١) .

ومن المعلوم ان النشاط الابداعي للقائد في قيادة القوات ، وفي عملية اتخاذ القرار للمعركة ، لايقل اهمية وتعقيدا وتنوعا عن نشاطات العلماء والعاملين والمبدعين الآخرين . وقد كتب « كلاوزيفيتز » من ذلك مايلي :

---

(١) ـ (السيبيرنيتيك المتوقع والسيبيرنيتيك غير المتوقع) ـ مجلة العلم ـ اصدار عام ١٨٦٨ ص ٢٢٩ .

« ينبع النشاط الفكري لدى القادة الكبار من الصعوبات التى تهبط على جزء من عقولهم »(١) .

. بينما كتب عالم النفس السوفييتي الشهير « ب.م. تيسبلوف » في هذا المجال مايلي :

« لم يكن عقل القيصر الاول (من حيث النشاط العسكري) اقل كفاءة العسكري يجب ان يكون ذا خلق يوازي عقله (٣) .

وبالاضافة الى العقل الراجح ، يجب على القائد ان يتمتع بارادة قوية. وعليه ايضا ان يوازن بينهما ، الامر الذي يعتبر هاما جدا ، من وجهة نظر سيكولوجية قرار القائد . لقد اعتبر « **نابليون** » – **مثلا – ان « الرجل أو ذكاء او قوة من عقل العالم الكبير لومونوسوف »(٢) .**

أما القائد الشهير « داروفانين » فقد شبه العقل والارادة بالشكل الرباعي ، الذي تشكل الارادة قاعدته والعقل ارتفاعه .

وقال : « ان الشكل الرباعي لايكون مربعا الا اذا تساوى ضلعاه ، أي كانت القاعدة التي هي الارادة ، مساوية للارتفاع الذي هو العقل . واذا تفوقت الارادة على العقل ، فان القائد يعمل بحسمية وشجاعة ، ودون مراعاة للعقل والمنطق . أما اذا عمل في الحالة المعاكسة ، أي في الحالة التي يتفوق فيها العقل على الارادة ، فستكون لديه أفكار وخطط جيدة ، وتعوزه الجراة والشجاعة والحسمية في تنفيذها » .

ان القرار القيادي هو « النتيجة المعقدة للنشاط العقلي والارادي للقادة، وهو ثمرة تفكيرهم وابحاثهم وتخميناتهم المعتمدة على التفهم العلمي العميق، والتوقع والخبرة الكبيرة ، والبداهة والحسابات الدقيقة للقوى والوسائط. ويكون هذا القرار من الناحية الديالكتيكية متصفا بالتناقض ، طالما ان القادة

---

(١) – (كلاوزيفيتز والحرب) – طبعة خاصة – مجلد رقم ١ – اصدار عام ١٩٤١ – ص١١٨ .
(٢) – (كتابات العلماء) – اصدار عام ١٩٤٥ – ص ١٥١ .
(٣) – « نابليون » – (مؤلفات مختارة) – مجلد رقم ١ – اصدار عام ١٩٤١ – ص ٣٢٠ .

الذين أعدوه واتخذوه كأساس لعمل القوات، كانوا مرتبطين بالشروط الموضوعية لموقف عسكري معين))(١) .

لذلك فقد كان ايحاء القائد منذ القديم ، موضع اهتمام من قبل علم النفس ، والعلم العسكري . ولا زال هذا الايحاء (الالهام) يحظى بالاهتمام الكبير حتى في الوقت الحاضر . أما الثورة العلمية — التقنية فقد اكتشفت انواعا جديدة من الطاقات ، كالطاقة النووية ، والطاقة الحرارية النووية ، وحققت نجاحات كبيرة في الالكترونيات (وبالدرجة الاولى في الآلات الحاسبة الالكترونية) وغيرها ، الامر الذي وضع متطلبات جديدة أمام مسألة قيادة القوات والوسائط القتالية ، كما ان ظهور الاسلحة الصاروخية — النووية، وازدياد أبعاد مسرح الاعمال القتالية وسرعة جريانها ، أدى الى تعاظم حجم نشاطات القادة والاركانات في قيادة القوات ، والى نقص الزمن المتوفر لاعداد القرار . وبنفس الوقت فقد ازدادت مسؤولية القائد في اتخاذ القرار الافضل في الظروف الراهنة ، وبالتالي ازدادت متطلبات تعليله .

لقد لعب علم السيبيرنيتيك وأقسامه الاساسية ، وخاصة نظرية البحث في العمليات ،دورا هاما في حل مسائل قيادة القوات . وقد أعدت وادخلت طرق رياضية خاصة في التطبيق العملي ، مما أسهم في تحديد المعطيات الكمية اللازمة لاتخاذ أفضل القرارات . وحصل تطور كبير في الآلات الحاسبة الالكترونية ، حيث ألقي على عاتقها معالجة الكثير من النشاطات الفكرية التي يقوم بها الانسان . أضف الى ذلك ان تنسيق طرق الرياضيات وتطبيقها على الآلات الحاسبة الالكترونية ، قد ساعد بصورة جوهرة في زيادة فعالية قيادة القوات، في العديد من مجالات النشاطات الانسانية .

ومهما يكن من أمر فقد يصعب أحيانا انشاء النموذج الرياضي لعملية البحث ، سواء كانت كاملة أو ناقصة الدقة ، كما يصبح انشاء هذا النموذج غير ممكن في بعض حالات الصراع المسلح ، كالمعركة والعملية ، وقيادة القوات.

---

(١) — « س . م . شتيمينكو » — (الاركان العامة في سنوات الحرب) — اصدار عام ١٩٧٣ ص ٤٥٦ .

واذا حدث تبسيط لهذه المسألة ، او اعطيت شروطا نموذجيــة أو تجريدية لتصبح قابلة الحل بواسطة اجهزةرياضية ، فان ذلكيؤثر سلبيا عى جوهرها. ولهذا السبب نجد ان استخدام الآلات الحاسبة الالكترونية لحل مسائل قيادة القوات في المعركة والعملية ، لايزال محدودا ، او غير كاف بشكل عام .

وعندما يصادف الانسان مسائل مماثلة في التطبيق العملي ، فانه يحلها بدون استخدام الوسائط الحاسبة المعقدة ، حتى في حالة عدم توفر المعطيات الاولية اللازمة . ولا يكون هذا الحل دائما فعالا ومعللا بشكل كاف ، ومع ذلك فانه يظل غالبا أفضل من اللجوء الى الآلة الحاسبة الالكترونية ، مع ادخال الطرق اللوغاريتمية فيها ، وعلى أساس المخططات النموذجية لعملية البحث .

ظهرت مسألة جديدة عن التغلب على الثغرة بين قدرات القائد في حل المهام المعقدة،والامكانيات المحدودة للنماذج السيبرنيتيكية المخصصة لتأمين المعطيات الكمية في مرحلة تحضير واتخاذ القرار النموذجي . وبالتالي فقد دعت الضرورة في السنوات العشر الاخيرة للاهتمام من جديد بالطريقة الايحائية . وفي البداية وجه الاهتمام لاعداد طرق نوعية جديدة لحل المسائل بواسطة الآلات الحاسبة الالكترونية ، ونمذجة بعض جوانب التفكير الانساني ، والطرق التي تؤمــن الوصول الى قرار فعال ، حتى في شروط عدم توفر المعلومات الجارية (المتبدلة دائما) .

وظلت هذه الطرق التي تعالج حل المهام ــ مع تعقيد او نقص المعطيات ــ تأخذ تسمية الطرق الايحائية .

لقد أثبت البحث التجريبي لسيكولوجية التفكير ، ان الانسان لايحدد ــ أثناء حل المهام ــ كافة الحالات المكنة للحل ، لينتقي الافضــل منها . ولكنه يقدر الموقف أو الوضعية ككل ، مستخدما قواعد معينــة ، ومحددا الحالات العديدة المكنة ، ثم يختصرها ليصل الى مايريد .

يختلف اتخاذ القرار بشكله العام من قبل الانسان ، عن التحديد (الفرز) المتتابع للحالات .

وعندما يقوم الانسان بحل مشكلة معقدة ، فلا ينتقي غالبا واحدة من الحالات المتعددة للحل ، بل يشكل حالة جديدة ويأخذ بها (ربما حتى لايقع في دوامة الحيرة) .

أما العلماء السوفييت مثل :« ف.ن.بوشكين ، ي.آ.الكسندروف ، د . آ . بوسبيلوف ، وغيرهم » فقد أثبتوا أن عملية تشكيل استراتيجية جديدة في شروط المهام المعقدة ، تتوافق مع مضمون النشاط الايحائي للانسان. وبالتالي فقد أعدوا قواعد أساسية عن الايحاء (الالهام) واعتبروها علما يبحث في التفكير الابداعي للانسان . وقد عرفوا الإيحاء بأنه : علم يدرس أسس وطبيعة الاعمال الجديدة في حالة (وضعية) جديدة ايضا .

وقد اثبت التطبيق العملي بأن انشاء طرائق (خاصة أو عامة) في البحث المختصر للقرارات ، يلعب دورا مساعدا فقط ، بينما يجب اعارة الاهتمام الرئيسي الى كشف الاسس النفسية ـ المنطقية للعملية الابداعية ، والى تحليل شروط تكوين نماذج الحالة المعقدة ، وتصميم الاجهزة الفنية التي تستخدم قوانين النشاط الايحائي ، ومن ثم ادخال نتائج هذه الابحاث في التطبيق العملي للسيطرة على الانظمة المعقدة . ونستطيع أن نحقق استخدام الايحاء في مثل هذه المسائل من أجل تحسين عمليات قيادة القوات ، وخاصة عند اتخاذ القرار من قبل القائد ، ذلك القرار الذي يتكون بدوره من انشاء أعمال جديدة في وضعية (حالة) جديدة .

تؤثر في عملية صنع القرار واتخاذه عوامل موضوعية وذاتية ، حيث تدخل ضمن اطار دياليكتيكي واحد . فالعامل الموضوعي : يتمثل في شروط الموقف القتالي وأسس الحرب . بينما يتمثل العامل الذاتي في : ذكاء وبداهة القائد وخبرته القتالية ، ومعارفه العسكرية ، وقدراته الذهنية ، وارادته .

يعتمد العامل الذاتي على الشروط الموضوعية ويتحدد بها ، كما يؤثر بالمقابل تأثيرا فعالا عكسيا عليها . ويتخذ قرار واحد عن كل حالة ، ويعتمد هذا القرار على قواعد عامة تم تفهمها خلال التدريب ، ومن الخبرة السابقة . وان

العامل الذاتي يلعب دورا هاما في شروط اتخاذ القرار ، التي لاتتوفر له المعطيات الكافية عن الموقف ، وهو مايحصل عادة اثناء ديناميكية الاعمال القتالية .

تلعب الابحاث النفسية – وخاصة مايتعلق منها بعلم النفس التجريبي – دورا هاما في دراسة العوامل الذاتية . وقد دلت هذه الابحاث على ان نشاط القائد الذي يساعده في معالجة هذه أو تلك الحالة ، يكون متنوعا الى حد كبير ، وهو يعتمد على طبيعة المهام التي تصادفه ، وعلى وجود الخبرة لديه ، وعلى مهاراته المتعلقة بمثل هذه المهام ، وقدرته في استخدام كافة الاساليب (بما في ذلك الاساليب المنطقية والرياضية) والوسائط (بما في ذلك العتاد الحاسب الالكتروني) التي تساعد على تعليل القرار الافضل .

لقد أثبت علماء النفس التجريبيون ، ان السمة الاساسية لحل مثل هذه المهام الجديدة في مواقف غير متوقعة ، تكمن في جمع المعلومات عن مؤشرات وخواص العناصر التي تتألف منها المشكلة (كعناصر الموقف القتالي) ، كما ان الهدف الرئيسي منها ، يتمثل بالسعي لتحديد الارتباطات فيما بينها ، وتشكيل نظام او نموذج للوضعية (الحالة) الراهنة من هذه العناصر . وقد أثبت هؤلاء أيضا أن نشوء كل حالة من حالات القرار في عملية النشاط الايحائي للقائد ، يسبقها تشكيل نموذج معلوماتي – عملياتي للحالة التي تكون مؤلفة بدورها من مجموعة غير مترابطة من العناصر .

وهكذا ينشأ نموذج (نظام) الحالة على أساس اكتشاف مؤشرات عناصرها وايجاد الروابط فيما بينها ، كما يمكن – اثناء عملية صنع القرار – تشكيل عدة نماذج للحالة الراهنة . وان هذا التشكيل المتتابع المنفذ من قبل شخص ما للنموذج المعلوماتي – العملياتي يميز المضمون الداخلي للنشاط الايحائي .

ولكن القائد يقوم – اثناء عملية اعداد واتخاذ القرار – بتقدير كل عنصر من عناصر الموقف القتالي على حدة ، كالعدو، والصديق، والارض ، والوقت... الخ . ثم يحدد تأثيرها المتبادل ، ويشكل في ذهنه نموذجا ديناميكيا للاعمال القتالية المقبلة ، ويربط كافة العناصر دفعة واحدة فيه ، ويتصور نوعية التبدلات المحتملة ، التي يمكن لهذا أو ذاك القرار ان يؤدي اليها .

ان قرار القائد يعكس هذا النموذج المعلوماتي ـ العملياتي للاعمال القتالية المقبلة ، ونجد في هذه الحالة،ان القرار المتخذ من قبل القائد يعتبر مثالا واضحا جدا عن النشاط الايحائي للانسان .

لقد برهنت أبحاث عالم النفس السوفييتي الشهير «ب.م تيبلوف» المتعلقة بتفكير القادة ، على أن القائد العسكري يجب أن يملك قدرة الرؤية الفورية والكاملة ولكل التفاصيل ، أي يجب ان يملك طاقة عقلية كبيرة (يستوعب كل شيء بنظرة واحدة) ترتبط بتفكيره الواقعي . وان هذه الصفة تتوافق مع النتائج التي حصل عليها علماء النفس التجريبيون مؤخرا .

سوف تساعد الايحائية مستقبلا في الجمع بين خاصتين ، تتعلق احداهما بالعمل الذهني للقائد ، والاخرى بالحجم الكبير من المواد او الموضوعات(كشروط الموقف مثلا) التي يجب تحليلها وتقديرها من ناحية ، وكون نتائج هذا العمل بسيطة وواضحة ومحددة من ناحية ثانية (يقصد بالنتائج : الخطط والقرارات التي يعدها القائد) . وتلعب بداهة القائد دورا كبيرا أيضا . وقد أثبتت الابحاث الاخيرة أن تكوين نماذج معلوماتية ذهنية ديناميكية لوضعية ما ، يتم بواسطة النشاط الواعي وتحت الواعي الذي يعتمد على الخبرة الاجتماعية المكتسبة سابقا . وقد رأى بعض العلماء ان تكوين نموذج قائم على أساس الخبرة الاجتماعية لايأخذ طابعا معينا ، بل يكون واضحا متكامل الجوانب ، لايحتاج لاية معطيات تفسيرية أخرى .

* * *

ثانيا ـ الآفاق المستقبلية لاستخدام الاساليب الايحائية

يتم حاليا كشف وتفهم قوانين طرق وأساليب النشاط الايحائي . وذلك عبر معرفة السلبيات والتخلص منها ، ومن المؤشرات الثانوية ، واهمال بعض شروط الموقف ، وعدم اعطاء اية قيمة لبعض نواحي أو ظواهر المسألة المطروحة. وعموما فان اهمال ماليس مهما يعتبر شرطا حتميا لخلق كل النماذج .

وقد كتب العالم ((أ . انشتاين)) في (سيرة حياته) مايلي : ((**تطفىء كمية كبيرة من الحقائق التجريبية ، ذات الترابط الضعيف فيما بينها ، على سواها من الحقائق الاساسية . ولكني تعلمت هنا ان ابحث فيما يقودني الى العمق ، وأهمل كل مانبقى ، اي كل مايثقل العقل ويبعده عن الجوهر**))(١) .

وبالتالي فان النشاط الابداعي يهتم في تحديد الطريقة الجوهرية لطرح ماليست له اهمية جوهرية . لكن اهمال غير المهم يجب ان يترافق مع التحليل والتركيب ومع التجريد والتعميم . وترتبط معه بشكل وثيق ضرورة كشف الاشياء الغامضة والسرية ، والتي تكون بنفس الوقت هامة لحل مهمة التعرف على خواص الشيء والظاهرة أو العملية .

وثمة قانون آخر للنشاط الايحائي ، يتمثل بتحسين تقدير هذه او تلك الطريقة لتنفيذ المهمة ، اعتمادا على الخبرة السابقة ، ومع اعارة انتباه خاص من قبل الباحث لهذه الطريقة باستمرار اثناء التدريبات والتمارين .

ان التقيد الشديد بالعمل الوظيفي يشوش غالبا النشاط الايحائي، ويقصد بذلك ، الارتباط بنموذج معين ، او معروف سابقا ، لوظيفة الشيء الراهن . ويمكن ان يكون ذلك نتيجة لتدريب روتيني ، او لموقف متكرر مرارا اثناء

---

(١) ـ « ا . م . روزيت » ـ (ماهي الايحائية ؟) ـ منسك ـ اصدار عام ١٩٦٩ ـ ص ٧٦ .

التمارين . وبغية عبور هذا التشويش ، يتم غالبا استخدام الاسلوب المعروف ب « العاصفة العقلية » . وتنحصر هذه الطريقة في الا تناقش المسألة من قبل اختصاصين مهرة فقط ، بل يشترك فيها عدد من الناس العاديين في هذا المجال.

ويتم سماع وتحليل كافة الافكار ، حتى ماكان يبدو منها غير مهم للوهلة الاولى ، الامر الذي يسمح بالتحرر من ضغط النمطية الواحدة ومن خمول التفكير .

تكون كل هذه المسائل في مرحلة الدراسة والتطوير ، ولكن النتائج التي تم الحصول عليها بالايحاء ، تقدم امكانية كشف أسرار الابداع ، والنفوذ العميق الى سيكولوجية قرار القائد ، وتؤمن تنظيما أفضل لنشاطه الابداعي .

وللابحاث الايحائية مهام أخرى تكمن في تحديد دور ومكان الانسان ونشاطه الابداعي في أنظمة القيادة . وهكذا فان قيمة الايحاء لاتتمثل فقط في انها تساعد على تحسين مبادىء نمذجة العمليات الفكرية ، التي تحدث في ذهن الانسان، بل وفي أتمتة النشاط الانساني المنتج ، وعمليات القيادة . ويعلل ذلك بدور الانسان في أنظمة القيادة ، وفي الخصائص النفسية لقيادتها .

ففي بعض الانظمة مثلا ، كنظام (الطيار — الطائرة) يمكن ان تراعى مسبقا، كافة الحالات المحتملة للفرض المقاد ، وتؤخذ بعين الاعتبار تلك الاجهزة التي تعمل في اصلاح الانحرافات عن البرنامج المحدد للقيادة ، حيث يمكن تعليم الانسان ، او وضعها لتعمل آليا في الآلة ، التي هي في مثالنا (طائرة بدون طيار) ذات النظام المسمى بالطيار الآلي ، الذي يؤمن عمل مختلف أجهزة الطائرة واطلاق الصواريخ الموجهة الخ .

ومهما يكن من امر ، فثمة انظمة قيادة لايمكن ان تعمل حسب اللوغاريتم ، لانه يستحيل تعداد كافة التعقيدات في الفرض المقاد بواسطتها . ونذكر مثالا عليها في « الانظمة الكبيرة » التي تنتمي اليها قيادة القوات . تتميز هذه الانظمة بقدرة العنصر القيادي فيها (القائد ، الاركان) في خلق مواقف جديدة غير مبرمجة سابقا ، حيث يمكن بواسطتها أن يؤثر على سير التدريب أي يعد موقفا معقدا يحتاج الى قرار جديد .

ففي الشروط القتالية ، يجب على القائد ان يعالج ــ وبصــورة آنيــة ومعللة ــ عددا كبيرا من المهام الابداعية بهذا النوع من انظمة القيادة ، حيــث تعمل في شروط ميدانية تطرا فيها تبدلات حادة وغير متوقعــة علــى الموقف القتالي . تسمى هذه العملية ، التي هي نوع خاص مــن النشاط الايحائي ، بالتفكير العملياتي . واذا لم يكن الشخص ماهرا في هذه العملية ، فلا يستطيــع العمل على هذه الانظمة الكبيرة ، وبالتالي لن يصبح قائدا جيدا .

كيف يتم تزويد القائد بالمعلومات الحينية والكاملة عن الموقف القتالــي المتبدل باستمرار ، وكيف تحضر له المعطيات الكمية اللازمة لاتخاذه القرار ، وكيف نسهل ونزيد من سرعة ايصال المهام للقوات ؟ تتمثل احدى الطرق الجذرية لحل هذه المسألة في اتمتة قيادة القوات ، وادخال الاجهزة الحاسبة في انظمــة القيادة ، بالاضافة الى وسائط الاتصال الحديثة ، واستخدام الطرق الرياضية وغير ذلك .

من جهة ثانية يلعب علم النفس الهندسي دورا كبــيرا في حل مشكلــة « الانســان ــ الآلة » و « الانســان ــ الجهاز الاوتوماتيكي » وذلك بالتنسيق بين اجهزة مداخل ومخارج الآلات ، (كالميناءات المرقمة ، ومعطيــات الاشارات ، ومؤشرات الخواص العددية الخ) وبين اعضاء الحواس في الانسان وقوانين ادراكه وردود فعله الخ .

وان الايحاء اذ يبحث في النشاط الابداعي الذهني للانسان ، وعمليــات تفكيره العملياتي ، يسمح في حل المشكلة الجديدة « الانســان ــ النظام الكبير » .

يمكن الايحاء من البحث الشامل لعلاقات القائد (الاركان) الوظيفية ، والوسائط الفنية لانظمة قيادة القوات المؤتمتة . وهنا يقع حل المسائل الصورية على عاتق الآلات الحاسبة الالكترونية ، بينما تبقى العمليات الابداعية لاعــداد القرار على مسؤولية القائد . لان الانسان ذا الخبرة الاجتماعية والتفكير المرن ، يستطيع ان يحل المهام الابداعية الآن وفي المستقبل بشكل افضل واكثر نموذجية من اية آلة .

ان القائد لايضع ــ عادة نصب عينيه ــ ان يعطي المســائل الاكثر تعقيدا

للآلة الالكترونية ، وبالتالي فعلى النشاط الايحائي لديه أن يساعده في تحديد افضل استخدام لامكانياته ، أثناء قيادته للانظمة الكبيرة. ويساعد هذا النشاط ايضا ـ أثناء حل المسائل الفنية المتعلقة بطرق الاتمتة ـ في تحديد مايجب اتمتته من النشاط الذهني الحالي للقائد .

لقد دلت التمارين المنفذة على الصعيد النظري والعملي انها تلعب دورا هاما في تطوير الايحائية بغية حل مسائل معقدة ذات طابع ابداعي ، كالتطوير الذاتي للانسان ، وشروط معينة متماثلة للموقف . ان التدريب الذاتي يتم ايضا خلال حل المهام المعقدة مع ممارسة النشاط الايحائي . لذلك يفضل في الوقت الحاضر تنفيذ عدد كبير من المشاريع التكتيكية الاختبارية ، التي تشمل مرحلة واحدة من المعركة ، مع وجود خلفية كاملة لهذه المرحلة ، وعدم كفاية المعلومات ، الامر الذي يجعل من الضباط المتدربين قادة أكفاء ومن نوعية جيدة. لقد برهنت الابحاث التجريبية ايضا ، انه كلما ازداد عدد العناصر المترابطة فيما بينها خلال عملية النشاط الايحائي ، كلما كان هذا النشاط اكثر نموذجية ونجاحا . ولهذا السبب كان من الاهمية بمكان ان يقدر القائد المشترك ، الموقف من كافة نواحيه ، وان يراعي كافة العناصر ، ويحدد امكانيات كافة صنوف ومصالح (خدمات) القوات . ولذلك يجب على العسكريين الذين يقومون باعداد اللعب (جمع لعبة) والمشاريع العسكرية ان يشكلوا مواقف كاملة ، ومعقدة ومتنوعة العناصر والاشكال .

وثمة مشكلة اخرى يمكن ان تحل بالايحائية ، وهي اعداد طرق لانتقاء الناس الذين يتحلون بتفكير عملياتي سليم ، وبالتالي يمكنهم ان يصبحوا قادة . كما توجد طرق لانتقاء فيزيائيي ، ورياضيي ، وطياري،ورجال فضاء المستقبل، من الناس الذين يتمتعون بامكانيات كبيرة في تنفيذ وظائف خاصة ، معينة للنشاط الابداعي .

ان النشاط الابداعي للقائد ، وقدرته على الاستيعاب الفوري لكافة عناصر الموقف القتالي المعقد ، وعلى خلق نموذج ذهني للاعمال القتالية المقبلة في أقصر زمن ممكن ، يتطلب ذكاء معينا . ولا يقل أهمية عن ذلك ، مايتمتع به القائد من

نضج سياسي ومعنوي . واذا تمكنا من أعداد الطرق اللازمة لكشف هذه الامكانيات غير الايحائية (الالهام) ، فانها ستكون مفتاحا لكشف قادة المستقبل العسكريين الموهبين .

ومع ذلك فلا نزال بعيدين عن تحقيق امكانية اختيار من يستطيع أن يصبح قائدا ؟

ولا بد من اختبار الضباط في المنشآت التعليمية ، وفيما بعد في تدريب القادة لتحديد النواحي الايجابية التي تؤهلهم للمراكز القيادية . ويستفاد من ظاهرة الايحاء لتطور وتحسين قدرات القائد في التفكير الابداعي واتخاذ القرار الافضل والاكثر ملاءمة للشروط الراهنة .

وهكذا فان سيكولوجية قرار القائد تتضمن قدرة ونشاطا ايحائيين . ومن هنا تنبع ضرورة دراسة مضمون وطرق الايحائية كعلم يبحث في التفكير الابداعي ، ويمكن ان يستخدم في زيادة فعالية النشاط الذهني للقائد وفي رفع فعالية قراراته للمعركة .

* * *

الفصل التاسع

الإلكترونيات والرياضيات في خدمة القائد

اولا ـ الثورة في العمل العسكري وتاثيرها على عملية اتخاذ القرار .

ثانيا ـ الأتمتة والآلات الحاسبة الالكترونية والاجهزة النوموغرامية (المخططات) وتطبيقاتها في عملية اتخاذ القرار .

ثالثا ـ بحث العمليات ، كأداة قوية في التحليل الكمي للقرارات .

رابعا ـ تحسين معارف ومهارات وقدرات القائد في اتخاذ القرار المعلل في الوقت المناسب .

أولا ـ الثورة في العمل العسكري وتاثيرها على عملية اتخاذ القرار

لقد عقدت الثورة التقنية ـ العسكرية طبيعة ومضمون المعركة المشتركة، وبالتالي تأثر معها النشاط الذهني للقائد في جمع وتحليل وتعميم معطيات الموقف القتالي ، وانشاء النموذج الفكري لهذه المعركة واتخاذ القرار لاعدادها وتنفيذها . وقد استوجب هذا التعقيد ضرورة البحث عن ايجاد الوسائل والطرق التي تزيد من امكانيات القائد ونشاطه الذهني . وكما استطاعت الثورة

الصناعية الاولى حل مشكلة زيادة الامكانيات المادية للانسان ، بادخال الآلات واستيعاب المصادر الجديدة للطاقة ، فقد اسهمت الثورة التقنية ـ العلمية الحديثة ـ أيضا ـ في زيادة النشاط الابداعي والذهني للانسان عبر استخدام الآلات الحاسبة الالكترونية والطرق الرياضية واستيعاب الوسائط والطرق الجديدة لمعالجة المعلومات . وأصبحت الشروط الجديدة التي تنظم وتنفذ فيها المعركة المشتركة الحديثة ، عبارة عن نظام معقد يحتاج الى متطلبات صارمة في النشاط الذهني للقائد ، حيث تمثلت هذه المتطلبات بالاقتراب المنظم لمعرفة الحقيقة الموضوعية عبر انشاء نموذج فكري للمعركة المقبلة ، وبسرعة جمع ومعالجة وارسال المعلومات التكتيكية ـ العملياتية وبتعليل القرارات المتخذة .

فما هو النظام المعقد ، وما هو الاقتراب المنظم ؟ ان كلمة «نظام» (System) مشتقة من كلمة يونانية تعني حرفيا « الكل المركب من أجزاء » حيث يفهم من هذه الكلمة : « مجموعة الاشياء التي تربطها وظيفة عامة » .

يسمى النظام معقدا او كبيرا ، عندما يحتوي على عدد كبير من العناصر أو العملية المتنوعة ، وذات الارتباطات أو التأثيرات المتبادلة ، والتي تؤمن لهذا النظام تنفيذ وظيفة معقدة . وفي هذه الحالة تكمن الخصائص المميزة للنظام المعقد في أنه يشكل وحدة كاملة متكاملة ، وبوجود هدف عام لدى كافة الانظمة، وعدد كبير من المقاييس سواء للاجزاء التي تتألف منها الانظمة أو للوظائف التي تنفذها ، وبتعقيد التأثير المتبادل بين أجزاء النظام ، يتطلب تبديل جزء منها تبديل الكثير من الاجزاء الاخرى ، ويستوجب بالتالي تأثيرا عكسيا لغموض عمل النظام ، وارتباطه مع أنظمة اخرى ، وكثرة الحالات المحتملة لعمله ، والجهد اللازم لاستخدام الطرق الرياضية ووسائط الاتمتة في قيادة النظام والسيطرة عليه ، وكذلك بوجود نواحي المزاحمة والسباق على استخدامها في اغلب الاحيان. ويعتبر النظام معقدا اذا كان عنصرا في نظام ذي مرتبة أعلى ، بحيث تصبح اجزاؤه الاساسية أنظمة ذات مرتبة أدنى .

اذا أخذت هذه الخصائص كلها بعين الاعتبار ـ خلال عملية النشاط الذهني وأثناء وضع وحل مهام الاستخدام الامثل للقوى والوسائط ، وطرق

الاعمال من اجل السيطرة على عملية هامة ما ــ فانها ــ اي هذه الخصائص ــ تؤلف مضمون الاقتراب النظامي .

يتمثل الاقتراب النظامي لفهم عملية الصراع المسلح ، في السعي للاخذ بعين الاعتبار لدرجة تعقيد الجزء المعد لقيادة انظمة القوى والوسائط القتاليةفي العملية (نظرا لوجود وسائط متنوعة للصراع المسلح ، ذات ارتباطات متبادلة مؤثرة فيما بينها) ، وللغموض الكبير او القليل لسلوك هذه الانظمة وارتباطها مع الانظمة الاخرى .

وبصورة عامة ، يتألف النظام المعقد من ثلاثة انظمة فرعية اساسية هي :

١ ــ نظام فرعي معد لادراك الوسط المحيط ومعالجة المعلومات المتلقاة من هذا الوسط .

٢ ــ نظام فرعي يؤثر على الوسط الخارجي .

٣ ــ نظام داخلي يتألف من البرامج الخاصة بالنظام ككل . ومن العناصر القيادية التي تعالج المعلومات المتلقاة .

يعتبر النشاط الذهني جزءا رئيسيا للنظام الفرعي الاول ، ويدخل في النظام العام للصراع المسلح الذي يقود مباشرة القوى والوسائط الداخلة في النظام الفرعي الثاني . أما النظام الفرعي الثالث ، الداخل في نظام المعركة المشتركة ، فانه يحتوي على أجزاء ووسائط القيادة العاملة حسب قرار القائد، والمعالجة خلال عملية النشاط الذهني ، والمدققة بما يناسب شروط الاعمال القتالية للاطراف المتحاربة ، والتي تتبدل باستمرار . ان الارتباط داخل الانظمة الفرعية وفيما بينها ، لايتميز بالتعقيد فحسب ، بل في كونه موجها الى غرض معين .

نذكر مثلا ، ان استطلاع وتدمير السلاح النووي للعدو يحققان هدفا واحدا متمثلا باحباط او اضعاف الضربة النووية لهذا العدو ، وتأمين المحافظة على القدرة القتالية والاعمال الناجحة للقوات الصديقة في تنفيذ المهام القتالية المسندة لها . ويشترك في الصراع ضد السلاح النووي المعادي ، عدد كبير من

مختلف قوى ووسائط الاستطلاع والقيادة والتدمير المرتبطة فيما بينها بعلاقات وظيفية معقدة . وان كثرة العوامل العرضية والمجهولة ، التي تؤثر على جميع عناصر قيادة القوات وارتباطها بأعمال العدو ، تؤدي الى خلق درجة عالية من السلوك غير المحدد لهذا النظام ، الذي يتميز ايضا بكون ارتباطه المتبادل مع نظام قيادة العدو معقدا جدا .

يتطلب الاقتراب المنظم ، بحث هذه الانظمة المعقدة ، كما هو الامر في نظام قيادة القوات ، الذي يحتاج الى استخدام الاساليب العلمية المنظمة ، الخاصة والعامة المتطورة ، والى الاستفادة من انجازات العلم العسكري وغير ذلك من العلوم المعقدة ، والمرتبطة مع بعضها ، ومن العتاد الحاسب الالكتروني على نطاق واسع . ثم ان هذا الاقتراب المنظم ، يتطلب بالدرجة الاولى ، استخدام خبرة ومعرفة ، وقدرة وبداهة الاختصاصيين العسكريين في المسائل التكتيكية ـ العملياتية ، الذين يستطيعون الاعتماد على كافة العلوم والاساليب والتكتيك .

وثمة أمر خاص ، وصعب بنفس الوقت ، في تحقيق الاقتراب المنتظم للمشكلة المراد بحثها ، حيث يتمثل هذا الامر ، في أن الطرق العلمية الحديثة لتحليل الانظمة المعقدة ، لاتزال في مرحلة التطور الحاد والتجدد المستمر ، وبالتالي لايمكن ان تتحدد أو تقيم بنفس الدرجة .

وان نقص المراجع الجيدة ، والحصول على المراجع الاجنبية المترجمة عن هذه المسائل ، وعدم دقة التعابير المترجمة ، وعدم وضوح محتواها في مجال استخدام الاساليب والاتجاهات العلمية الملائمة ، يؤدي الى مفاهيم مشوشة ، ويعيق الاستخدام العملي الناجح للمنجزات الجديدة في العلم الحديث . ويعود ذلك بالدرجة الاولى الى مفاهيم وأساليب نظرية البحث في العمليات ، ونظرية الانظمة الكبيرة (الانظمة التقنية) وتحليلها (بشكل نظامي) ونظرية الايحاء الخ . وبصورة خاصة ، فان استخدامها في العمل العسكري ، وخاصة لدى حل المسائل التكتيكية ـ العملياتية ، لايحظى الا بأهمية متواضعة في المراجع العلمية الحديثة .

يرى العلماء الامريكيون ، ان تاريخ تطور الاجهزة العلمية المستخدمة لتحليل الانظمة ، يعود الى الحرب العالمية الثانية ، عندما ظهر مايعرف بأنظمة الاسلحة ، التي كانت جديدة في فكرتها وتصميمها (كالرادار مثلا) ، الى درجة تعذر منها التخطيط لاستخدامها بالاعتماد على الخبرة العسكرية العادية ، بل تطلب ذلك طرقا جديدة للتحليل ، الامر الذي كان حجر الاساس في مجال المعارف التي سميت بالبحث في العمليات . وقد نفذ العمل في خلق انظمة الاسلحة ، على أساس تقدير فعالية البدائل المحتملة ، اي استخدام منهج البحث في العمليات ـ حسب مبدأ النمذجة المعروف « لاشيء الا الافضل » .

وقد ازدادت ـ منذ بدء « العصر النووي » ـ النفقات اللازمة لصنع الاسلحة عدة مرات ، وأصبح هذا المبدأ غير مقبول . وقد بدل بمبدأ آخر هو « ماهو ضروري فقط وبأقل تكلفة ممكنة » . وكانت الطرق التي استخدمت في الصناعة والتجارة ـ وما اعد حتى ذلك الوقت من نماذج للبحث في العمليات ـ غير صالحة للاستخدام اللاحق بسبب ما اتسمت به من تحديدات . وكان لابد من ايجاد طرق جديدة تسمح بتحليل المسائل المعقدة ككل ، وتؤمن البحث في عدة بدائل ، حيث يكون لكل بديل عدد كبير من المتحولات التي تضمن اكتماله، وتساعد في اجراء القياسات اللازمة ، وتقدم امكانية ازالة عدم التحديد . وقد اطلق على هذا المنهج الجديد تسمية « تحليل الانظمة » ، وأحدث فرع منه لحل المسائل العسكرية .

وهكذا فان « تحليل الانظمة » هو منهج حل المسائل الكبيرة على اساس فكرة الانظمة . ويفهم من هذا النظام بأنه مجموعة اغراض ذات خواص معينة، ومجموعة ارتباطات بين هذه الاغراض وخواصها . وبنفس الوقت فان النظام هو الواسطة التي تؤمن تنفيذ عملية حل المسألة الراهنة . اما المسألة نفسها، فيفهم منها الفرق بين الانظمة الموجودة والانظمة المرغوبة ، كما ان حل المسألة ، هو ايجاد مايملأ الفراغ (الفرجة) بين الانظمة الموجودة والمرغوبة ايضا .

ثم ان عملية الحل ، هي عبارة عن تصميم وتقدير واختيار بديل للانظمة حسب عوامل التكلفة والزمن والفعالية ، والمخاطرة مع مراعاة العلاقات بين

القيم القصوى التي تزيد قيم هذه العوامل . وفي هـذه الحالة ، فان المضمون الاساسي لتحليل الانظمة ، لايتلخص في الجهاز الرياضي الشكلي ، الذي نسميه ب « النظام » و « حل المسألة » ، بالرغم من وجود محاولة لصنع مثل هـذا الجهاز . وفي الطرق الرياضية الخاصة ، كتقدير الغموض (بالرغم من اجراء عمل معين في هذا الاتجاه) فحسب، بل وفي التقدير التحليلي لمجموعات العوامل المؤثرة على العمل الوظيفي للنظام ، وفي فرز طرق البحث الرئيسيـة المحددة (بكسر الدال الاولى) وعلى النظام كله .

ينبغي ان يقترن التفكير الابداعي للقائد ، لدى الاقتراب المنتظم لتحليل المعركة المشتركة ، بجهاز الرياضيات الذي يسمح باجراء هذه او تلك الحسابات أو النماذج المستقلة .

وان الهدف النهائي للتحليل يتلخص في تقليـل درجـة الغموض التي يصادفها القادة عندما ينتقون قرارا واحدا من عدة حالات محتملة .

ومن وجهة نظر تعاقب بحث العمليات وتحليل الانظمة ، يمكن ارجاعها الى دورة ثلاثية الدرجات تتصاعد فيها الصعوبة ، وتضم بالتتالي :

١ ــ بحث العمليات .

٢ ــ التقدير حسب عامل (التكلفة ــ الفعالية) .

٣ ــ تحليل الانظمة .

ومع ذلك فان الاقتراب المنتظم يتطلب معلومات واسعة عن وظيفة كل من عناصر النظام المعقد . وبنفس الوقت ، يجب أن يتم جمع هذه المعلومات خلال زمن قصير ، وبفعالية عالية ، وان تنفيذ هـذا الشرط ، يجعل اتمتة قيـادة القوات ممكنة .

ثانيا ــ الاتمتة والآلات الحاسبة الالكترونية والاجهزة (المخططات) النوموغرافية وتطبيقاتها في اتخاذ القرار

« ان الهدف الاساسي للاتمتة يتمثل بزيادة فعالية قيادة القوات ، واستخدام السلاح ، والعتاد القتالي ، والجاهزية القتالية للقوات ككل ، وكذلك بالاختصار الحاد لأعباء القادة وضباط الاركان في العمل التقني »(١) .

ان الجمع الآلي للمعلومات عن توضع الوحدات على الارض ، وعن الموقف الاشعاعي والكيميائي ، وعن أغراض العدو والمعطيات الاخرى عن الموقف القتالي، وتذكر هذه المعطيات ومعالجتها وتعميمها بواسطة الآلات الحاسبة الالكترونية، واجراء الحسابات التكتيكية ــ العملياتية اللازمة للتعليل الكمي للقرارات المتخذة ، واظهارها على شاشات خاصة للموقف القتالي الراهن ، وصياغة وارسال الايعازات (الاوامر) والتعليمات ــ تدخل كلها ضمن المهام التي يمكن ان تحلها الوسائط المؤتمتة لقيادة القوات .

يمكن للآلات الحاسبة الالكترونية الحديثة ، ان تساعد جوهريا في النشاط الادراكي للقائد . ذلك ان امكانيات هذه الحاسبات في حفظ ومعالجة كميات هائلة من المعلومات في أزمة قصيرة جدا ، تشكل ذراعا هاما في رفع فعالية القيادة ، كما أن امكانية اجراء الحسابات التكتيكية ــ العملياتية ــ في عدد كبير من الحالات ــ تؤمن رفع وتطوير خاصة تعليل القرارات المتخذة .

ولهذا السبب يقال : بأن الثورة التقنية ــ العسكرية الحديثة ، منحت القائد معاونا الكترونيا مضمونا ، متمثلا بالحاسبات الالكترونية الحديثة . وان

---

(١) ــ « آ . آ . غريتشكو » ــ نفس المصدر السابق ــ طبعة ١٩٧٥ ــ ص ٢٧٦ .

الآلات الحاسبة الالكترونية العسكرية الخاصة ، التي تعالج مختلف المعلومات عن الموقف القتالي ، وتحل المسائل الحسابية المستقلة والمعقدة ، تستخدم على نطاق واسع في الطيران وقوات الدفاع الجوي ، وفي القوات الصاروخية والمدفعية الخ .

وقد صمم في جيش الولايات المتحدة الامريكية ، نظام ميداني فرعي مؤتمت لقيادة نيران المدفعية الارضية يعرف ب « تاك فاير » ويستطيع معالجة معطيات الاستطلاع مع مراعاة موقف الارصاد الجوية ، وتحضير المعطيات الاولية لرمايات المدفعية .

وعموما فان الآلات الحاسبة الالكترونية ـ مهما عظمت امكانياتها ـ ليست سوى مساعدة للقائد ، تسهم في رفع وخدمة نشاطه الادراكي . فهي لاتعمل الا وفق برامج معدة سابقا من قبل الانسان موضوعة فيها .

ويقع على عاتق الاخصائي العسكري تحديد المسائل التي يجب أن تحلها هذه الآلات ، كما يجب على القائد ان يتقن استخدام نتائج حل المهام التيتقدمها الآلات الحاسبة الالكترونية في مجال النشاط العملي لقيادة القوات .

ان التدريب الاختصاصي العسكري والتقني ، والثقافة العامة العالية ، يسمحان للقائد العصري،ان يحدد واقع علاقته المباشرة مع مساعده الالكتروني، وان يتجاوب معه ، وان يستخدم المعلومات والحسابات والمعطيات في نشاطه الادراكي ، أثناء عملية اعداد واتخاذ القرار . ولكن الاعتماد على مساعد واحد قد يؤدي أحيانا الى نتائج غير منطقية وغير أمينة .

لذلك كان على القائد ـ سواء وجدت أم لم توجد الآلات الحاسبة الالكترونية في الوحدات ـ أن يهتم باستمرار في ايجاد واستخدام الوسائط والطرق الاكثر بساطة والاقل فعالية ، لزيادة كفاءة قيادة القوات ، ولتحليل القرارات المتخذة .

وتعتبر المخططات البيانية (النامو‌غرام) احدى هذه الوسائط ، التي تزيد من سرعة اجراء الحسابات التكتيكية ـ العملياتية ، وتسمح بدراسة عدد كبير من الحالات المحتملة للقرار في عملية النشاط الذهني .

تسهل الرسوم ، والجداول ، والمساطر ، والمخططات البيانية (الناموغرام) تنفيذ الحسابات المرتبطة باستخدام السلاح النووي وبتقدير الموقف الاشعاعي، ومراعاة عنصر الزمن لدى استخدام القوى والوسائط في المعركة والعملية ؛ ويجب أن تكون هذه النماذج موجودة في متناول يد القائد (على خريطة القائد). ويمكن للقائد بواسطتها — ومع استخدام المعطيات الاولية المميزة للموقف القتالي — ان يجد الخواص الكمية الضرورية ويستخدمها في قراره .

يمكن ان تكون المخططات البيانية (الناموغرام) والرسوم دقيقة او معقدة وتعتمد على المعطيات والحسابات المأخوذة من الآلات الحاسبة الالكترونية ، او على المعطيات التقريبية البسيطة .

تدل الخبرة على ان المخططات البيانية (الناموغرام) ، والرسوم،تستخدم في المنشآت التعليمية العسكرية ، وفي القوات والاركانات لحل مختلف المسائل. وان هذه الوسائط الحسابية البسيطة ، تصل الى القوات بحالة جاهزة . كما تعد غالبا في القوات نفسها ، المخططات البيانية (الناموغراما) اللازمة لمعالجة نشاطاتها العملية . وان ادخال المخططات البيانية (الناموغراما) في عمل اركانات كافة المستويات ، يساعد الضابط في اعداد ابسط الطرق وانشائها واستخدامها في التحضير السريع للمعطيات الكمية الدقيقة والضرورية لاتخاذ القرار .

ويجب على كل ضابط أن يتقن بنفسه طريقة حساب وانشاء الجداول والبيانات والمخططات اللازمة ، خاصة وان اعدادها غير معقد ، ولا يحتاج الى الكثير من القوى والوسائط . لذلك لابد لنا من تبيان الطريقة البسيطة لانشاء واستخدام المخططات البيانية .

تعتبر المقاييس والشبكات الخاصة من العناصر الهامة والضرورية لكل مخطط بياني .

ويتالف المقياس الخاص من خط عادي تحمل عليه من نقطة البداية تقسيمات (مقادير) متساوية مرتبطة ، وتقسيمات أصغر فيما بينها ، على أن تكون مرتبطة ببعضها بعلاقة رياضية معينة . ونذكر مثالا عليها ، المسطرة

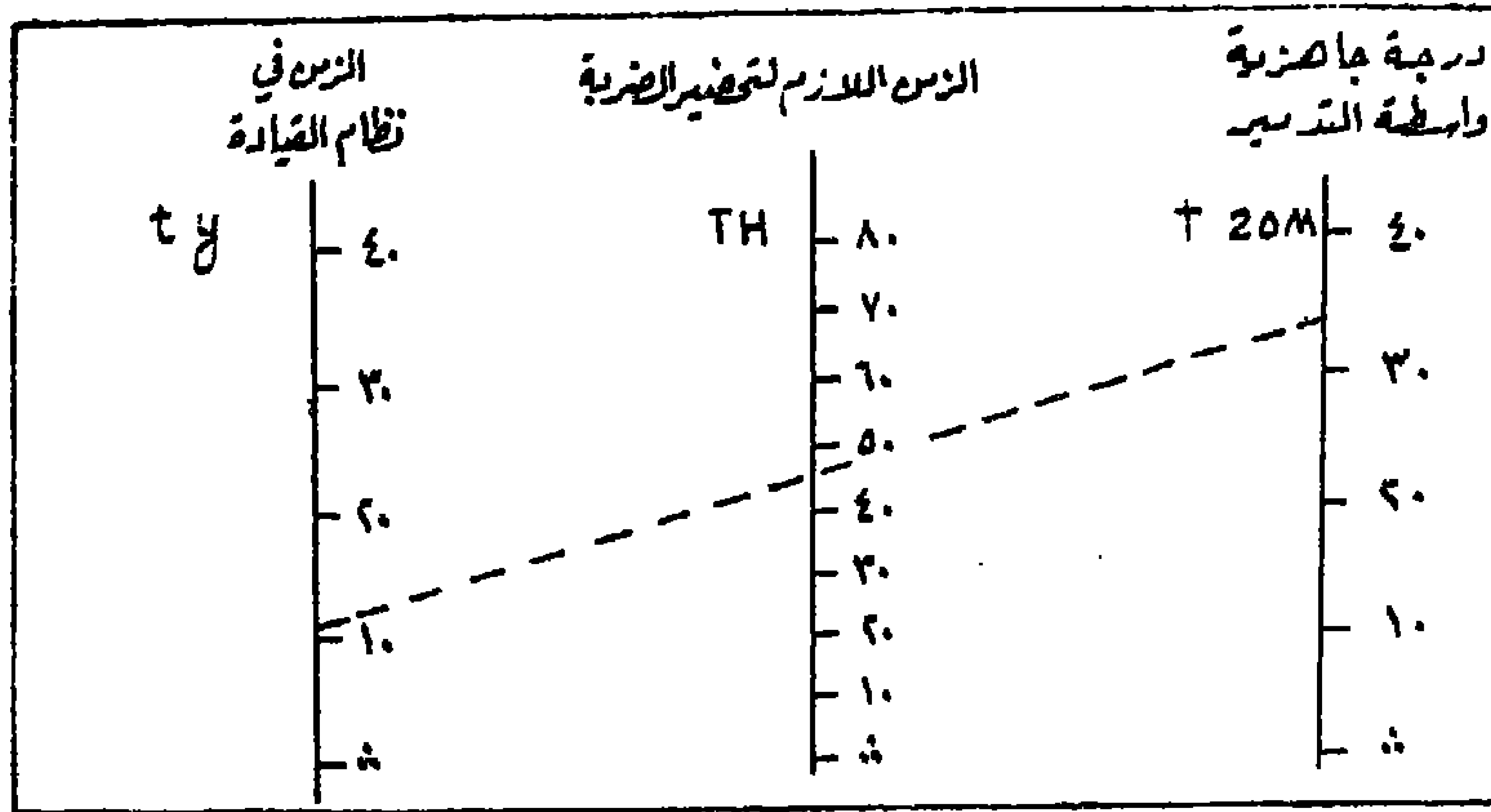
اللفاريتمية ، التي تحمل عليها أعداد مكتوبة ، تمثل من حيث الواقع صيغا لفاريتمية مناسبة ، حيث تسمح هذه الصيغ اللفاريتمية بالحصول على علاقةما، يمكن بما يقابلها من أرقام والحصول بالتالي على الارقام اللازمة .

ان المخططات البيانية (الناموغراما) هي عبارة عن جمع محدد بدقة لمختلف المقاييس الوظيفية ، حيث تكتب عناصر انشاء هذه المقاييس وأماكنها المتبادلة على المخطط البياني الى جانب علاقات رياضية معقدة جدا ، ويعبر عنها بنظام كامل من المعادلات (القوانين) .

وبدهي ان استخدام هذه المعادلات (القوانين) معقد جدا في الموقف القتالي ، ولذلك يسهل أن نستخدم في هذا الموقف المقاييس الوظيفية الجاهزة مسبقا ، والتي تنشأ وفق نماذج بسيطة وقواعد التذكر ، او حتى الانتقاء .

سنوضح ذلك من خلال الامثلة التالية : يوجد في المسائل التكتيكية ــ العملياتية ، مايحتاج الى جمع بضعة مقادير (قيم) متحولة ، وسوف نرى قواعد انشاء المخطط البياني لمثل هذه المسائل في مثال عن تحديد الزمن العام اللازم لتحضير ضربة تنفذ بوسائط التدمير (الشكل ــ ١) ، وحيث أن قواعد انشاء المخططات البيانية (الناموغراما) ذات المقادير المتحولة ، التي يزيد عددها على ثلاثة ، يحتاج الى اهتمام خاص ، وللسهولة نقتصر على ثلاث ميزات عددية فقط ، تكون اثنتان منها أوليتين (تستخدمان في المدخل) والثالثة نهائية (تستخدم في الطرف الثاني) .

ان انشاء المخططات البيانية اللازمة لحل مسألة جمع متحولين يتطلب انشاء خطين مدرجين متوازيين متساويين من حيث الطول والتدريجات ، وعلى مسافة يترك اختيارها للمنشىء ، وخطا ثالثا مدرجا بينهما ، على ان يكون موازيا وبمقياس أصغر بمرتين منهما . يجب ان تكون النقاط الابتدائية الاولى للمدارج الثلاثة واقعة على مستقيم واحد ، وليس من الضروري أن يكون هذا المستقيم عموديا على الخطوط الافقية . ويمكن ان يشكل معها زاوية ما ، ويمكن حتى ان يظهر خارج حدود المخططات البيانية (الناموغراما) كليا :



الشكل رقم ـ ١ ـ

مخطط بياني (ناموغراما) لجمع متحولين

ان استخدام هذا المخطط البياني بسيط جدا ، فلايجاد الزمن العام اللازم لتحضير الضربة . فاننا نضع طرف المسطرة على خط الزمن في نظام القيادة (الموجود في أقصى اليسار) مقابل الرقم الذي يشير الى الزمن اللازم لعمل هذا النظام ، بينما نضع الطرف الآخر لهذه المسطرة ، على خط درجة جاهزية واسطة التدمير ، مقابل رقم درجة الجاهزية ، ثم نقرأ الزمن العام اللازم لتحضير الضربة في نقطة تقاطع المسطرة من الخط الاوسط .

يمكن استخدام هذا المخطط البياني ايضا ، لحل حالات كثيرة واختيار الافضل منها .

يطلق على هذا النموذج تسمية « المخطط البياني ذو الخطوط المدرجة المتوازية » .

تستخدم أيضا ـ بالاضافة الى هذا النموذج من المخططات البيانية ـ نماذج أخرى لاجراء الحسابات التكتيكية ـ العملياتية ، تسمى « المخططات البيانية الشبكية » ، حيث يمكن بواسطتها اجراء اية عمليات حسابية مؤلفة من

الاثة المتحولات (الجمع ، الضرب ، التقسيم) . وفي هذه الحالة يمثل احد المتحولات بخط افقي ، والثاني بخط عمودي ، بينما يتحدد الثالث بطائفة خطوط (رسوم) بينهما ، حيث يمثل كل خط (رسم) منها علاقة متبادلة مع المتحولين الاوليين ، عندما تكون قيمة المتحول الثالث ثابتة . وتمثل جميع الخطوط علاقة متبادلة بالمتحولات الثلاثة ، مشكلة بنفس الوقت مخططا بيانيا شبكيا ، يمكن بواسطة أي عنصرين منه ايجاد العنصر الثالث .

يبين الشكل رقم (٢) مثالا عن احد انواع المخططات البيانية الشبكية ، الذي يعبر عن العلاقة بين قيمتين (عددين) لمناورة القوات كما في المعادلة .

$$Tm = \frac{S}{V}$$

حيث أن Tm ــ هي زمن تنفيذ المناورة (بالساعة) .

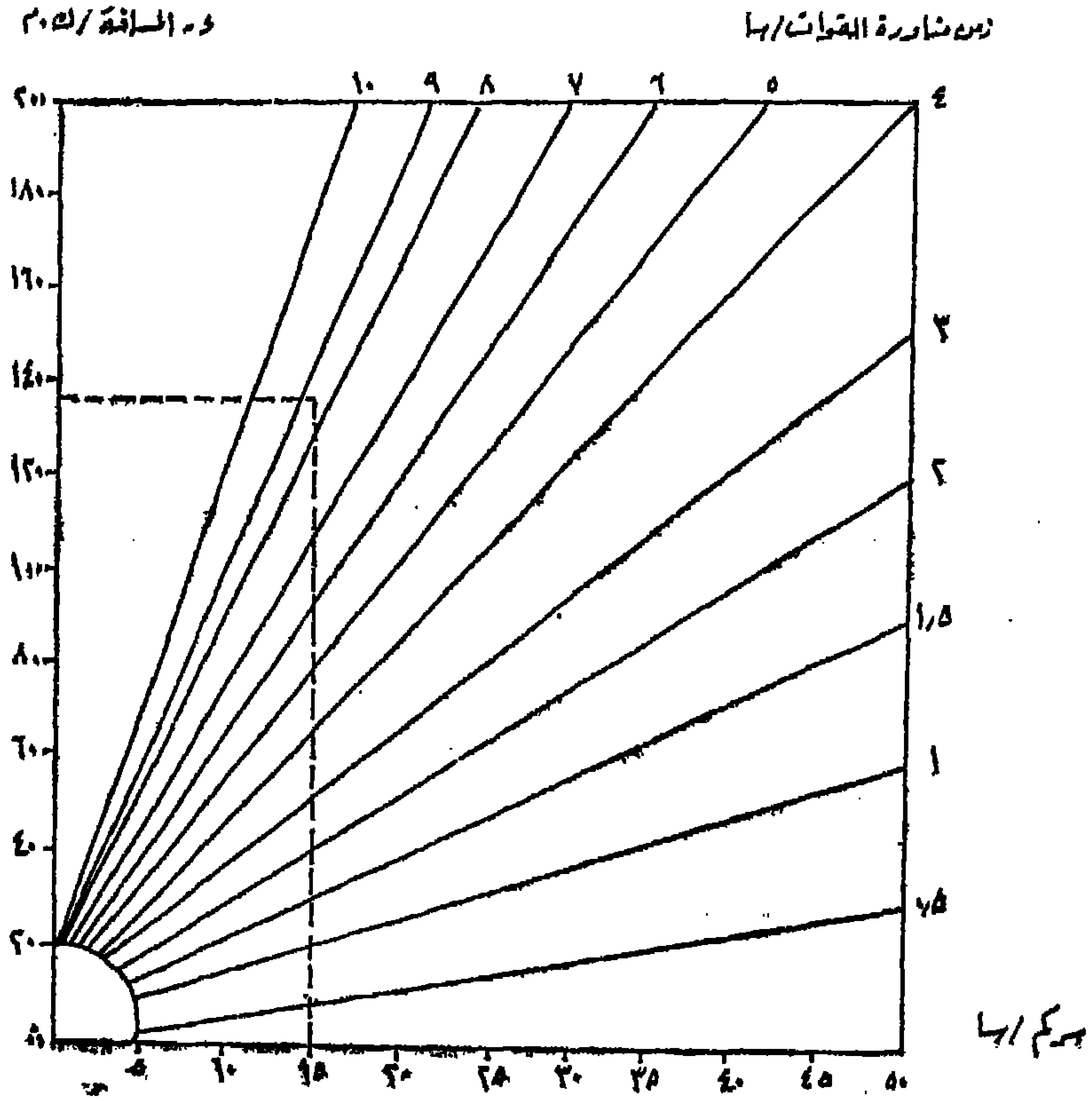
و S ــ هي المسافة التي تنفذ فيها المناورة (ك.م/سا) .

و V ــ هي سرعة التحرك الوسطية (كم/سا) .

لقد قسم المحور الافقي الى عدد من السنتيمترات ، بمقياس سنتيمتر واحد على المخطط لكل خمسة كيلو مترات على الارض ، لتمثيل سرعة التحرك الوسطية للقوات . وحملت على المحور العمودي مسافة المناورة بمقياس سنتيمتر واحد ــ أيضا ــ لكل (٢٠) كم . نعطي قيما متنوعة لزمن المناورة مع الفواصل الزمنية المسموح بها (ترتبط هذه الفواصل بمدى مستوى قيادة القوات ، وبالهدف الذي سيستخدم المخطط البياني الشبكي من أجله) . وهكذا يمكن بواسطة مقدارين (رقمين) للسرعة والمناورة ان نحسب الزمن . ونحمله على المخطط بشكل خط مستقيم (لان العلاقة خطية في هذه الحالة المعطاة) . وبما ان كافة خطوط الزمن تمر عبر بداية مربع واحد ، فانه يكفي وجود نقطة واحدة للانشاء .

ونذكر مثلا ، أنه لتحميل خط مستقيم يتوافق مع ساعتين من التحرك ، يكفي ان نستخدم بداية المربع والنقطة التي تشير الى مسافة (١٠٠ كم) ، وسرعة تحرك تساوي (٥٠ كم) . ثم تنشأ الخطوط المستقيمة الاخرى لازمنة المناورة : ٥و٠ و ٥و١ و ٣ و ٤ و ....و١٠ ساعات . ويمكن بواسطة هذا

النوع من المخططات البيانية الشبكية ؛ ان يحدد زمن المناورة ؛ بالاضافة الى اية مسائل اخرى ترتبط فيما بينها بثلاثة متحولات .



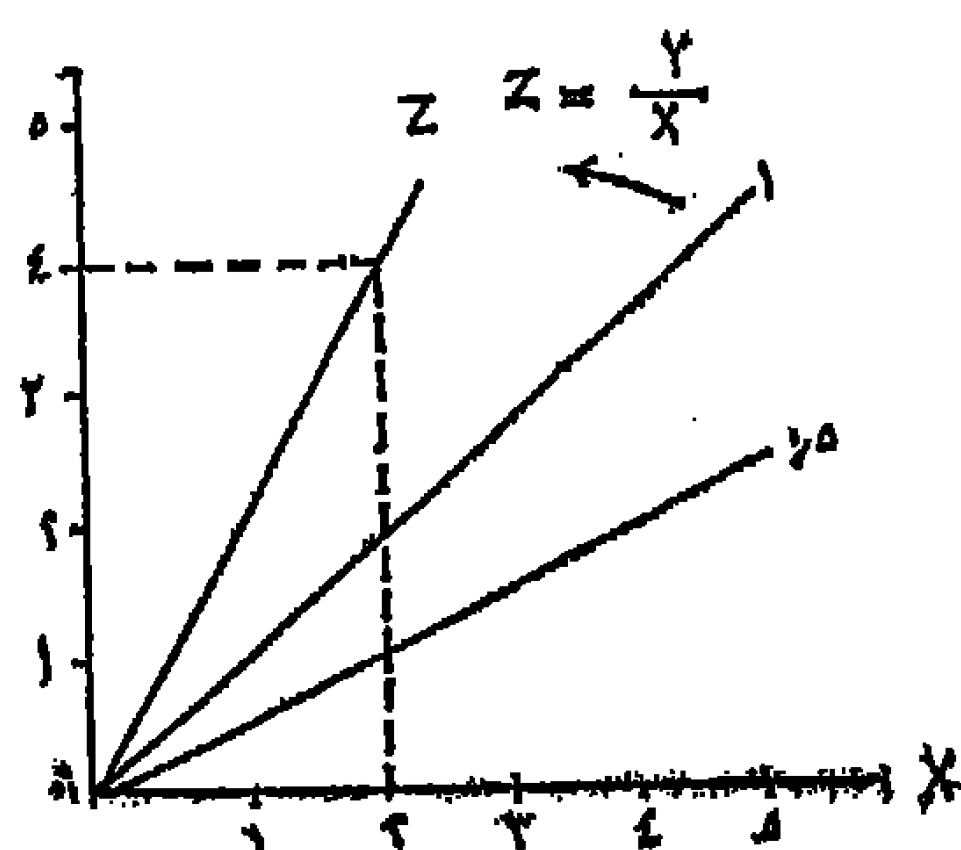
الشكل رقم – ٢ –

مخطط بياني شبكي للتقسيم

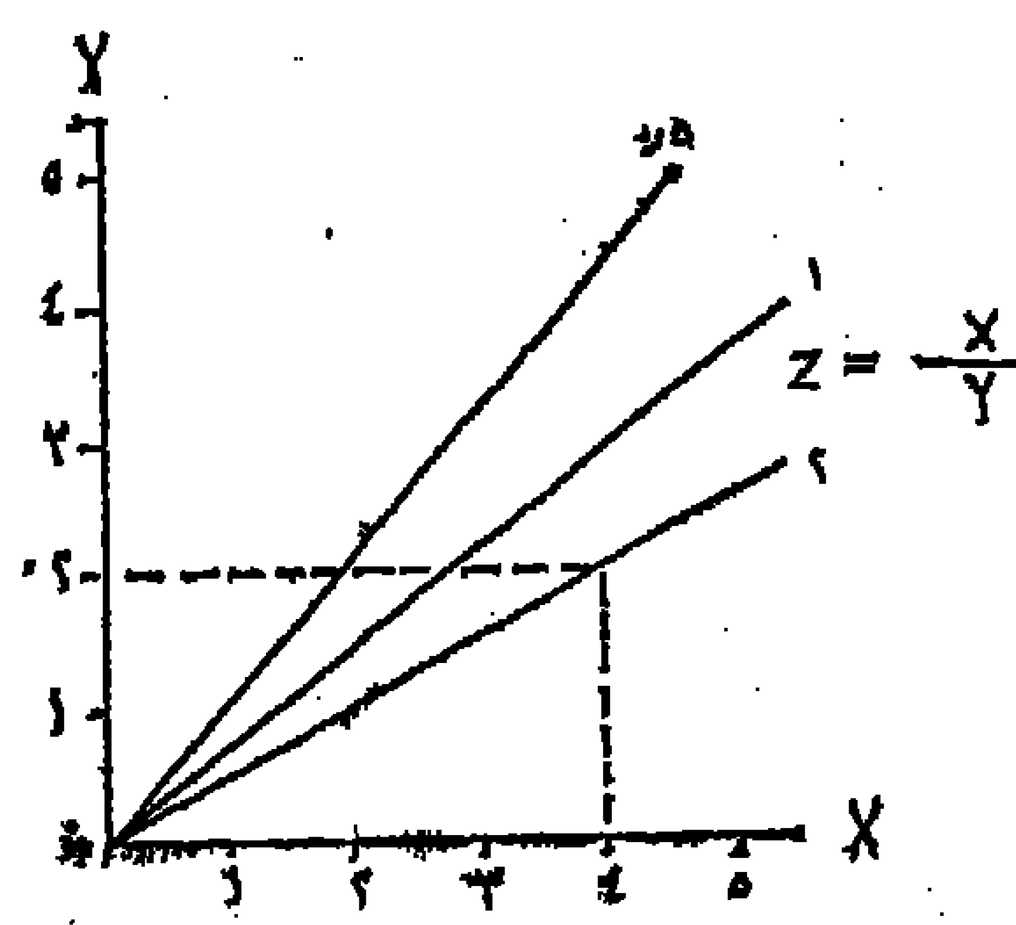
يسمى المخطط البياني الشبكي الآنف الذكر احيانا بالمخطط البياني « الشعاعي » ، ويمكن اعطاء قواعد عامة لانشاء واستخدام مخططات بيانية

أخرى مماثلة حسب الحاجة ، لضرب أو تقسيم قيم المقادير المتحولة . وتنتظم هذه القواعد كما في (الشكل رقم ٣) . فاذا كلفنا بانشاء مخطط بياني لضرب العلاقة التالية :

Y=X.Z بالمقياس الذي ننتقيه (X) عندئذ تضع المقادير المحتملة لـ على محور أفقي ، ونضع مقادير (Y) علـى محور عمودي . تعطـى قيمة ما متحولة Z مثلا Z = 0,5 وتحمل نقطـة في مقابل اكبر احـد مقادير مثلا (X=4) باحداثياتها (X) ، (Y) حيث (Y = 4×0,5 = Z)



آ



ب

الشكل رقم ـ ٣ ـ

قواعد انشاء واستخدام المخططات البيانية ل :

آ ـ ضرب (X) في (Z) ، (سهم الارتفاع وسهم حل المسالة باتجاه واحد) .

ب ـ تقسيم (X) على (Z) ، (سهم الارتفاع (Z) وسهم المسالة يسيران باتجاهين متعاكسين) .

نمدد خطا مستقيما من بداية المربع الى هذه النقطة ، ثم نكتب مقـدار = ٥و٠ ، وبنفس الطريقة نحمل الخطوط المستقيمة الاخرى لكافة مقادير الضرورية .

ينشأ المخطط البياني الخاص بالتقسيم بنفس الطريقة ، حيث تحمـل النقطة على الرسم لانشاء خط (Z) بواسطة الاحداثيات $(X , Y = \frac{X}{Z})$.
وللحيلولة دون حدوث الخطأ في الارقام الناتجة عن المخطط ، يفضل التقيـد بالقاعدة التالية : اذا كان محور التفتيش عن حل المسألة يتطابق مع اتجاه تزايد مقادير (Z) ، فيجب ان ينفذ الضرب والا فالتقسيم .

لقد بحثنا حتى الآن المخططات البيانية ، التي ترتبط فيما بينها حسـب قوانين معينة ومؤلفة من متحولين أو ثلاثة . ولكن قد نضطر في التطبيق العملي للحسابات التكتيكية ـ العملياتية ، لمراعاة تأثير عدد أكبر مـن شروط الموقف القتالي ، وبالتالي لانشاء واستخدام مخططات بيانية تتألف مـن عناصر يزيد عددها على الثلاثة ، وتكون هذه المخططات عادة مركبة .

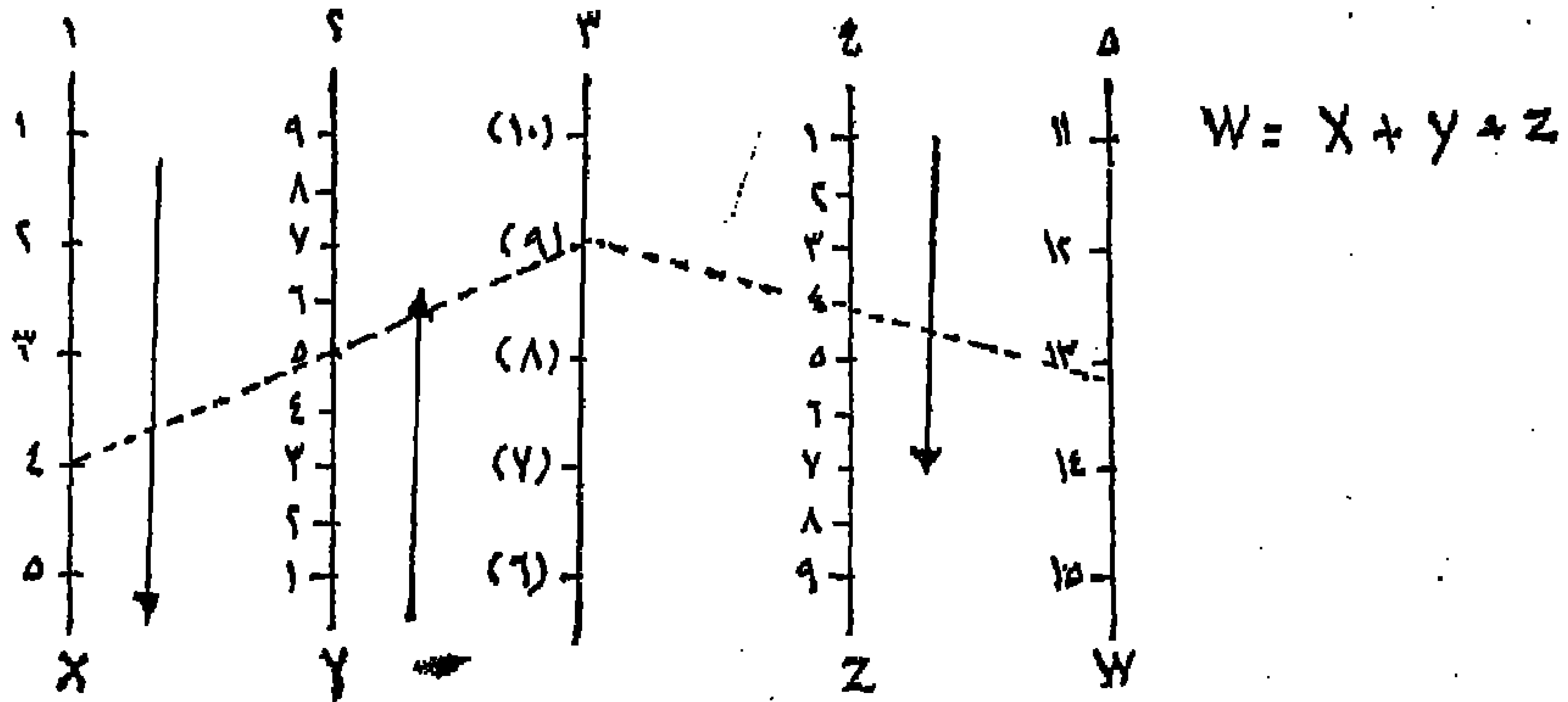
لنر الآن قواعد انشاء هذه المخططات البيانية المركبة .

لدى استخدام المخططات البيانية ذات الخطوط المدرجة المتوازية ، فاننا نحل المسائل ذات المتحولات الكثيرة بواسطة خطوط مدرجة وسيطة .

يبين الشكل (٤) مثالا عن انشاء مخطط بياني مركب للجمع ، حيـث يمكن بواسطته جمع عدة خطوط مدرجة (الاول والثاني والرابع مثلا) ثم ايجاد مجموع قيمها على الخط المدرج الخامس . ويستخـدم الخط المدرج الثـالث كخط وسيط ليثبت عليه حاصل جمع أرقام الخطين الاول والثاني . وبعد ان يتم انشاء المخطط البياني ، تلغى الاعداد عـن الخط الوسيط . أما مقيـاس الخطوط وترتيب تزايد الارقام عليها ، فيتم تحديدها (بالانتقاء) وتبعا لطبيعة المسائل المراد حلها ، بالرغم من وجود أساس رياضي دقيق للخواص العدديـة لهذه الخطوط .

يمكن بواسطة مثل هذا المخطط البياني حل مسائل لاتتعلق بالجمع فقط،

بل وبالطرح ايضا ، وكذلك بالضرب والتقسيم مع أستخدام الخطوط المدرجة اللوغاريتمية . ويمكن زيادة عدد العناصر المتحولة بشكل غير محدود ، باضافة خطوط مدرجة وسيطة .



الشكل رقم ـ ٤ ـ

مخطط انشاء واستخدام مخطط بياني مركب ذي خطوط مدرجة متوازية

يفضل تعميم خبرة انشاء المخططات البيانية المركبة ، ذات الخطوط المدرجة المتوازية مع قواعد انشائها واستخدامها . وهكذا فلإجراء الجمع أو الطرح (أو الضرب أو التقسيم لدى وجود خطوط اوغاريتمية) لعدة مقادير متحولة ، ينشأ عدد من الخطوط يساوي (ℓ -ZN) حيث تدل (N) على المقادير المتحولة . فاذا كانت هذه المقادير أربعة ، دعت الحاجة الى انشاء (٢ × ٤ ـ ١) أي سبعة خطوط مدرجة .

يؤخذ مقياس موحد لجميع الخطوط المفردة ، ويكون مقياس الخطوط الزوجية أقل بمرتين من الخطوط المفردة . يجب ان يسير مقدار التزايد على الخطوط المفردة (الوترية) دائما باتجاهات متعاكسة ، فاذا كان العدد على

الخط الاول يتزايد من الاعلى الى الاسفل ، فيجب ان يتزايد هذا العدد على الخط الثالث من الاسفل الى الاعلى ، وعلى الخط الخامس من الاعلى الى الاسفل وهكذا . . . ، أما اتجاه تزايد الاعداد على الخطوط الزوجية الثاني والرابع . .، فانه يرتبط بطبيعة الاعمال المنفذة . وفي حالة الجمع التسلسلي أو الضرب التسلسلي للاعداد ، يكون اتجاه تزايد المقادير على الخط الزوجي معاكسا لاتجاه الخط المفرد السابق . أما عند طرح أو تقسيم الاعداد ، فان اتجاه الخط المفرد والخط الزوجي السابق يجب أن يتطابقا .

يجب أن تقع بدايات كل زوج من الخطوط المفردة المتجاورة والخط الزوجي الواقع بينهما على خط مستقيم واحد . وهكذا يجب ان تقع بداية الخطوط الاول والثاني والثالث على خط مستقيم واحد ، وبداية الخطوط الثالث والرابع والخامس على خط مستقيم آخر . وعموما فان بداية الخطوط يسهل تسويتها عمليا ، بانتقاء الامثلة الاولية التي تحل ذهنيا .

توجد انواع أخرى من المخططات البيانية المركبة غير المتوازية الخطوط ، وتطلق عليها تسمية المخططات البيانية الشبكية . ينشأ هذا النوع من المخططات البيانية أيضا بواسطة خط مدرج وسيط ، كما في المخططات البيانية المركبة ، ذات الخطوط المدرجة المتوازية ، حيث يعتبر في الحالة البسيطة مؤلفا من مخططين شبكيين عاديين ، لهما خط مدرج وسيط عام ، يعتبر بدوره نهاية لاحد المخططين ، وبنفس الوقت بداية للمخطط البياني الآخر .

سنرى كيفية انشاء واستخدام المخطط البياني الشبكي المركب عبر مثال واقعي .

لنفرض اننا بحاجة الى انشاء مخطط بياني لتحديد زمن عبور أرتال القوات لخط البدء ، ولجسر وممر في منحدر الخ . بحيث يتحدد هذا الزمن وفق العلاقة التالية :

$$t = \frac{N(j + \ell)}{V}$$

حيث : (t) هي زمن عبور الرتل للنقطة المحددة .

N و هي عدد وسائط النقل (العربات مثلا) في الرتل .

j و هي المسافة الفاصلة بين العربات .

V و ـ هي سرعة التحرك الوسطية للرتل .

ℓ ـ هي طول واسطة النقل (العربة) .

اذا اخذنا طول واسطة النقل ثابتا (سبعة امتار مثلا) ، فانه يلزمنا انشاء مخطط بياني لاربعة متحولات . وبادخالنا لمتحول آخر اضافي هي ℓ ـ أي الطول العام للرتل ، يصبح معادلتان عوضا عن معادلة واحدة ، حيث يوجد ثلاثة متحولات في كل منها :

$$\ell = N (j + \ell) \;\; ; t = \frac{\ell}{V}$$

يمكن انشاء مخطط شبكي (شعاعي) لكل من هاتين المعادلتين حسب القواعد المبينة في الشكل رقم (٣) .

ولما كان أحد المتحولات ℓ عاما للجميع ، فانه يمكن توحيد هذه المخططات بحيث يتبع المحور ℓ بآن واحد ـ لكلا المخططين . ولتحقيق ذلك ، يجب ان نأخذ مقياسا واحدا فقط للخط المدرج ℓ في كلا المخططين . يتم الانشاء كما يلي (انظر الشكل ٥) :

نمدد محورا أفقيا على ورقة ما (يفضل أن تكون ميليمترية) ، ثم نرسم خطا عموديا من منتصف المحور الافقي الذي يشكل بدوره محورا عموديا عاما للمخططات البيانية الواقعة على طرفيه من اليمين واليسار . تؤخذ نقطة تقاطع المحور العمودي مع المحور الافقي كنقطة عامة لاحداثي المخطط البياني الشبكي . ثم نمدد من هذه النقطة وباتجاه اليمين (على المحور الافقي) الخط بمقياس ($\frac{\text{١ سم}}{\text{٢٠ عربة}}$) كما نمدد من هذا المركز وباتجاه معاكس (على نفس المحور

الافقي) الخط (t) بمقياس ($\frac{\text{١ سم}}{\text{١٠ دقيقة}}$) ونحمل على المحور العمودي

الخط ℓ بمقياس ($\frac{\text{١ سم}}{\text{١ كم}}$) .

ننشىء على يمين المحور العمودي مخططا بيانيا للضرب حسب الوظيفة $l = N(j+\ell)$ ، ثم نعطي قيما خاصة لكل من (N و j) عندما تكون ℓ ثابتة . ونذكر على سبيل المثال ، ان ℓ تساوي (٢ر٣ كم) اذا كانت (N) مساوية (١٠٠ عربة) و (j) تساوي (٢٥ مترا) . اي :

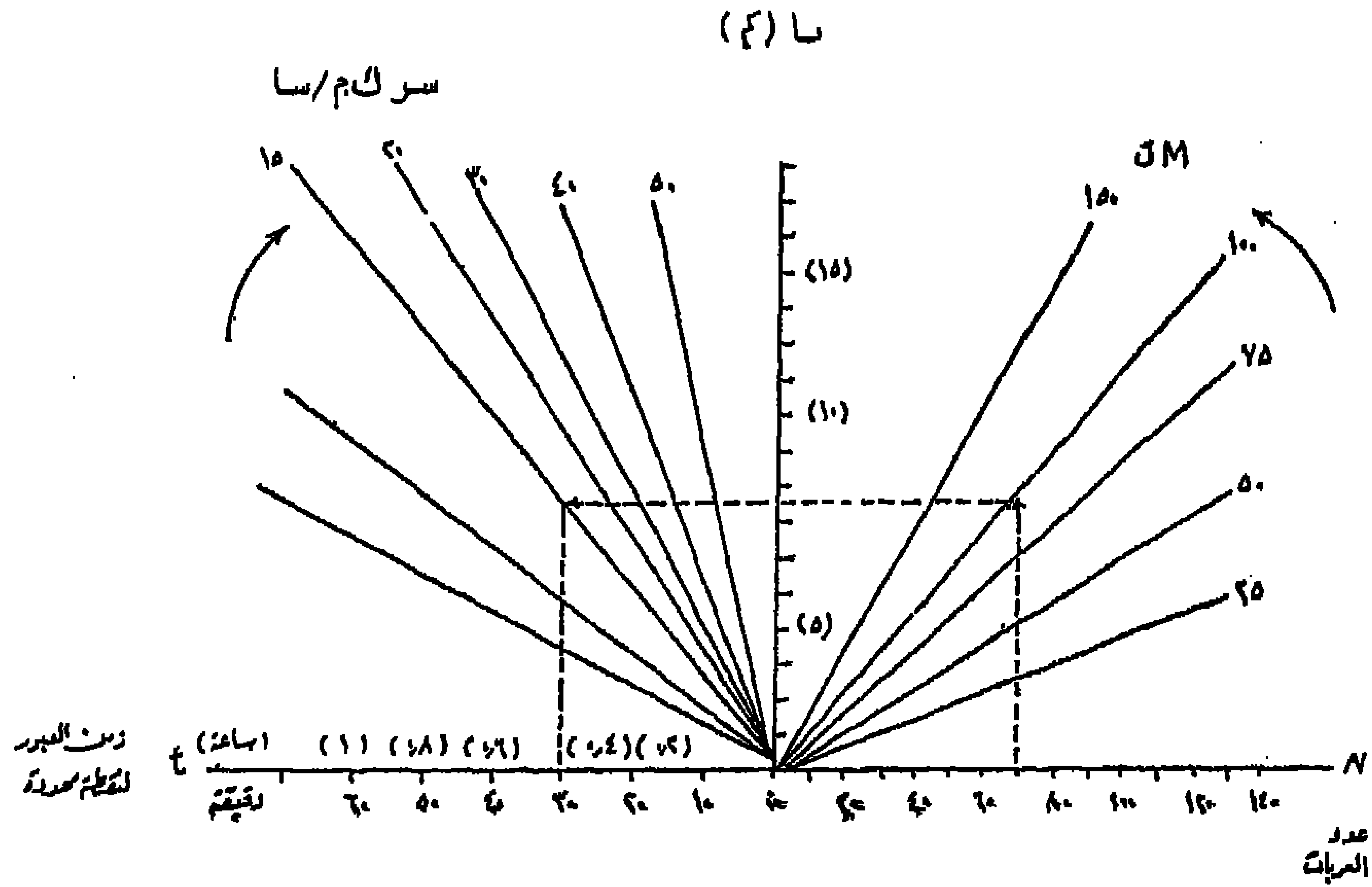
ℓ = ١٠٠ × (٢٥ + ٧) = ٢و٣ كم .

نحمل نقطة حسب الاحداثيات : (N) = ١٠٠ عربة ℓ = ٢ر٣ كم . ثم نمدد خطا مستقيما من بداية المربع الى هذه النقطة ، ونكتب عليه الرقم(٢٥). نستطيع الآن باستخدام هذا المستقيم كخط بياني ان نحدد ــ حسب عدد العربات (N)ــ طول الرتل ، اذا كانت المسافة الفاصلة تساوي ٢٥ مترا بين العربة والاخرى . ويحسب أثناء ذلك وبشكل آلي مجموع أطوال وسائط النقل نفسها . ثم ننشىء بنفس الطريقة خطوطا بيانية للقيم المحتملة الاخرى ، للمسافات الفاصلة بين العربات .

ننشىء الى يسار المحور العمودي مخططا بيانيا للتقسيم ، حسبالوظيفة (المعادلة)) $(t=\frac{\ell}{V})$ ، ثم نعطي قيما متنوعة للسرعة V، ولسهولة العمل ، نحمل الوقت على المحور الافقي بالدقائق والساعات .

لاتختلف قواعد أستخدام المخططات البيانية العادية ، والمخططات البيانية المركبة ــ الشبكية عن بعضها . ونذكر مثلا ، انه لتحديد زمن ممر جبلي لرتل من العربات ــ مؤلف من سبعين عربة ، يتحرك بسرعة ١٥ كم/سا ، وبفاصل (مسافة) ١٠٠ م بين العربة والاخرى ــ يكفي ان نرفع من الرقم ٧٠ (عدد العربات) الموجود على الخط المدرج N في (الشكل رقم ٥) ، ثم نحدد نقطة تقاطعه مع الخط المائل الموافق للفاصل البالغ (١٠٠) متر . ثم نحدد على هذا

المستوى خطا مستقيما موازيا للمحور الافقي ، حتى يلتقي مع المستقيم المائل الذي يطابق سرعة التحرك البالغة ١٥ كم/سا . ثم نسقط منه خطا عموديا الى الاسفل ، على الخط المدرج (t) ونقرأ الزمن المطلوب الذي هو ٣٠ دقيقة. فاذا اردنا حساب طول الرتل ، فيمكننا ان نفعل ذلك على الخط المدرج الوسيط .

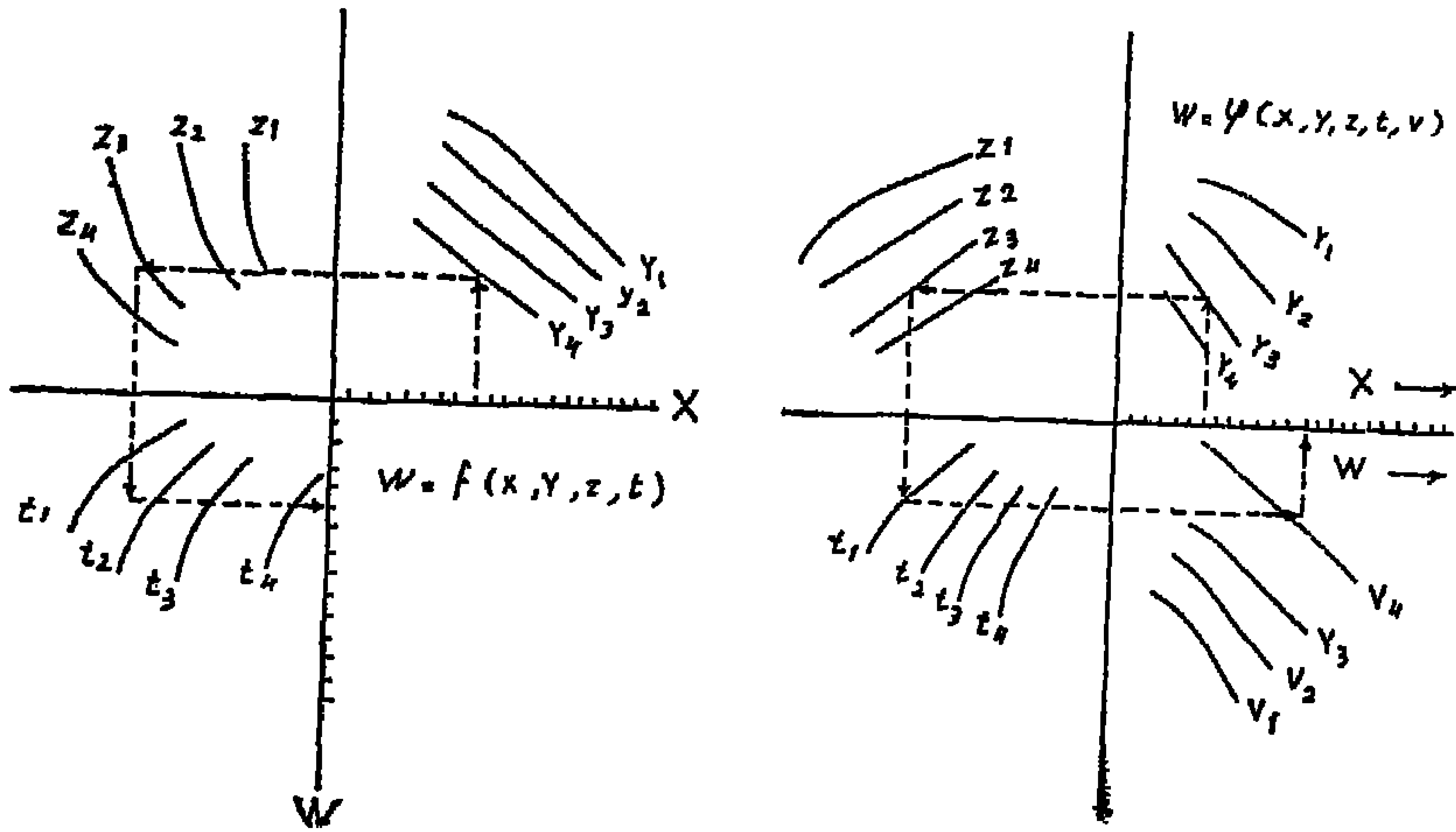


الشكل رقم ــ ٥ ــ

مخطط بياني شبكي مركب لاجراء حسابات المسير

يمكن استنادا للمتحولات المذكورة في المخطط البياني ــ الشبكي ــ المركب، الآنف الذكر ، ان نجري حسابات اخرى متعلقة بالمسير . فنعمل مثلا في اتجاه معاكس للمثال المعطى سابقا ، لتحديد عدد العربات (الدبابات ، المدافع)، التي يمكن أن تعبر جسرا (ممرا ضيقا) خلال مدة زمنية محددة ، اذا كانت المسافة الفاصلة بين العربة والاخرى معلومة ، واذا كانت سرعة التحرك محددة أيضا.

يمكن أيضا وبواسطة المخططات البيانية ، حل مسائل وحسابات تكتيكية ــ عملياتية اذا احتوت هذه المخططات على عدد كبير من المقادير المتحولة ، كما في (الشكل ٦) ، بحيث تقوم محاور الاحداثيات المتلاصقة ، مقام الخطوط المدرجة الوسيطة .



الشكل رقم ـ ٦ ـ

مخططات بيانية شبكية مركبة لحل مسائل

مؤلفة من خمسة أو ستة متحولات

وعموما فانه يمكن انشاء المخططات البيانية المركبة ، ليس فقط من عناصر موحدة النموذج ، بل ويمكن أيضا انشاء مخطط بياني شبكي مركب ، من مخطط بياني شبكي ومخطط بياني متوازي الخطوط المدرجة ، أو من عدة نماذج لهذا أو ذاك النوع من المخططات البيانية ، بيد ان الشرط الحتمي الواجب توفره في هذا المجال هو وحدة القياس في انشاء الخطوط الوسيطة للمخططات البيانية المتلاصقة .

يمكننا ان نستخدم الطريقة الآنفة الذكر ، لكي ننشيء مخططا بيانيا نستطيع بواسطته حل عدد كبير من المسائل المتعلقة بالنشاط الذهني القائد .

يمكن استخدام المخططات البيانية فياي مجال مرتبط بالحسابات التكتيكية ـ العملياتية . وتدل الخبرة العملية ، انه يجب على الضباط من مختلف المستويات ان يتقنوا استخدام هذه المخططات البيانية بمختلف انواعها. ولذلك يجب أن تتوفر الثقة في ضرورة وفعالية الوسائط الحسابية البسيطة ، وفي معرفة طرق تحضيرها واستخدامها . ومن المهم ايضا ان تعد الاسس العسكرية للمخططات البيانية ـ اعتمادا على الاتجاه العلمي للرياضيات وعلى مايتوفر من هذه المخططات ـ بغية استخدامها كاداة مباشرة لصالح التكتيك وفق العمليات.

ان معرفة اسس العمل بالمخططات البيانية لاتساعد الضابط في انشاء مخططات بيانية جديدة فحسب ، بل وتجعله قادرا على استخدام المتوفر منها، والذي تم اعداده في المستويات الاعلى .

وان الزمن المستهلك لاعداد وانشاء المخططات البيانية أثناء الاعداد للاعمال القتالية ، يعوض باختصار الوقت العام اللازم لهذا الاعداد . وبالتالي فان ربح الوقت يكون الى جانبنا في شروط المعركة الحديثة ، التي تتميز بسرعة مرور الزمن فيها ، علما أنه يصعب اختصار زمن الحسابات التكتيكية ـ العملياتيةفي المعركة ، وتحقيق السبق على العدو معا ، وبالتالي فلا يجوز عدم الاخذ بهذه المخططات ، حتى وان بدا العمل بها صعبا وطويلا .

وعموما يجب التحذير من ان استخدام المخططات البيانية ، ووضعها يشكل لايتلاءم مع شروط العمل الميداني ـ وخاصة عندما يمكن اجراءالحسابات بدونها ـ يعتبر تصرفا لامبرر له .

وبالاضافة الى ذلك يجب تحديث المخططات كلما دعت الحاجة واتلاف القديم منها ، الامر الذي يتطلب معرفة طرق انشائها .

وهنا لابد من طرح السؤال التالي : هل توجد ضرورة لاعداد المخططات البيانية في حال توفر الآلات الحاسبة الالكترونية ؟

وللاجابة على هذا السؤال نقول :

أولا — ان وجود الآلات الحاسبة الالكترونية لايتعارض مع المخططات البيانية ، لان كلا منهما يكمل الآخر . ويمكن اجراء العديد من الحسابات التكتيكية — العملياتية بواسطة الآلات الحاسبة الالكترونية أولا ، ثم تستثمر نتائجها لانشاء مخططات بيانية تستخدم في الاعمال القتالية .

ثانيا — يجب وجود مجموعة من المخططات البيانية في الاركانات المجهزة بآلة حاسبة الكترونية ، وذلك لاجراء بعض الحسابات التكتيكية — العملياتية البسيطة عند تعطل هذه الآلة الحاسبة الالكترونية . وعلاوة على ذلك فقد تدعو الضرورة أثناء خوض الاعمال القتالية ، الى وجوب انشاء مخططات بيانية لمعالجة مهام طارئة غير متوقعة من قبل ، او غير مبرمجة سابقا ، الامر الذي يؤكد مدى الحاجة الى وجود المخططات البيانية حتى مع وجود الآلات الحاسبة الالكترونية في القوات .

لابد من الاخذ بعين الاعتبار ان دراسة أسس علم التخطيط البياني العسكري ، كأحد اشكال استخدام الطرق الرياضية في أبحاث التكتيك وفق العمليات ، سيؤدي الى زيادة سرعة عمل القادة والاركانات وصقل ثقافتهم العامة والعسكرية ، وبالتالي تلعب دورا ايجابيا في تامين نجاح الاعمال القتالية.

ان معرفة قواعد انشاء واستخدام المخططات البيانية اللازمة لاجراء الحسابات التكتيكية — العملياتية ، تعتبر ضرورية لسببين اثنين هما :

الاول — اهمية وبساطة وسهولة المعطيات التي يمكن الحصول عليها ، بواسطة المخططات البيانية في النشاط الذهني للقائد .

الثاني — عدم وجود مراجع ثقافية عسكرية تساعد على انشاء المخططات البيانية ، أو تقدم المعطيات المفيدة في مجال الحسابات والمعلومات اللازمة

للنشاط الذهني للقائد المشترك في المستوى التكتيكي للقيادة . وبالتالي فان كل قائد فصيلة أو سرية أو كتيبة او ضابط أركان ، سيجد نفسه مضطرا لانشاء المخططات البيانية الضرورية لتنفيذ الواجبات الوظيفية في الشروط الواقعية الراهنة للموقف .

واذا انتقلنا الى الكلام عما هو أكثر صعوبة ، ولا يمكن الحصول عليه بسهولة ، ويكون بنفس الوقت ضروريا للاستخدام المباشرة من قبل القائد في المستوى التكتيكي ، وهاما جدا لرفع القدرة في تعليل القرارات المتخذة أثناء النشاط الذهني لهذا القائد ، فلا بد لنا ان نتذكر الاساليب واجهزة الرياضيات لنظرية البحث في العمليات .

* * *

ثالثا ـ بحث العمليات كأداة قوية في التحليل الكمي للقرارات

يفهم من بحث العمليات ، بأنه النظرية التي تعتمد على البحث والوصف الرياضي للعمليات الهادفة ، ذات القوانين الموضوعية في النشاط الانساني ، ومع مراعاة الشروط التي تتم فيها هذه العمليات ، وتساعد بالتالي في الحصول على الاسس (التوصيات) الكمية اللازمة لاتخاذ القرارات المنطقية المتعلقة بقيادة هذه العمليات . وهكذا فان مادة نظرية بحث العمليات هي : التحليل الشامل لظواهر وعمليات النشاط الانساني ، وكشف قوانينه واسسه . أما هدف هذه النظرية فيتمثل بالحصول ـ استنادا الى هذا التحليل ـ على الاسس الكمية اللازمة لاتخاذ القرارات .

يمكن لنظرية بحث العمليات ان تستخدم في عملية التحليل بعض المواد الرياضية المساعدة ، كالرياضيات والتحليل الرياضي ، ونظرية الاحتمالات ، ونظرية اللعب (جمع لعبة) ، ونظرية القرارات الاحصائية ، والاحصاء الرياضي، وطرق البرمجة الخطية وغير الخطية ، والديناميكية ، ونظرية الخدمة الشاملة وغيرها .

وعموما فان بحث العمليات ، ليس قسما من الرياضيات أو مجموعة من الموضوعات الرياضية ، ولكنه نظرية علمية تستخدم فيها الرياضية على نطاق واسع . ولا يمكن مقارنتها بالرياضيات كما هو الحال في الفيزياء النووية وعلم الطيران ، بالرغم من أن وجودها ليس ممكنا بدون الاستخدام الكبير وعلى نطاق واسع للاجهزة الرياضية فيها .

تعتبر الرياضيات علما يدرس العلاقات الكمية والاشكال الهندسية للعالم الحقيقي ، الذي توضع قوانينه وقواعده على أساس المضمون الحقيقي لهذه

الاشكال . وهكذا يمكن تعريف الرياضيات بأنها : علم تجريدي يدرس ـ كما هو الامر في نظرية البحث في العمليات ـ المجالات الحقيقية للنشاط الانساني . ولعل الصراع المسلح يشكل أحد أهم هذه المجالات .

وهكذا تصبح قوانين العلم العسكري عن الصراع المسلح ، اسسا للنشاط العملي الانساني ، وقواعد للقيادة العملياتية للاعمال القتالية للقوات . وبغية معرفة هذه القوانين الموضوعية ، وابتداع قواعد جديدة على أساسها ، يجب أن نعرف بشكل ماهر جدا ، طرق وأساليب البحث العلمي ، وكل ماتحتويه ترسانة وسائط الادراك الحديثة وطرق التحليل التجريبية والنظرية.

لذا فان استخدام نظرية البحث في العمليات ، باعتبارها كاحدى أدوات البحث العلمي في العمل العسكري ، يكمن في كشف الوصف الرياضي والحصول على مقترحات أو توصيات أو (اسس كمية لتعليل هذه التوصيات) كمية للاستخدام الموضوعي لقوانين الصراع المسلح .

يمكن اظهار استخدام نظرية بحث العمليات واستخدام التقديرات الكمية للظواهر النوعية ، في مثال لحل مسألة التوزيع النموذجي لوسائط تدمير الاهداف المعادية ، أي (توزيع الاهداف) . ولحل هذه المسألة يجب ان تتوفر المعطيات الاولية الضرورية التي يوجب وجودها استخدام الخواص الكمية للظواهر النوعية . وهكذا فان دقة تحديد مكان وجود كل غرض معاد ، تتحدد بواسطة القيم الوسطية لاخطاء عمل وسائط (أجهزة) الاستطلاع المناسبة .

وان امكانية تبديل الفرض المكتشف لمكان وجوده حتى لحظة تنفيذ ضربتنا عليه ، تقاس بقيمة احتمال بقائه في مكانه خلال مدة زمنية محددة . تعتمد جاهزية وسائط التدمير الموجودة لدينا ، والمعدة لتوجيه الضربة ، على احتمال عدم تدميرها من قبل العدو حتى اللحظة الراهنة الخ . ومع تلقي (استلام) الخواص الكمية للظواهر النوعية للمسألة التكتيكية ـ العملياتية المبحوثة ، يصبح اجراء العمل الرياضي ممكنا ، حيث يستخدم جهاز رياضيات معقد (طرق البرمجة الخطية وغيرها) ، كما تستخدم لنفس الفرض الآلات الحاسبة الالكترونية .

غير ان اتجاه الابحاث الكمية ينظم أيضا وفق متطلبات محددة ومنتقاة او نوعية ، ويعبر عنها بشكل كمي أيضا .

يتمثل المطلب الاساسي لمسألة توزيع الاهداف ، في تحقيق أكبر فعالية في توزيع وسائط التدمير . وبنفس الوقت ، يمكن ان يتم التعبير عن الفعالية أيضا ، بواسطة مجموعة أخرى من المتطلبات النوعية ، التي يطلق عليها تسمية « العوامل » التي يمكن ان تكون بدورها كما يلي : الحاق اقصى الخسائر بالعدو ، وتدمير أكبر عدد ممكن من أهداف العدو المكتشفة ، واحداث أكبر تدمير ممكن في الاهداف الهامة والخطرة المعادية ، وتدمير العدو باستهلاك اقل مايمكن من الذخيرة الخ .

وعندما يتم ـ حسب وجهة النظر التكتيكية ـ العملياتية ـ انتقاء افضل الشروط لاحد هذه العوامل في الموقف الراهن ، فيجب قبل البدء في حل المسألة المطروحة ، ان يعبر عن هذا العامل كميا . وذلك لان المطلب لانزال اقصى الخسائر بالعدو ، يعبر عنه بحاصل جمع التوقعات الرياضية للمساحة المراد تدميرها من كل هدف . أما عامل التدمير لاكبر عدد ممكن من اهداف العدو المكتشفة ، فيتم التعبير عنه بواسطة التوقع الرياضي لعدد الاهداف المدمرةالخ.

ان هذه المتطلبات النوعية ، المعبر عنها كميا ، تصبح نفسها عوامل الفعالية وتحدد بالتالي مجرى ونتيجة القرار (الحل) الكمي للمسألة التكتيكية ـ العملياتية المطروحة . أما نتيجة حل المسألة ، فانها تعبر كميا عن تنفيذ المتطلبات النوعية الموضوعة ، وتعطي القيادة توصيات (مقترحات) كمية عن اتخاذ القرارات (الحلول) النوعية ، كتحديد المهام التكتيكية ـ العملياتية والمهام النارية لوسائط التدمير الموجودة تحت تصرفنا ، بغية تأمين نجاح الاعمال القتالية .

وهكذا فانه لابد لدى استخدام نظرية البحث في العمليات ، بهدف الحصول على اسس كمية لاتخاذ القرارات عن قيادة العمليات الهادفة ـ وحيث تستخدم كافة قدرات أجهزة الرياضيات والاعتدة الحاسبة الحديثة ـ من الاخذ

بعين الاعتبار لكون الظواهر والعمليات موضوع البحث محددة نوعيا،ولضرورة التعبير عنها بخواص كمية .

لقد اشار احد الباحثين السوفييت المختصين في فن العمليات ، وهو :
« ن . ك . تراندافيلوف » الى ضرورة التعليل الكمي للقرارات المتخذة ، معتبرا ان عامل الفعالية يشكل المفهوم الاساسي للتعبير عن نظرية البحث في العمليات ، ويظل أداة هامة في النشاط الذهني للقائد .

ولمقارنة حالات القرار فيما بينها واختيار أفضلها ، يجب تقديرها حسب فعاليتها .

وطالما أن الحديث يتناول الاعمال الهادفة ، فانه يفهم من فعالية العملية مايتعلق بدرجة ملاءمتها لتنفيذ المهمة. وعلى سبيل المثال، فكلما كانت فعالية الاعمال القتالية الهادفة الى تدمير العدو عالية ، كلما كانت درجة تدمير هذا العدو أكبر، وبالتالي كلما تحقق هذا التدمير بأقل الخسائر في قواتنا .

وللحكم على الفعالية المطلقة لاستخدام الوسائط القتالية ، او على الفعالية النسبية لمختلف حالات القرارات واستخدامها في المعركة والعملية ، فاننا نستخدم مؤشرات كمية تطلق عليها تسمية عوامل الفعالية .

يفهم من عامل الفعالية : أنه مؤشر عددي يتم بواسطته تقدير مختلف حالات القرارات وانتقاء الافضل منها ، من حيث مفعوليتها ومنطقيتها . ويجب ان تحدد عوامل الفعالية طابع الاعمال القتالية بشكل موضوعي ، وان ترتبط مباشرة بهدف هذه الاعمال ، وان تكون ذات حساسية وتستطيع التلاؤم أو التجاوب مع التغييرات التي تطرأ على القيم والمقادير ، التي يجب ان تتحدد بنتيجة البحث ، وان تكون بسيطة ، أي سهلة الحساب ويمكن تحليلها والتعبير عنها بيانيا .

يجب أن تكون عوامل الفعالية محددة من حيث الفكرة ، حتى يستطيع القائد الذي يتخذ القرار ، ان يعرف محاسن ومساوىء هذا القرار .

ولذا فان عوامل فعالية الحسابات والمهام التكتيكية والعملياتية

والاستراتيجية ، توضع عادة من قبل أخصائيين من ذوي الخبرة ، وعلى اساس التحليل العميق لطبيعة وجوهر ومضمون الاعمال القتالية في شروط الحرب الحديثـة .

يؤخذ احتمال اي حادثة ، او المقدار الوسطي (التوقع الرياضي) لبعض القيم العرضية لها كعامل فعالية غالبا .

عندما يكون هدف البحـث محددا ، ونموذج الاعمال القتالية مصاغا ، والحالات المحتملة للقرارات مقررة ، وعوامل الفعالية معروفة (تم ايجادها)، فيجب ان تستخدم هذه العوامل لتعليل التوصيات (المقترحات) من انتقـاء افضل الحالات المعقولة للقرارات .

تسمح النماذج الرياضية ، كالبرمجة الخطية او نظرية اللعب (جمـع لعبة) بتحديد الخطة النموذجية للاعمال ، اي انتقاء احدى الحالات المحتملة ، التي يكون فيها عامل الفعالية في حده الاقصى .

ويمكن ان تعتبر الحالة معقولة ، اذا كان عامل فعاليتها قريبا من العامل النموذجي ، نظرا لان حسابات الفعالية لاتكون غالبا دقيقة بسبب عدم دقـة المعطيات الاولية او عدم وجود بعضها أحيانا .

يمكن للقائد الذي تقترح له حالة واحدة فقط لاتخاذ القرار ، ان يأخذ بها او يرفضها ، بينما ستكون لهذا القائد امكانيات واسعة في اختيار الحالةالافضل لاتخاذ القرار اذا قدمت له عدة حالات مقترحة عن القرار ، وبالرغم من ان هذه الحالات لن تكون جميعها ذات فعالية قصوى ، فانها لن تكون عمليا اقل صلاحية من الحالة النموذجية . وعندئذ يستطيع هذا القائد ، ان يختار حالة معينة ، ويرفض بقية الحالات ، حيث لابد ان تكون الحالة المنتقاة من قبله معقولة من حيث عامل فعاليتها .

ان عدم امكانية البحث عن الحالة التي تكون الافضل مـن حيث كافـة العوامل ، يؤدي أحيانا للسعي الى توحيد عدة عوامل فعالية في عامل واحدعام . واذا كان هذا العامل العام لايتوافق مباشرة مع تحقيق الهدف المطلوب ، فانه

يكون مخالفا للمبدا الاساسي في اختيار عامل الفعالية . ولا يستثنى ان تظهر لدى الانتقاء غير المعلل لعامل فعالية عام (نموذجي) ــ حالة لاتنفذ فيها المهمة بالطريقة المفضلة .

ان صعوبة ايجاد أفضل قرار (حل) معقول تكمن في احتمال وجود عامل فعالية واحد مجهول في كل حالة من حالات العملية المراد بحثها ، وبالتالي فان هذا العامل المجهول قد يتبدل بشكل غير مخطط (غير مدروس) .

خلال بحث عملية حقيقية يجب ان لايتم بالرياضيات التي تهتم بايجاد الحدود الكلاسيكية القصوى او الدنيا ، بل يفضل ان يتم بالتحليل الايحائي للنواحي القوية والضعيفة في عدد من حالات القرارات ، التي تراعى فيها ــ حتما ــ شروط التنفيذ والاعمال المضادة المحتملة للعدو .

ومع ذلك فان جهاز الرياضيات يلعب دورا هاما في بحث العمليات ، وفي كل عملية النشاط الادراكي للقائد العصري .

ان الحاجة الماسة للاساليب الرياضية في بحث الاعمال العسكرية ترتبط ــ كما قلنا سابقا ــ بالثورة التقنية ــ العسكرية ، التي أدت الى ظهور الاسلحة الصاروخية ــ النووية ودخولها على نطاق واسع في خدمة القوات المسلحة . وقد كانت هذه الثورة نتيجة تطور القوى المنتجة ، التي تعتبر قاعدة مادية للتقدم العلمي ــ التقني العام ، الامر الذي انعكس بدوره على تقدم العلم العسكري والعتاد الحربي .

ان النفاذ العميق والمتعدد الجوانب للطرق الرياضية في مختلف مجالات المعارف العلمية ، هو عملية معقدة ومتنوعة . لكنها تحمل في ذاتها **سمات عامة**، أو بالاحرى **ثلاث مراحل** للمعارف الرياضية ، واستخدام الرياضيات في النشاط الادراكي (الذهني) .

المرحلة الاولى :

المعالجة الكمية للمعطيات الاختبارية لهذا او ذاك المجال من المعرفة الانسانية ، وصياغة العلاقات الرياضية بين خواص الاغراض التي تهمنا .

وتستخدم في هذه المرحلة عادة ، أجهزة رياضية كلاسيكية جاهزة لحل المسائل (المهام) العملية .

المرحلة الثانية :

تبذل محاولات في هذه المرحلة النموذجية للمعرفة الانسانيـة ، لكشف الجوهر الاكثر عمقا للظواهر ، ولحل المسائل (المهام) الاكثر تعقيدا ، والتـي لاتتناولها طرق الرياضيات الكلاسيكية . يتم حل هذه المسائل الطارئة عمليا بخلق وسيلة رياضية جديدة ، ومعدة بشكـل خاص للمســائل المراد حلها . كنظرية اللعب ، ونظرية الخدمة الشاملة ، والبرمجة الخطية الخ .

تدعو الحاجة في الوقت الحاضر لاتباع منهج يبين بدوره أين ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ وبأي شكل تستخدم الطرق الجديدة ؟ وتكون هذه الحاجة على أشدها في العمل العسكري ، حيث ترتبط الطرق المنطقية والوسائل الرياضية بشكل وثيق في عملية النشاط الادراكي (الذهني) للقائد .

فالمرحلتان الاولى والثانية ، اللتان تهتمان باضفاء الصبغة الرياضية على المعرفة الانسانية ، تم استنباطهما على أساس الخبرة ، وهما موجودتان فعلا وتستخدمان عمليا في العمل العسكري .

اما المرحلة الثالثة :

فتتميز بمحاولات عدم الاكتفاء بانشاء نماذج مستقلة ، بل بوضع نظريـة رياضية (كاملة) للاغراض التي تهمنا . وسوف يخصص الدور الاكبر في هذا المجال الى الرياضيات الكمية (العددية) التي تنتمي اليها نظرية المعلومات، ونظرية اللوغاريتمات ، وعلوم الهندسة غير الكمية والجبر الخ . ولا نستطيـع بعد الآن الا ان نقبل بالدور والامكانيات الكبيرة للرياضيات ، ولا نقلل من أهميتها في مختلف مجالات الحياة الحديثة .

ان جعل المعارف تقوم على مبادىء الرياضيات ، يغير وجه الرياضيات نفسها ، واذا نظرنا قليلا الى الامام،فيجب ان نتوقـع ظهور فروع جديـدة

للرياضيات في المستقبل القريب ، لتستخدم بشكل خاص في مجال العلم العسكري . ومن البدهي ان تتطور هذه العملية باتجاه الابحاث الرياضية ــ المنطقية للاعمال العسكرية . أي الى الجمع بين الطرق المنطقية والطرق الرياضية تحت راية الفن العسكري .

ومن الطبيعي انه لايتم تقدير الموقف القتالي المتعدد الجوانب ، بواسطة الطرق الرياضية وحدها . وهل يمكن مثلا ان نقدر بواسطة هذه الطرق ، الحالة السياسية ــ المعنوية للقوات ، والصفات الشخصية للكادر القيادي ، والارض والطقس الخ . ؟ لذلك لابد انيتناول الحديث **العلاقة المعقولة** بين منطق القائد وخبرته وبداهته وذكائه وبين الطرق الرياضية والوسائط الفنية .

يتم الجمع بين هذه العوامل أثناء نمذجة الاعمال القتالية . وفي الشروط الحديثة ، تعتبر نمذجة الاعمال القتالية للقوى البرية ، واحدة من أهم الادوات الفعالة في الابحاث النظرية ــ العسكرية وفي التعليل العلمي لطرق خوض الاعمال القتالية ، وللقرارات المتخذة عن المعركة والعملية وقد كتب مارشال الاتحاد السوفييتي ((آ . آ . **غريتشكو**)) عن ذلك مايلي :

((تقدم نمذجة الاعمال القتالية للقوات مساعدة جدية للقائد في أعماله ، حيث تستخدم فيها الطرق الرياضية للبحث في العمليات وطرق تخطيطها . وان انشاء نموذج المعركة (العملية) الحديثة ، ليس سوى تصور لكافة التفاصيل عن التحضير للمعركة (العملية) وعن خوضها ، مع مراعاة تامة لقوى ووسائط الاطراف المتحاربة ، وخصائص تكتيك اعمالها وشروط مناورتها))(١) .

تقسم الاشكال الاساسية للنمذجة الى قسمين هما : النمذجة الفيزيائية، والنمذجة الرياضية . ويمكن بواسطة النمذجة الفيزيائية (كالمشاريع والرمايات الخ) أن تتم دراسة بنية الظواهر أو العمليات الحركية ، على نماذج مادية تشبه الى حد كبير النماذج الاصلية ، وتختلف عنها من حيث المقياس

(١) ــ « آ . آ . غريتشكو » ــ (القوات المسلحة للدولة السوفييتية) ــ طبعة ١٩٧٥ ــ ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦ .

والاستطاعة . أما النمذجة الرياضية : فهي وصف تجريدي لهذه أو تلك العمليات (أغراض ــ ظواهر) بواسطة عدد من العلاقات (القوانين) الرياضية والعمليات المنطقية .

وعلاوة على هذه النماذج ، فقد استخدمت مؤخرا وعلى نطاق واسع ، النمذجة السيبرنيتيكية التي تنفذ للاغراض المختلفة ماديا ولمختلف اشكال الحركة . وغالبا مايكون النموذج السيبرنتيكي جهازا تقنيا ، يحمل صفات العضوية الحية ، كما هو الامر مثلا في الجهاز الطبي المستخدم كقلب او رئة اصطناعية . ولا يشترط دائما في هذا النموذج ان يصور البنية الداخلية للظاهرة ، وان كان غالبا يصور المخطط الوظيفي للقيادة . ويمكن للنموذج السيبرنيتيكي ان يجدد استخداما مستقلا واسع النطاق في مجال العمل العسكري ، وللتدريب على طرق اتخاذ القرار المنفذة في عملية قيادة القوات ، وخاصة في قيادة الوسائط القتالية ، تصنع أجهزة تقنية مماثلة للآلات الحاسبة الالكترونية ، مع وسائط وشاشات ميكانيكية مختلفة معدة لابراز الموقف القتالي بمقياس معين ، حيث تعالج فيها الاعمال القتالية بالتوافق مع الاجراءات القيادية (القرارات) . وتستخدم هذه النماذج بشكل خاص في المنشآت التعليمية ــ العسكرية ، التي لاتنفذ فيها غالبا المشاريع الميدانية ، وحيث يكون استخدام النمذجة الرياضية معقدا جدا في التدريب العملي .

وثمة نوع آخر من اشكال النمذجة ــ كناقد اتينا على ذكره في فصل سابق ــ وهو اللعبة العسكرية ذات الجانبين ، التي تدخل غالبا في المراجع الخاصة بالنمذجة اللعبية (من لعبة) .

وهكذا توجد نمذجة سيبرنيتيكية ، ونمذجة لعب ، بالاضافة الى النمذجة الرياضية . وتستخدم النمذجة السيبرنيتيكية ونمذجة اللعب بشكل خاص في حل المسائل المتعلقة بقيادة الاعمال القتالية للقوات البرية ، وفي سيكولوجية قرار القائد ، بينما تستخدم النمذجتان ، الرياضية والفيزيائية في اعداد وتنفيذ هذه الاعمال .

أن انشاء واستخدام النماذج يتطلب وجود هدف محدد لنمذجة الاعمال القتالية للقوات البرية ، ولذلك يشكل النموذج حسب الهدف المراد تحقيقه من النمذجة . وثمة من يقول بأن الهدف من النمذجة يتمثل فقط بالنتيجة النهائية للاعمال القتالية والتي يعبر عنها بالسؤال التالي :

من ينتصر في الموقف الراهن ؟ وان استخدام نمذجة للاعمال القتالية يعتبر جوابا لهذا السؤال .

لاتوجد ضرورة لان نثبت بأننا لايمكن ان نأخذ بعين الاعتبار في النمذجة، كافة العوامل التي تؤثر على نتيجة المعركة (العملية) ، وخاصة الحالات العرضية التي تحدث في الحرب ، بالرغم من ضعف احتمال حدوثها .

وحتى لو راعينا كافة الشروط الحقيقية للموقف القتالي في النمذجة ، مع توقع أكيد لتحقيق النصر ، فان ذلك يظل ناقصا ، اذا لم تتخذ كافة الحسابات والاجراءات الضرورية لتأمين هذه النمذجة ، وخاصة لما يتعلق منها بتحييد تلك المساعي التي يبذلها العدو لتحقيق النصر لصالحه .

فالمهم الا نضع القائد أمام أحد الخيارين : تحقيق النصر ، أو تحمل التدمير لوحدته .

بل يجب على القائد ان ينتصر ــ وهذه هي أيضا سيكولوجية العدو ــ وان يختار بنفس الوقت ، الطريق الحقيقي الذي يؤدي به الى النصر ، ويحدد الطريق الاكثر فعالية للعمل في الشروط الراهنة . يتلخص هدف النمذجة باعطاء القائد أو (الباحث العسكري) أسسا كمية لاتخاذ أفضل قرار في الموقف الراهن أو (الحصول على توصيات علمية معللة) تسهم في تقدير فعالية القرار ، وتحديد درجة تأثيره على مجرى الاعمال القتالية .

ان لعبة البحث العسكري ، ذات الجانبين ، لاتهدف من حيث الجوهر حتى الى تحقيق النصر لاحد الطرفين ، لانها تنشأ أصلا لكشف تأثير هذه أو تلك الطريقة ، أو هذا أو ذاك القرار على مجرى المعركة (العملية) ،ومعرفة فعالية عدد من الاعمال أو القرارات المتتابعة لكلا الطرفين ، مع مراعاة التأثير

النشيط والفعلي (العدو) ، وتأثير مختلف الشروط على القرار ، واخيرا كيف نعلم القائد اتخاذ القرار المعلل ؟ ونؤكد مرة أخرى على اهمية النتيجة النهائية في اللعبة ، واهميـة مايجري خلالها : كانزال الضربات ، وتقدير فعاليتها ؛ وزج الاحتياطات ، وحسابات الزمن الحقيقي المحتمل للضربات ، واستهـلاك واستعاضة الوسائط النووية وغيرها . لذلك فاننا لانحتاج في النمذجةاللعبية، الى تحديد عامل (النصر)،بقدر مانحتاج الى اجراء مقارنة مستمرة او مرحلية للخسـائر في قوى ووسائط الطرفين ، وتبدل طبيعـة الارض ، وحالة انظمـة القيادة (بنتيجة الاعمال الحقيقية للطرفين المشتركـين في اللعبة) ، وذلـك بالاضافة الى التقدير الموضوعي لفعالية القرارات المتخذة ، وكشفنواحيهـا الايجابية والسلبية ، وتدقيق شروط الموقف للخطوة (المرحلة) التالية ، مع الاخذ بعين الاعتبار للخسائر التي وقعت في المرحلة التي سبقتها .

ان صعوبة سلوك مثل هذا النظام ، وخاصة عن عمل القـوات في ميدان المعركة وتأثير العوامل العرضية والمجهولـة عليها . والتبدلات الحادة غـير المتوقعة في الموقف القتالي ، تتطلب من القائد ان يحل باستمرار عددا كبيرا من المهام التي تحتاج الى ابداع .

وهنا تنشأ مشكلة هامة متمثلة بكيفيـة مساعدة القـائد في حل المهام المعقدة ، وفي تأمين جمع ومعالجة وارسال الكمية الضرورية لاتخاذ القرار ، وتسهيل وتسريع ايصال المهام القتالية للقوات . ومن الطبيعي ان حل هـذه المشكلة يكمن في أتمتة قيادة القوات ، وادخـال الآلات الحاسبة الالكترونيـة ووسائط الاتصال الحديثة فيها . واستخدام الطرق الرياضية ، بما في ذلك النمذجات الرياضية وغيرها للاعمال القتالية للقوات .

ومن المهم جدا في هذا المجال ، تحديد وظيفة القائد (الاركان) ووسائط الاتمتة والعناصر الاخرى ، وما يستخدم لديهم من نماذج . ولكنه يلاحظ ، ان الآلات الحاسبة والنماذج ستعالج مسائل شكلية ، وتنفذها بشكل اسرع وادق من الانسان ، بينما يقع على عاتق القائد القيام بالعمليات الابداعية من اجل اعداد القرار ، ولا حاجـة ايضا لجمع عناصر لتفكير الابداعي للقائد واعطائها

للآلات الحاسبة الالكترونية ، لان الانسان يتمتع بخبرة اجتماعيــة عاليــة ، وبمرونة في تفكيره ، تجعلانه قادرا على حل هذه المسائل بشكل أفضل من اية آلة (سواء مايعرف منها في الحاضر أو ماسيكون في المستقبل) . فالامر ليس متمثلا باعطاء أكثر وظائف القائد الى الآلة لتحلها له ، بل يكمن في قدرة هــذا القائد على تنسيق عمله مع امكانيات هذه الآلة .

« لايسمح طبعا بالاعتماد كلية على الوسائط الفنية والطرق الرياضية . وانه لامر لامعنى له ، ان نضع الانسان والعتاد وجها لوجه ، او نفعل ذلك مع القائد والآلة .

واذا فعلنا ذلك ، فاننا ننكر على الانســان دوره الاساســي وامكانياته الابداعية ، وخاصة في الحرب .

وتظهر هذه الامكانيات بشكل جلي في النشــاط التنظيمي ـ العسكري الذي يمارسه القائد في مجال قيادة القوات . فالقائد وحده هو القادر علــى كشف جزئيات ودقائق الموقف القتالي ، وعلى ايجاد السبل الناجعة لتحقيــق النصر على العدو . ومهما بلغ مستوى الاتمتة ، فان القائد يظل الشخص الذي يقف في قمة القيادة ، وتظل الاركان الجهاز الاساسي في القيادة . والقائد هو الذي يتخذ القرار ويخطط الاعمال القتالية ، بينما تسهل الوسائط الفنيــة نشاط القائد وضباط الاركان في قيادة القوات »(١) .

وعموما يجب توسيع مفهوم « النموذج » ، والاعتراف بان عملية اتخاذ القرار تعتبر الشكل الاكثر ديناميكية للنمذجة . فاذا كان الحديث قد تناول سابقا كيفية وصف هذا النموذج رياضيا واعطائه الى الآلة الحاسبةالالكترونية، فان التفكير الآن يتجه الى كيفية مساعدة القائد في انشاء النمــوذج ، وتأمين المعطيات الكمية المضمونة اللازمة له .

ان ربط النشاط الادراكي للقائد بنمذجة الاعمال القتالية ، يتطلب قبل كل شيء ، تحديد هدف النمذجة ، ولماذا نلجأ اليها . واستنادا لذلك يتحدد

(١) ـ « ٢ . ٢ . غريتشكو » ـ نفس المصدر السابق ـ ص ٢٧٧ .

شكل النمذجة (فيزيائية ــ رياضيــة ــ سيبرنيتيكيــة ــ لعبية) واكتمالها (عامة ــ جزئية) ، ونوعية الوسائط التقنية ، والاجهزة الرياضية اللازمة ، والعوامل الذاتية والموضوعية ومكان ودور القائد في استخدام نتائج النمذجة.

يتطلب انشاء نماذج الاعمال القتالية ، واستخدام نتائجهــا استخداما واقعيا،معرفة أسس الفن العسكري ، وامتلاك تصورات دقيقة عن السيبرنيتيك ونظرية البحث في العمليات والايحائية . لذلك يجب ان ينشر الكثير عــن هذه الموضوعات ، في المطبوعات العسكرية ، وخاصة عن ارتباطها الوثيق بالتقــدم العلمي ــ التقني الحديث .

ترتبط نمذجة الاعمال القتالية من حيث تصويرها للحالات الواقعية ، بالنشاط الادراكي للقائد في عملية اتخاذ قراره للمعركة .

ان الانسان اذ يبحث في أحد المجالات الراهنة للواقع ، يخلق في ذهنــه انعكاسا ما عن هذا المجال ، ويمكن ان نسمي هــذا الانعكاس بالنموذج . ثم يراقب التبدلات التي تطرأ على الواقع ، فيصحح ويحسن ويطور هذا النموذج، حتى يتكيف مع هذا الواقع .

ولدى استخدامه لهذا النموذج ، فانه يخطط ذهنيا للطرق الناجحة التي يستطيع التأثير عبرها على الواقع . وتكون عناصر الحالة المدروسة موجودة في ذهن الانسان كآثار للاغراض التي تم انعكاسها أو عمل نماذج لها . ولكن هذه الانعكاسات ، لاتكون عادة صورة طبق الاصل عن الاغراض الاصلية ، بل تملك اتجاها للحركية والتأثير المتبادل مع آثار الاغراض الاخرى . ثم تنتج عن هذا التأثير المتبادل ، الذي يحدث في الخلايا العصبية للدماغ ، ارتباطات وعلاقــات جديدة بين عناصر الحالات المختلفــة ، مما يؤدي بالتالي الــى ايجاد الحلول المناسبة لها .

وهكذا يمكن ان يحدد النموذج الحركي المعلوماتي كنظام يتشكل بشكــل خاص في عملية النشاط الذهني لحل هذه او تلك الفئة من المسائل ، وعلــى سبيل المثال : (المسائل ذات الطابع التكتيكي ــ العملياتي) حيث يملك هــذا الحل خواص تخيل او تصور عناصر المشكلة (شروط الموقف القتالي مثلا) واعادة تشكيلها ، مما يؤدي أيضا الى حلها .

ان ضرورة الاقتراب المنظم لبحث مسائل الصراع المسلـح ، وتعقيداته وعدم كونه محددا ، وانعدام الخبرة العملية في خوض هذا الصراع في الشروط الحديثة ، تتطلب من القائد ان يستخدم بشكل مركب في نشاطه الذهني،الطرق الرياضية والمنطقية ـ الشكلية والايحائية وغيرها . وان هذه المتطلبات تتوافق الى حد كبير مع النمذجة الرياضية ـ الايحائية ، باعتبارها تمثل شكلا جديدا وأساسا لمنهج البحث في المسائل المعقدة لفن العمليات والتكتيك . ويجمع هذا الشكل بين أجهزة النمذجة الرياضية ، والنشاط الايحائي للقائد (الباحث)، مع اعطاء دور هام لابداع الانسان . وليس النموذج الرياضي ـ الايحائي مجرد ربط ميكانيكي لاسلوبين ، بل هو استخدام عضوي مشترك للعناصر الايحائية والرياضية في عملية الانشاء ، ولدى التحقيق العملي للنمذجـة واستخـدام نتائجها .

ويجب على القائد او الاختصاصي في المجال التكتيكي ـ العملياتي ، الا يساهم في تحديد هدف ومهام البحث واستثمار نتائجه فحسب ، بل يتابـع تطور النمذجة ويدقق المعطيات الاولية والوسيطة ، واتجاه ونظام استخدامها، معطيا عددا من البارامترات (الخواص العددية) بالاعتماد على تصـوراتـه الذاتية ، وخبرته ومعارفه وبداهته الخ .

وتستخدم خلال ذلك وعلى نطاق واسع ، أساليب التعليل الكمي والاجهزة المنطقية ـ الشكلية .

تتوافق النمذجة الرياضية ـ الايحائيـة الى حد كبـير ، مع العمليـة الموضوعية لانشاء نموذج معلوماتي ـ عملياتي ـ ديناميكي (حركي) ، للوضع القتالي أثناء اتخاذ القائد لقرار المعركة أو العملية . وان هذا النموذج الرياضي ـ الايحائي يعكس بشكل كاف جدا خواص العمليات الديناميكية (الحركيـة) للصراع المسلح ، الذي تنفذه الجماهير ذات الصفات السياسية ـ المعنويـة والقتالية العالية ، بقيادة قادة أفذاذ من ذوي الارادة والمعارف والخبرة والذكاء، حيث تستخدم هذه الجماهير الاسلحة القوية الحديثة ، التي لايمكن تقديـر فعاليتها الا باستخدام الاجهزة الرياضية .

رابعا ـ تحسين معارف ومهارات وقدرات القائد في اتخاذ القرار المعلل في الوقت المناسب

يتامن التنسيق المعقول للاجهزة الايحائية المنطقية والرياضية ،ولاستخدام وسائط مكننة واتمتة عمليات قيادة القوات ، والخبرة القتالية اثناء اعداد قرار القائد ، بمجموعة تدابير نظامية كاملة . ولعل اهمها يتمثل في تدريب الضباط على اتقان استخدام مختلف اشكال وطرق الاعداد السريع للقرار .

ولكن هل يتم ذلك دائما ؟ كلا ـ للاسف الشديد ـ ذلك ان بعض القادة يلجأون ـ على سبيل المثال وخلال مشاريع القيادة والاركان ، والمشاريع المختصرة ، وبحجة السرعة ـ الى اتخاذ أول حالة يصلون اليها من القرار ، دون اعارة الاهتمام الى التقدير اللازم لفعالية الاعمال حسب الحالة الراهنة. ويحدث ذلك عادة حيث لايقوم مدراء المشاريع انفسهم ، بتقدير الفعالية الكمية للقرارات المتخذة من قبل مرؤوسيهم . ويعود السبب في ذلك الى انه يمكن تقدير العمل السريع للقائد بسهولة ، بينما يجب اجراء دراسة جدية لتحليل نوعية القرار المتخذ او اختباره في المعركة التدريبية .

وهكذا ففي أحد المشاريع ، تطلب الموقف ضرورة التدمير الفوريللوسائط النووية (المعادية) . فاتخذ الضابط الذي يقوم بدور القائد في المشروع قراره على عجل ، واسند المهام للمرؤوسين . واعجب الحاضرون بفكرة أعمال هذا الضابط ، بيد أن التحليل البسيط للقرار المتخذ من قبله ، اثبت ان الوسائط التي خصصها هذا القائد لتدمير (العدو) ، كانت عاجزة عن تدمير الاهداف (المعادية) ، لعدة أسباب :

اولها ـ قلة مدى هذه الوسائط . وثانيها ـ عدم القدرة على سبقالعدو من حيث الزمن . وثالثها ـ ضعف فعالية تنفيذ المهمة .

لقد اخذنا بأسوأ حالة من حالات اتخاذ القرار ، علما أنه تصادف في التدريب العملي على المواقف القتالية ، حالات اخرى ، لايكون القرار فيها سيئا ، ولكنه لايكون أيضا أفضل القرارات الممكنة .

ان رفع فعالية النشاط الذهني للقائد ، وتعليم الضباط سرعة اتخاذ القرارات المعللة ، يحتاج الى تحسين طرق تنفيذ المشاريع . وكان يفضل ان تشكل ادارة المشروع أو أركان المشروع ــ ولاغراض التدريب ــ مجموعات تقدير فعالية القرارات المتخذة ، حيث يمكن ان يدخل في قوام هذه المجموعات ، ضباط من ذوي الخبرات القتالية والمعارف العميقة لاسس الفن العسكري ، وممن يتقنون ايضا طرق البحث في العمليات واستخدام العتاد الحاسب الحديث . كان يمكن لهؤلاء الضباط المزودين بآلات حاسبة الكترونية ، ان يحددوا درجة تدمير (العدو) ، واحتمال سبقه في توجيه الضربة وفعالية الاجراءات المتخذة لوقاية القوات الصديقة ، وكان بامكانهم ايضا اجراء التنبؤ عن تطور الاعمال القتالية لفترة زمنية قريبة ، واقتراح الفرضيات الاكثر ملاءمة للشروط الحقيقية للموقف ، وخاصة الشروط التي كان يمكن أن تتعقد في المعركة بنتيجة تنفيذ القرارات المتخذة سابقا .

ان هذا الاسلوب في العمل ، يسهل كشف الاخطاء في القرارات المتأخرة وغير المعللة بشكل كاف . وهو أمر لايسهم في تنمية الارادة والحسمية ورد الفعل السريع لدى القائد فحسب ، بل يقدم له امكانية اتقان الاستخدام للطرق الرياضية والمنطقية ، والوسائط التقنية الحديثة المعدة لقيادة القوات ، وذلك عبر الحد الادنى من الزمن .

لايتم أحيانا تحليل حالات القرار ، ولا ينفذ تعليلها الكمي ، لانه لايشكل غالبا في المشاريع ، سوى موقف يحتاج الى قرار واحد . وفي هذه الحالة يكون عدد الحالات المحتملة للاعمال القتالية محدودا جدا ، ولا يبقى أمام المتدرب ان ينتقي شيئا ، او يظهر فنه العسكري ومعارفه ومهاراته وخبرته وبداهته ، او يستخدم الوسائط الفنية الحديثة ، والطرق العلمية لتعليل القرار .

يتعارض هذا الاسلوب عمليا مع المبادىء المنهجية لنظرية معرفة المادية الدياليكتيكية . وبالتالي لايسهم في رفع مستوى القيادة العلمية للقوات ، علما ان رفع هذا المستوى يعتبر احدى المهام الاساسية لكافة الكوادر العسكرية ، كما ترتبط به وتنبع منه مسألة التنسيق المعقول المتقن لكافة الطرق الحديثة المعدة لاعداد القرار في عملية النشاط الذهني للقائد .

ان بحث هذه المسألة ، يقودنا الى استنتاج عن ضرورة اتقان القائد العصري لمناهج البحوث العملية واسس نظرية المعرفة والمنطق وعلم النفس ، والسيبرنيتيك ، والطرق الرياضية والايحائية ، بالاضافة الى اتقانه للتطبيق العملي لنظرية الفن العسكري .

وان اتخاذ القائد لقرار المعركة هو عملية ابداعية . أما دور الطرق الرياضية والعتاد الحاسب في البحث ، فهو تقدير امكانية الحصول على المعطيات الاستقلابية ، واجراء الحسابات التكتيكية ـ العملياتية الضرورية ؛ وتلقي التعليلات الكمية ذات الابعاد الواضحة . ولكن هذه الطرق والاعتدة لاتوقف الامكانيات الابداعية للقائد في اتخاذه ـ خلال زمن قصير ـ لافضل قرار يتلاءم مع الشروط الراهنة . لذلك يجب عدم الاخذ بعين الاعتبار للرأي الخاطىء كليا ، الذي يقول بان الطرق الرياضية ، والاعتدة الحاسبة ، تصعب وتعقد النشاط الذهني للقائد . ولكنها ـ وخلافا لهذا الرأي ـ تحرر القائد من حاجته الى الوقت الطويل والعمل الصعب في اجراء الحسابات ، وتقدير حالات القرار ، الامر الذي يزيد في امكانياته الابداعية ودوره وتأثيره على مجرى ونتيجة المعركة .

تلعب المنشآت التعليمية ـ العسكرية ، التي تدرب القادة ، دورا هاما في تطوير وتحسين مهارات النشاط الذهني للقائد .

جاء في احدى الكلمات التي القاها مارشال الاتحاد السوفييتي « آ . آ . غريتشكو » ، في شهر آذار عام ١٩٧٢ ، في اجتماع ضم قيادات المنشآت التعليمية ـ القيادية العسكرية ، مايلي :

« ان الطابع المعقد للمهام السياسية والعسكرية ، الملقاة على عاتق القوات المسلحة السوفييتية ، يتطلب التطوير النوعي في تأهيل الكوادر العسكرية ، حيث يجب ان يعار الاهتمام بصورة خاصة لتدريب الكوادر القيادية . ونحن نسعى لتعليم ضباطنا كيفية حل (تنفيذ) كل مهمة قتالية بابداع ، والتحضير الجيد للمعركة ، واستخدم العتاد القتالي باقصى فعالية »(١) .

ومن هنا تنبع المهمة الرئيسية لتعليم الطلاب الضباط في الكليات العسكرية ، والضباط القادة في المنشآت التعليمية ، القيادة العسكرية ، حيث يتم تطوير القدرات الابداعية لقادة المستقبل،وتحسين عمليات نشاطهم الذهني. ويجب ان يعتمد هذا النشاط على الفهم العميق للهدف والمهام القتالية المسندة ، وعلى التحليل والتقدير الدقيقين للموقف ، وتوقع تطور الاعمال القتالية المقبلة . « فالقيادة تعني التوقع » . وعموما فان القدرة على التنبؤ ــ كما اشرنا اليها سابقا ــ لاتعني القيام بشيء فوق الطبيعي ، بقدر ماهي نتيجة للمعارف العسكرية الواسعة ، واتقان نمذجة الاحداث المقبلة ، وامكانية النفاذ العميق الى جوهر الموقف وفهم نقاطه الهامة والحاسمة ، التي تحدد سير الاحداث .

ان القدرة على توقع سير الحوادث عبر النشاط الذهني للقائد ، يجب ان تقترن بالقدرة على ايجاد قرار (حل) جديد وبسرعة لدى حدوث تبدلات غير متوقعة في الموقف .

يتطلب النشاط الذهني للقائد ايضا ، ان يلم هذا القائد فورا بمختلف جوانب المسألة ، ويباشر فورا في تحليل عناصرها المعقدة ، ليكشف ماهو جوهري فيها ، ويحدد خطة العمل الواجب تطبيقها في حالة الضرورة الفورية للتغيير . ولا يمكن تنفيذ كل ذلك حتى من قبل الانسان العبقري ، مالم يكن مؤهلا لهذا العمل .

---

(١) ــ جريدة النجم الاحمر ــ ٢٤ آذار عام ١٩٧٢ .

وهكذا فان تطوير القدرات الابداعية للقائد المشترك ، يعتبر مسألة غاية في التعقيد والاهمية .

وتلعب الدروس التنظيمية والموجهة ايضا ، دورا كبيرا في تحسين النشاط الذهني وتطوير مهارات وقدرات التفكير الابداعي في عملية تدريب الطلاب الضباط والضباط ، حيث يجب على هؤلاء اتخاذ القرارات للاعمال القتالية بشكل مستقل ، وتحت اشراف وملاحظة مدربين أكفاء ومن ذوي الخبرات الكافية في هذا المجال . يقوم هؤلاء المدربون بمراقبة اعمال الضباط والضباط في اعداد قراراتهم ، والتدخل ـ عند الحاجة ـ في توجيه النشاط الادراكي لدى هؤلاء المتدربين ، عبر التأثير الضروري عليهم ومساعدتهم في تحسين مهارات تفكيرهم الابداعي اثناء اتخاذ القرارات . وهنا تدعو الضرورة الى استخدام الاسلوب لشخصي في تدريب كل طالب ، لان السمة الابداعية تظل دائما من الصفات الفردية للشخص . ويجب ان يتصف المدرب نفسه بامكانية دراسة الصفات الارادية التي ترتبط بشكل وثيق بالنشاط الذهني ، كحب العمل والثبات والحسمية والاستقلالية . وعموما فان هذه الصفات تظهر بصورة جلية اثناء عملية اتخاذ القرارات المسؤولة ، حيث نجد ان احد المتدربين ينظر خلسة الى جاره دون ان يعتمد على نفسه ، بينما يقوم متدرب آخر بشطب أو محي القرار المحمل على الخريطة ، دون ان يكون حاسما مع نفسه، ولا يعرف متدرب ثالث كيف يتعامل مع الموقف ، فيحمل الاسهم فورا على خريطته ، الامر الذي يدل على ان هؤلاء المتدربين لايحترمون واجباتهم الوظيفية، وليس لديهم ميل للعمل . وبالطبع فان معرفة المدرب لهذه الصفات لديهم ، تجعله قادرا على التأثير عليهم في الدروس اللاحقة .

يسمح اتخاذ القرار بحجمه الكامل وبصورة مستقلة من قبل المتدرب ، باستخدام كافة الاساليب المنطقية والذهنية والرياضية لديه . كما ان انشاء نموذج حقيقي للاعمال القتالية المقبلة والدخول في جزئيات الموقف ، القتالي ، كالمعطيات الاولية اللازمة لتعليل هذا النموذج ، يساعده في اتقان معالجة ملاحظات وتعليمات المدرب عن درجة دقة التعليل والقرار ، وعن الاخطاءالمرتكبة اثناء انشاء هذا النموذج .

يقوم المدرب بدوره بمتابعة ومراقبة عملية اتخاذ القرار من قبل المتدرب، ثم يدرس نتيجة هذا العمل خلال المدة الزمنية المخصصة ، ويدقق بشكل خاص مضمون هذا القرار ، حيث يصبح لديه فكرة كاملة عن مستوى التفكير الابداعي لدى هذا المتدرب .

واستنادا لهذه المعلومات ، يقوم المدرب باجراء تحليل مستقل لقراراتهم المتخذة، حيث يستمع اثناء هذا التحليل الى تعليل هذه او تلك العناصر من القرارات، مظهرا نقاط القوة والضعف فيها ، ومقيما نتائجها ، ثم يعرض الحالة النموذجية للقرار التي اعدت مسبقا من قبل المدرب لتلائم الموقف الراهن . ويمكن للمدرب ان يسجل النتائج في دفتر خاص ، حتى يستطيع مراقبة تطور نوعية اتخاذ القرارات بالنسبة لكل طالب ، علما ان عدم مسك هذا الدفتر يجعل معلومات المدرب عن النشاط الابداعي للطلاب غير واضحة .

لاتتمثل مهارة المدرب في مكافاة الطالب الذي اتخذ قرارا جيدا فحسب، بل وفي اظهار اهمية نتائج التنبؤ الصحيح عن الاعمال القتالية والخطورة الناجمة عن اتخاذ قرار غير معلل .

ان المواقف القتالية المعقدة ، تفرض الجمع بين النشاط الابداعي والاستقلالية وتطويرها لدى القادة . وعموما .

((فان السمات الرئيسية لكافة نشاطات القادة في قيادتهم للقوات هي : النشاط الابداعي العالي ، والبداهة والاستقلالية . واذا فقدت هذه الصفات لدى القائد ، فلا يمكن التفكير بالنجاح المضمون في المعركة (العملية) الحديثة . يعني النشاط الابداعي : اظهار المهارة القتالية الاصلية لدى كافة الضباط ، في استخدام الامكانيات القتالية لقواتهم باقصى مردود لها ، وايجاد السبل الفعالة لحل المهمة المسندة ، وتحقيق المفاجاة في المعركة (العملية) ، والبحث عن الطرق والاساليب الجديدة وغير المتوقعة للعدو بغية تضليله والحد من حريته في العمل ، واضعاف ارادته وتدميره في اقصر وقت ممكن))(١) .

---

(١) ـ « آ . آ . غريتشكو » ـ المصدر السابق ـ ص ٢٧٠ .

تتطور القدرات الابداعية للمتدربين في كافة أنواع الدروس التدريبية لمختلف المواد التكنيكية ـ العمليانية ، وأثناء المحاضرات ، والمناقشات،والتمارين الجماعية عن ديناميكية الاعمال القتالية ، والمشاريع (الواجبات) المختصرة، ومشاريع القيادة والاركان . ومن المفضل ان يضع المدرب في كل من هذه الدروس مسائل جديدة ، ويشكل مواقف (وضعيات) معقدة وغير متوقعة ، الامر الذي يثير النشاط الابداعي لديهم ويساعدهم على خلق نموذج فكري للاعمال القتالية المقبلة . ونذكر مثلا ، أنه لتكوين انطباعات متنوعة لدى المتدربين عن طبيعة وديناميكية المعركة (العملية) الحديثة ، يفضل ـ في رأينا ـ ان يتم في مشاريع القيادة والاركان على الخرائط ، وقبل اعطاء الفرضيات الملائمة ، عرض مشاهد سينمائية قصيرة تبين أعمال القوات في المشاريع والمناورات ، مع التركيز على اظهار نتائج الانفجارات النووية .

ومن جهة اخرى ، فان التأهيل المهني للمدرب ومعارفه النظريةفيمسائل علم النفس ، والنمذجة ، وتقديره لفعالية الاعمال القتالية ، تؤثر الى حد كبير أو حاسم على تطوير القدرات الابداعية لدى الضباط ، عبر عملية التدريب ، وان تطوير القدرات الابداعية للقائد المشترك الذي يتقن العمل في المواقف المعقدة ، ويستطيع الوصول الى الاستنتاجات اللازمة لاتخاذ القرار ، يعتمد على نوعية اعداد المواد التدريبية والواجبات التكتيكية ، والموقف القتالي المستخدم في هذا التدريب .

يجب ان تكون المواد التدريبية الحديثة والواجبات التكتيكية ، معقدة وديناميكية (حركية) جدا ، وان تحتوي على معطيات كاملة وغير متناقضة عن الموقف .

أما طريقة التعليم ، فيجب ان تكون موجهة لتدريب القائد ، ليس فقط على كيفية سرد الموقف وتصوره ، بل على الخروج باستنتاجات مستقلة عنه أيضا .

ينبغي على المدرب في المنشآت التعليمية ـ العسكرية العليا ان يكون ماهرا

في التدريب على الابداع ، وأن يظهر بنفس الوقت ابداعه في تعليم المتدربين ، عاملا على جمع كافة اشكال وانواع التدريب المحتملة .

وهكذا فان زيادة فعالية النشاط الابداعي للقائد في عملية اتخاذ القرار، توجب تطوير تفكيره الابداعي بانتظام وتحسين معارفه النظرية العسكرية ومهاراته العملية ، واعتماده على آخر منجزات الرياضيات والالكترونيات .

وتنشط ايضا في عملية اتخاذ القرار ، كافة العمليات النفسية ، حيث يخصص عدد كبير من الوسائط والطرق والاساليب المعدة لاغناء هذه العمليات بالمردود الابداعي .

ولا يجوز ان نغفل الدور الذي تلعبه مهارة القائد في استخدام الطرق المنطقية ـ الرياضية والاعتدة الحاسبة الالكترونية الملائمة ، بغية رفع نوعية القرارات المتخذة وتعليلها ، وفي اتقانه لاستخدام وسائط القيادة الفنية الحديثة، بما في ذلك الانظمة المؤتمتة لقيادة القوات ، لزيادة سرعة وفعالية عمليات جمع ومعالجة المعلومات اللازمة لاتخاذ القرار وايصالها للمنفذين في الوقت المناسب.

* * *

الخاتمـــة

تدل المسائل التي بحثت في هذا الكتاب عن سيكولوجية قرار القائد ، انه يترتب عليه آن يطور ويحسن نشاطه الذهني باستمرار ، وان التطوير الهادف والفعال لهذا النشاط يتطلب معرفة القوانين والاسس النفسية للنشاط الذهني، ومعرفة خواص العمليات الذهنية ـ النفسية ، حيث تكتسب هـذه المعارف والخبرات في زمن السلم .

كان يمكن الاعتماد في الماضي على تراكم الخبرة القتاليـة عبر الطريقـة المعروفة بـ « التجربة والاخطاء » أما اليوم ، فان أسلوب التعلم مـن الاخطاء اصبح لاغيا تماما ، لان الثمن الذي يترتب على ارتكاب الاخطاء في الحرب الحديثة أصبح مرتفعا جدا .

وهكذا فانه يجب التحضير للمعركة الحديثة بشكل شامل ، والاستعداد لتحقيق فعالية النشاط الادراكي في المعركة ، لان معرفة ومراعاة اسس العمليات الذهنية ، يعتبر عاملا هاما لرفع فعالية قيادة القوات وسرعة اتخاذ القرار ، وتحقيق النصر في المعركة .

يلعب التدريب المتواصل دورا كبيرا في تطوير العمليات الذهنية ، وخاصة ماينفذ منه في الدروس والمشاريع الميدانية .

ومن الضروري أيضا تطوير الذاكرة ، بحيث يبقى الموقف التكتيكي للدرس السابق ماثلا فيها ، والسعي لتدقيق الخريطة انطلاقا من هذا الموقف . ولا بد من تطوير الامكانيات الايحائية ، والاستمرار في تشكيـل وتحليـل الحالات الجديدة ، وغير العادية أو الروتينية لكل قرار تكتيكي (سواء كان ذلك للقائد نفسه أو لزميله) . ولا يجوز اهمال تحليل الامثلة التاريخية وخبرة المشاريع

السابقة . كما ان مطالعة مذكرات القادة الكبار ، تسهم في تنمية ادراك القائد ونشاطه الذهني .

ينبغي أيضا تطوير القدرات الرياضية للقائد ، واتقانه أسس السيبرنيتيك العسكري وطرق البحث في العمليات ، ودراسة الوسائط الحالية والمستقبلية المكننة واتمتة قيادة القوات ، والاستخدام العملي لكافة الوسائط الحاسبة الالكترونية ، والوسائط البيانية البسيطة كالنوموغرام مثلا في التعليل الكمي للقرارات المتخذة .

* * *

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

* * *

هـــذا الكتـــاب

- يبحث في سيكولوجيـــة قرار القائد مـــع تبيـــان خصائص المعركـــة المشتركة الحديثة .
- يكشــف درجة تعقيد عملية قيادة القوات في المعركة المشتركة الحديثة، وفي تعاظم المسؤولية في اتخاذ القرارات في الوقت المناسب وتعليلها.
- يبين جوهر النشاط الادراكي للقائد لدى اتخاذه القرار للمعركة مع الاشارة الى الطرق العملية لزيادة فعالية هذا النشاط .
- وهو معد بصورة خاصـــة ، للطلاب الضبـــاط ، والضباط الطلاب في المنشآت التعليمية ــ العسكريـــة ؛ وبصورة عامـــة لكافة ضبـــاط القوات المسلحة .

* * *